القلق

فرناندو بيسوا

القلق

وكالة سفنكس

هذه الترجمة الكاملة لرواية

The Disquite
Fernando Bessoa

القلق

فرناندو بيسوا

ترجمة و مراجعة / أحمد شلبي
وسارة محمد السيد
الغلاف/هانيبال - هيبو
سلسلة من كل بلد كتاب - رواية من الارجنتين
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤
رقم الإيداع:- ٣٦١٣ /٢٠١٤
ISBN :978-977-6299-88-7

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أواقتباس هذا العمل أوأي جزء منه بأي وسيلة
تصويرية أوإليكترونية أوميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أوأقراص مقروءة أوأي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

2014 © Sphinx Agency

بطل رواية (مذكرات بيكويك) The Pickwick Papers لتشارلز ديكنز Charles Dickens (المترجم).

إحدى شخصيات رواية (مذكرات بيكويك) (The Pickwick Papers لتشارلز ديكنز Charles Dickens (المترجم).

مستر بيكويك ليس سخيفاً حقاً إلا أنه يبدو هكذا في الرواية، ربما تكون الروايات نفسها حياة وحقيقة أكثر اكتمالاً من الواقع يخلقها الله من خلالنا، ربما نحيا فقط لنكتب الروايات فالحضارات تتكون-فيما يبدو- فقط لتنتج فناً وأدباً، كلمات تتحدث عن كل حضارة وتبقى أبد الدهر.

فكيف نعلم إذن أن شخصيات الروايات فوق البشرية ليست حقيقية؟ أتعذب حين أظنهم ليسوا كذلك؛ فأكثر المشاعر المؤلمة والأحاسيس الموجعة هي تلك الأكثر سخفاً؛ كالشوق إلى أشياء لم توجد أبداً، أو الرغبة فيما كان يمكن أن يكون، أو الندم على أنك لم تكن شخصاً آخر، أو حتى عدم الرضا عن وجود العالم نفسه.

تخلق تلك الألوان الشاحبة مشاهداً مؤلمة بداخلنا، وتخلق أرواحنا الواعية غروباً أبدياً لكل ما كناه يوماً ليغدو إحساسنا بأنفسنا كمرج مهجور في ساعة الدجى يبدو حزيناً بينما تتناثر أعواد الغاب على جانب نهر بالمرج خال من الزوارق تتحول مياهه الرقراقة إلى اللون الأسود بين ضفتيه الرحبتين.

لا أعلم إن كانت مشاعري نوعاً من الجنون البطيء وُلِد من رحم اللامواساة أو كانت مشاعري تذكارات من عالم آخر عشنا فيه سابقاً؛ تذكارات مُختلِطة ومضطربة كتلك الأشياء التي نراها في الأحلام السخيفة في شكلها والتي ليست كذلك في منبعها إن استطعنا تتبع هذه المنابع.

لا أعرف حقاً إن كنا في يوم ما كائنات أخرى نشعر باكتمالها العظيم الآن ونحن نفتقر للكمال، بحيث أصبحنا مجرد تصور تخطيطي -في أغلب الأحوال- للصلابة المفقودة لتلك الكائنات، نعيش- في البُعدين الحاليين لحاضرنا- كظلال لما كنا عليه في يوم غابر.

أعرف أن هذه الأفكار عن المشاعر تُدمي الروح بقسوة، فعدم قابليتنا لإدراك أي شيء يقابل أفكارنا واستحالة إيجاد بديل في خيالنا عما تحويه تلك الأفكار يمثل حملاً ثقيلاً علينا؛ كجملة ثقيلة وُرِثّت في مكان مجهول لشخص غير معروف ولسبب غير معلوم، ولا يتبقى من إحساسنا إلا نفور حتمي من الحياة وكل إيماءاتها، وضجر مُتوقَّع من الرغبات في كل مظاهرها ونفور كلي من كل الأحاسيس. يصبح من المستحيل في هذه الفترات العصيبة من الحزن أن تصبح محباً أو بطلاً أو شخصاً سعيداً حتى في أحلامك؛ فكل تلك الأشياء خاوية حتى في تصورنا لماهيتها؛ كلها تنتمي إلى لغة أخرى لا نستطيع إتقانها، هي مجرد مقاطع كلامية ليست ذات معنى.

الحياة خاوية، الروح خاوية، والعالم أيضاً خاوٍ، تموت كل الآلهة ميتة أكبر من الموت، كل شيء أشد فراغاً من الفراغ، كل هذه الفوضى لا تعني شيئاً.

وإذا نظرت -أثناء تفكيري بتلك الأفكار- إلى الحقيقة علها تقهر عطشي وجدت واجهات غير معبرة ووجوه غير معبرة وإيماءات غير معبرة، الأحجار والأجساد والأفكار كلها ميتة، وكل الحركات جمود كبير؛ لا شيء يعنيني ولا يبدو أي شيء معروفاً لدي ليس؛ لأن هذا الشيء غريب عني، ولكن لأنني لا أعرف ماهيته، إن العالم ينفلت من بين أصابعي، وفي عمق روحي -وهي الحقيقة الوحيدة في لحظتي الآنية- أجد حزناً مُكثفاً وغير مرئياً، حزناً يشبه صوت أحدهم وهو يبكي داخل غرفة مظلمة.

يعتورني حزن دفين بسبب مرور الوقت، بألم بالغ أترك الأشياء تمضي خلفي مهما كانت ماهيتها، الغرفة المؤُجَرة البائسة التي عشت بها لبضعة أشهر، طاولة العشاء في الفندق الريفي حيث مكثت لستة أيام، وحتى صالة الانتظار الحزينة في المحطة حيث انتظرت القطار لساعتين؛ نعم يحزنني فقدان كل تلك الأشياء. لكنني حين أترك الأشياء الاستثنائية خلفي وأدرك بكل ما أملك من إحساس في أعصابي أنني لن أراها أو أحصل عليها مجدداً- على الأقل ليس في هذه اللحظة بالذات- أشعر حينها بحزن غيبي وتتفتق روحي عن هوة وتهب نسمة باردة من ساعة الإله على وجهي المُمتقع.

الوقت! الماضي! شيء ما، صوت، أغنية، رائحة لفرصة تنزع الستار عن ذكريات روحي، عن ذلك الذي كنته ولن أكونه مجدداً أبداً! ذلك الذي امتلكته يوماً ولن أمتلكه مجدداً! الموتى! الموتى الذين أحبوني حين كنت طفلاً، تقشعر روحي كلما تذكرتهم وأشعر بأنني مطرود من كل القلوب، وحيداً في ليل نفسي، أبكي كشحاذ يقف أمام صمت الأبواب المُغلقة.

***

مذكرات في إجازة

كان الخليج الصغير-بشاطئه الصغير المنزوي عن العالم عبر رأسي خليج صغيرين- ملاذي من نفسي خلال أيام الإجازة الثلاثة، تستطيع الوصول للشاطئ عبر سلم بدائي يبدأ بدرجات خشبية في الجزء العلوي حتى تصبح الدرجات في النصف السفلي محفورة في الصخر مباشرة، يدعمها درابزين من الحديد الصدئ؛ كنت كلما هبطت السلم العتيق-وخاصة في الجزء السفلي منه المصنوع من الحجر- أخرج خارج وجودي وأجد نفسي.

يقول الميتافيزيقيون -أو بعضهم على الأقل- إن الروح تصل إلى لحظات سمو حين تتذكر –مستخدمة المشاعر أو أجزاء من الذاكرة- لحظة أو جانب أو خيال من تجسُّد سابق؛ وهكذا تشعر الروح بأحاسيس الطفولة والحرية حيث تعود إلى وقت أقرب لبدايات وأصل الأشياء من حاضرنا.

أشعر حين أهبط السلم قليل الاستخدام إلى الشاطئ المهجور دائماً وكأنني أستخدم أسلوباً سحرياً لأجد نفسي أقرب إلى جوهري، تختفي بعض جوانب وصفات وجودي اليومي-التي أجدها في نفسي المعتادة كرغبات وتقززات وهموم- كهارب من القانون وتنحسر في ظلال خلف الإدراك، وتصل إلى حالة من البُعد الداخلي التي يصعب معها تذكر الأمس أو تصور امتلاكي لنفسي التي تحيا بداخلي يوماً بعد الآخر.

تبدو مشاعري الاعتيادية وعاداتي المنتظمة في غير انتظام وحواراتي مع الآخرين وتأقلمي مع النظام الاجتماعي للعالم كأشياء قرأت عنها في مكان ما، كصفحات جامدة في سيرة ذاتية منشورة أو بعض تفاصيل إحدى الروايات في أحد فصول المنتصف التي نقرؤها عادة بينما نفكر في شيء آخر حتى يتوانى خط الرواية وينزلق أخيراً إلى النهاية.

هناك على الشاطئ، حيث لا يُسمَع صوت سوى صوت أمواج المحيط وصوت الرياح العابرة عالياً فوق الرؤوس كطائرة كبيرة غير مرئية، هناك اختبرت أحلاماً من نوع جديد؛ كانت أشياء ناعمة هلامية، أعاجيب تركت انطباعاً عميقاً لدي بلا صور أو مشاعر، كانت صافية كالسماء والماء، تتردد كدوامات المحيط البيضاء المرتفعة من أعماق حقيقة رحبة: منزلق أزرق رجراج على المدى حصل على لونه الأخضر الطيني البراق وهو يقترب وينكسر في هسهسة عظيمة حيث ينفرط عقد أذرع الأمواج الألف على الرمال الغامقة تاركاً زبداً جافاً، ثم تلم الأمواج شتاتها في تيار معاكس لتذهب في رحلة إلى حريتها الأصلية وحنينها للإله وإلى ذكريات-مشابهة لهذه الذكرى في هلاميتها وبعدها عن الألم- حالة سعادة في حياة سابقة؛ لأنها كانت جميلة أو مختلفة، كانت جسداً مصنوعاً من الحنين بروح من زبد وراحة وموت، كانت الكل شيء واللاشيء الذي-كمحيط عظيم- يحيط بجزيرة المنبوذين التي تمثل الحياة. نمت بلا نوم-شارداً عن كل ما رأيته من خلال مشاعري- كنت شفقاً بداخل نفسي، وتموجات صغيرة بين الأشجار،

وسكون أنهار شاسعة، وبرودة مساءات حزينة، ولهاث بطيء في الصدر الأبيض لنومة الأطفال المُتأمِلة.

أجد حلاوة في ألا يكون لدي عائلة أو رفيقاً، إنه الطعم الحلو المشابه للاغتراب حين يهزم كبرياء المُغترِب-بحسيّة غريبة- الجزع الذي يُسببه البعد عن الوطن؛ استمتع بكل هذا على طريقتي دون اكتراث لأحد لأن إحدى عقائد أسلوبي العقلي هي ألا نُفرِطُ في صقل اهتمامنا بالمشاعر، وحتى الأحلام يجب أن نراها بنظرة تسامح مصحوبة بإدراك ارستقراطي أنه لولا وجودنا لما وُجِدَت الأحلام؛ حين تعطي أهمية كبري لحلم، فكأنك تعطي أهمية لشيء انفصل عنا ونصّب نفسه كحقيقة-على الأقل على قدر استطاعته- فقدت حقها في أن نعاملها معاملة خاصة.

الابتذال هو حجر الموقد والتفاهة، حِجرُ الأم، وهكذا وبعد غزوة طويلة في الشعر الشامخ وصولاً إلى أعالي التوق المهيب وإلى الميتافيزيقيا والأمور السامية يحلو لي العودة إلى دفء الحياة، إلى النُزُل حيث الحمقى الضاحكون السعداء؛ لأشرب معهم نخباً كأحمق مثلهم؛ هكذا كما خلقنا الله راضين عن الكون الذي وهبنا إياه تاركين كل ما يبقى لأولئك الذين يتسلقون الجبال ولا يفعلون شيئاً حين يصلون لقممها.

لا يُخلِف لديّ حديث أحدهم عن تفوق رجل-أظنه مجنوناً أو غبياً- على رجل الشارع-في الكثير من انجازات وتفاصيل الحياة- انطباعاً قوياً، فكيف تفسّر تمتع مصابي الصرع بقوة شديدة أثناء نوباتهم وبم تفسر قدرة مجانين العظمة على الإقناع، تلك القدرة التي لا يستطيع إلا القليل مجاراتها-هذا إن استطاعوا-، وطاقة مهاويس الدين على حشد الجماهير بصورة لا يسايرها إلا القليل من زعماء الدهماء، وبقوة يقينية لا يستطيع أنصار الجانب الأخير غرسها في تابعيهم. إن كل ما يؤكده ذلك هو أن الجنون هو الجنون؛ إنني أفضل هزيمة تعترف بجمال الزهور على نصر في

الصحراء مُحمّل بعماء الروح والوحدة في العدم المعزول.

كم من المرات جعلتني أحلامي عديمة الفائدة أبغض حياتي الداخلية وأشعر بغثيان جسدّي تحركه روحانياتي وتأملاتي! بسرعة أعدو من شقتي حيث كنت أحلم متجهاً إلى المكتب وحين أرى وجه موريرا أشعر وكأنني وصلت أخيراً إلى مرفأ؛ في نهاية الأمر أفضِّل موريرا على عالم النجوم، أفضِّل الواقع على الحقيقة، أفضِّل الحياة نفسها على الإله الذي خلقها، وحيث أن هذه الحياة وهبني إياها الإله فهي الحياة التي سوف أعيشها؛ أحلم لأنني أحلم لكنني لا أشكو من مهانة اعتبار أحلامي أكثر من مجرد مسرح شخصي، حتى إنني لا أعتبر الخمر أيضاً–رغم استمتاعي بتذوقه- مصدراً للغذاء أو ضرورة مُلحّة.

منذ الصباح الباكر، وعكس الطبيعة المشمسة لهذه المدينة الساطعة، غطى الضباب بعباءة عديمة الوزن-سرعان ما أشرقت عليها الشمس- صفوف البيوت، والمساحات المفتوحة، والارتفاعات المتغيرة للأرض والمباني، بدأ السديم الناعم ينقشع مع تقدم الساعات نحو منتصف النهار مصاحَباً بأنفاس كظلال ضاربة من الأقنعة حتى اختفي السديم تماماً، وفي الساعة العاشرة لم يبق من أثر للضباب سوى اللون الأزرق الطفيف في السماء.

وُلِدت ملامح المدينة من جديد فور انزلاق القناع الضبابي عنها، وبزغت شمس النهار التي ظهر نورها وكأنه من وراء نافذة، كان هناك اختلافاً طفيفاً في الأصوات التي عادت فجأة، وتخللت مسحة زرقاء كل شيء حتى أحجار الشارع والهالات غير الشخصية للمارة. كانت الشمس دافئة ومغطاة بالضباب المتلاشي رغم رطوبة الهواء.
يحركني استيقاظ المدينة–سواء غطاها الضباب أو لم يغطها -أكثر من فجر الريف، إن استيقاظ المدينة ولادة جديدة يمكن توقع الكثير فيما يخصها، حين تضاعف الشمس من تأثيراتها على النوافذ في عدد سخي من

الانعكاسات- سبدلاً من نشر الشمس لألقها على الحشائش والصور الظلية للشجيرات والأيادي الخضراء العديدة الممتدة في إظلام ثم رطوبة وأخيراً لوناً ذهبياً مشعاً في الريف- تظلل الحوائط بألوان مختلفة وتلقي الشمس الضوء على أسطح المباني بطرق فريدة؛ وهكذا يصبح النهار بهياً ومختلفاً عن الكثير من الحقائق البارزة.

إن قضاء الفجر في الريف يجعلني سعيداً لكن فجر المدينة-على العكس- يحمل لي مشاعراً جيدة وسيئة على حد سواء وهكذا يفعل بي فجر المدينة ما يتعدى السعادة، نعم فذلك الأمل الكبير الذي يحركه بداخلي يتميز ككل الآمال بطعم فيه شيء من المرارة والحنين إلى الماضي وهو ما يميز الأمور غير الحقيقية، صباح الريف يوجَد أما صباح المدينة فيَعِدُ، الأول يجعلنا نشعر بينما يجعلنا الأخير نفكر، وأنا قد فُرضَ عليّ الإحساس بأهمية أن أفكر عن أن أحيا؛ ككل رجال العالم الملعونين.

كانت تشير بعض التلونات الناعمة في السماء الشاسعة إلى مجيء الخريف بعدما بدأت الحرارة في الانحسار مع نهاية الصيف مُصاحبَة ببعض هبات النسيم البارد في وقت الأصيل. لم تكن ألوان ورق الشجر قد تغيرت بعد أو سقطت من فوق أشجارها، كما لم تظهر علامات الأسى المُبهم الذي نشعر به حين يحيط بنا الموت لأننا نعرف أن موتنا نحن أيضاً حتمي، لكن ظهر نوع من تراخي الحركة ونوم مبهم حل على آخر علاماتها، ومع عدم الاكتراث الذي يجتاحنا في الأصيل يبدأ الخريف بداخلنا قبل بدايته في الأشياء؛ يقربنا كل خريف من آخر خريف لنا في الحياة، هكذا الأمر أيضاً بالنسبة للربيع أو الصيف، لكن الخريف بطبعه يُذكرُّنا بحتمية نهاية الأشياء وهو أمر نميل إلى تناسيه حين ننظر حولنا أثناء الربيع أو الصيف.

لم يأتِ الخريف بعد، لم يملك اللون الأصفر لوريقات الشجر المتساقطة الهواء بعد، لم يظهر الحزن الكئيب الذي يميز الطقس حين يقترب من

الشتاء بعد، لكن هناك بعض الإشارات الضئيلة على الحزن المُتوقَع–حزن يستعد للرحلة- في إدراكنا الغائم لتناثر الألوان، ولصوت الرياح المختلف، ولذلك الثبات العتيق المنتشر في الليل الهابط على الوجود الحتمي للكون.

نعم سنموت جميعاً ونترك كل شيء خلفنا؛ لن يتبقى شيء من الإنسان الذي ارتدى المشاعر والقفازات وتحدث عن الموت والسياسة المحلية؛ وكما أنار نفس الضوء وجوه القديسين وجوارب المارة في الشوارع سينسحب ذلك الضوء مخلفاً عتمة تبتلع العدم الذي يتبقى من كون البعض قديسين والبعض الآخر من لابسي الجوارب.

لا يزيد عدد الممالك في الإعصار الهائل الذي يدور فيه العالم بفتور كوريقات شجر جافة عن عدد فساتين الحائكات وتدور جدائل الشقراوات في نفس الدوامة الفانية التي تأكل صولجانات الإمبراطوريات، الكل من عدم، وفي مدخل القاعة إلى المستتر-الذي يظهر خلف بابه المفتوح بصعوبة باب آخر مغلق- ترقص كل الأشياء كعرائس تحركها الرياح دون أن تستخدم حتى أيديها، كل الأشياء الكبيرة والصغيرة والتي ظهرت لنا وبداخلنا كنظام العالم الحسي للكون، الكل ظلال ممزوجة بالتراب، ولا صوت إلا صوت تلك الأشياء التي ترفعها الرياح أو تقذفها إلى الأمام، ولا سكون إلا سكون الأشياء التي تهجرها الرياح.

يرتفع بعضنا عالياً في دوامة القاعة كوريقات شجر صغيرة غير متشبثة بالأرض لتقع بعيداً عن دائرة الوريقات الثقيلة؛ بينما بعضنا الآخر-غير المرئي والمصنوع –رغم ذلك- من التراب والمختلف عنا فقط حين رؤيته عن قرب- يكوّن طبقة خاصة به في الإعصار، أما جذوع الأشجار المُصغرة فتسحبها الرياح هنا وهناك وتوقف حركتها حيث تشاء.

يوماً ما حين يظهر كل شيء كاملاً ومنتهياً سيُفتَح هذا الباب وكل ما كناه-من نفايات نجوم وأرواح- سيُكنَس خارج المنزل حتى يبدأ ما تبقى في الداخل دورة الحياة من جديد.

قلبي يؤلمني كجسد غريب داخل أنسجتي، وعقلي يخدر كل ما أشعر به، نعم إنها بداية الخريف، البداية التي تجلب إلى الهواء وإلى روحي ذلك الضوء غير المبتسم الذي يمسح أصفره المُفرَغ من الحياة بخفة الحواف الدائرية غير المنتظمة لسُحب الغروب الكثيرة، نعم إنها بداية الخريف حين يظهر الإدراك الواضح في الساعة الرائقة للعجز المجهول لكل شيء، إنه الخريف، نعم ذلك الخريف الحالي أو القابع في المستقبل، ذلك التعب المُتوقَع في كل الأفعال، ذلك التحرر المُتوقَع من وهم الأحلام. ماذا عليّ أن أتمنى ومن أين يأتيني هذا التمني؟ أنا بالفعل-كما أرى نفسي- بين وريقات الشجر والتراب المتراكم على مدخل القاعة، في مدار غير ذي معنى أُصدر أصواتاً تشير إلى الحياة على الحجارة النظيفة للأرض المطلية بآخر أشعة الشمس الغاربة في مكان لا أعرفه.

يذهب كل ما فكرت به، وكل ما حلمت به، وكل ما فعلته أو لم أفعله يوماً مع الخريف، مثل أعواد ثقاب منثورة على الأرض في كل الاتجاهات، أو ورقات مجعدة على شكل كرات مصطنعة، أو كالإمبراطوريات العظيمة، أو كل الأديان، أو الفلسفات التي أخترعها أبناء الجحيم الناعسون بهدف التسلية، تكونت روحي من كل تلك الأشياء: من طموحاتي المتغطرسة إلى غرفتي المؤُجَرة المتواضعة، من الآلهة التي كنت أؤمن بها إلى رئيسي في العمل-السيد فاسكيز- الذي كنت أؤمن به أيضاً؛ كلهم سيذهبون في الخريف، مع لامبالاة الخريف الحنونة، كلهم في الخريف، نعم في الخريف. نحن حتى لا نعرف ما إذا كان كل ما ينتهي مع ضوء الصباح يأفل كحزن عديم الجدوى أو ما إذا كنا لسنا أكثر من أوهام بين الظلال، وما إذا كانت الحقيقة هي ذلك السكون الهائل الذي لا يحيا به البط ويهبط في البحيرات

التي تنام فيها أعواد الغاب الصلبة المستقيمة كما لو كانت في غيبوبة، إننا لا نعرف شيئاً، لقد تبخرت ذكريات الحكايات التي سمعناها في طفولتنا، غطتها الكثير من طحالب البحر، أما في الوقت الآت فتحيطنا رقة السماوات المستقبلية، ذلك النسيم الذي يقود عدم الدقة فيه إلى طريق النجوم.

يومض الضوء الموحي بالنُذُر متذبذباً بالمعبد المهجور، ويركد ماء البرك في الشمس داخل الفيلات المتروكة، أما الأسماء التي حُفرَت يوماً ما في لحاء الشجر فلا تعني الآن شيئاً، والامتيازات الممنوحة للمجهولين تذروها الرياح في الطرق كورق مُمزَق لا يتوقف عن الدوران إلا عندما يعيق شيئاً ما طريقه.

يطل الآخرون من نفس النافذة كبقية الناس، أما أولئك الغافلون عن ظلال الشر، فيستمرون في نومهم مشتاقين إلى الشمس التي لم يروها أبداً، أما أنا-المتجرئ على المغامرة دون فعل لها- سينتهي بي الحال ملقى بين أعواد الغاب اللزجة ومغطى بوحل النهر القريب ووحل تعبي الكسول تحت سماء أمسيات الخريف المُتعبة على مسافات مستحيلة؛ وعبر كل ذلك وبعيداً عن أحلام اليقظة سأشعر بروحي كصفير من الجزع الصارخ وكعواء شديد ونقي بلا قيمة في ظلام العالم.

أيتها السُحب اليوم أشعر بوجود السماء، في أيام أخرى أشعر بها دون النظر عالياً، أحيا في هذه الأيام في المدينة وليس في عالم الطبيعة الذي يحتويها، تبدو السحب اليوم الحقيقة الأساسية الوحيدة، تقلقني وكأن السماء الملبدة بالغيوم نذير شؤم عن الأخطار الوشيكة التي تهدد مصيري. تتحرك السُحب فوق الماء إلى القلعة ومن الغرب إلى الشرق في جلبة متفرقة وعارية؛ سحب بيضاء اللون حين تتقدم بغير نظام في صدارة شيء ما، أو نصفها أسود حين تتباطأ منتظرة الرياح ذات الصوت لتحركها بعيداً، أو سوداء تتخللها خطوط بيضاء مغبرة-كأنما ترغب في السكون- حين تلون

السحب باللون الأسود المسافة الوهمية التي تفتحها الشوارع بين الصفوف المتعرجة من البيوت إشارة على قدومها وليس إضفاءً لظلالها.

أتواجد دون معرفة السُحب وسوف أموت دون الرغبة في معرفة كنهها، أنا الفجوة بين من أكون ومن لا أكون، بين ما حلمت به يوماً وما حولتني إليه الحياة، إنني التجسيم المعنوي للأشياء العادية والتي ليست في الحقيقة أشياء، وأنا مثلها لا شيء.

السُحب .. تلك اللاطمأنينة التي أشعر بها، وعدم الراحة الذي أحس به حين أفكر، والعبث الذي يجتاحني حين أشتهي.

لا تزال السُحب تمر أمامي، بعضها كبير وكأنها ستملأ العالم أجمع- رغم صعوبة التأكد من ذلك بسبب المباني التي تمنعنا من رؤية حجمها الحقيقي- وهناك سحب أخرى ذات حجم غير مُحدَد؛ فهي ربما سحابتان متلاصقتان أو سحابة واحدة ستنفصل إلى سحابتين، أحجامها غير ذات معنى مقارنة بمرتفعات السماء المُتعَبة، أما في جانب السماء البارد المنعزل فتجد السحب الصغيرة التي تبدو كلعب لكائنات قوية، ككرات غريبة الشكل للعبة سخيفة.

أيتها السُحب، إنني أشك في نفسي ولا أعرفها، لم ينفع أي شيء فعلته أحداً ولن ينفع أحداً ما سأفعله في المستقبل، لقد أضعت جزءاً من حياتي في محاولة مضطربة لتفسير العدم، أما بقية حياتي فقد أفنيتها في كتابة أبيات الشعر هذه وحولتها إلى نثر لأتواصل بها مع حواسي غير القابلة للتواصل، أبياتي ونثري هما وسيلتاي الوحيدتان؛ لأجعل الكون الغامض ملكاً لي.

إنني مللت من نفسي شخصياً وموضوعياً ومللت من كل شيء، حتى لا شيئية اللاشيء، أما السحب فتمثل كل شيء: إنها قطع الجو المُفككَة، وهي

الأشياء الحقيقية الوحيدة بين الأرض عديمة القيمة والسماء عديمة الوجود، وهي أسمال الضجر البالية التي لا توصَف والتي أنتمي أنا إليها، هي أيضاً الضباب المتكثف في شكل تهديدات عديمة اللون؛ وحشوات القطن المتسخة في مستشفي بلا جدران.

إن السُحب تشبهني فهي طريق خرِبٌ بين السماء والأرض يقع تحت رحمة دافع خفي، ترعد أو لا ترعد، تمنح البهجة بلونها الأبيض وتنشر الكآبة حين تصطبغ بالأسود؛ السُحب روايات ضالة في الفراغ، بعيدة عن ضوضاء الأرض، لكن محرومة من سلام السماء.

تستمر السُحب في السير، دائماً تسير وسوف تسير في تموج متقطع لشلات الغزل ذات اللون الفاتر، وفي مد متناثر للسماء الزائفة المكسورة.

يغادر اليوم في سلاسة على ضوء نور بنفسجي مُتعَب، أما أنا فلن يستطيع أي شخص معرفتي أو معرفة من كنته في سابق الأيام، لقد هبطت من الجبل المجهول إلى الوادي المجهول وكانت خطواتي في المساء المتخاذل آثار أقدام تُركَت أثناء إزالة الغابات، لقد نسيني كل من أحببت في غمرة الظلال ولم يهتم أحدهم بمعرفة موعد ذلك الزورق الأخير، كما فقد مكتب البريد كل المعلومات التي تخص الخطاب الذي لم يكتبه أحد.

كان كل شيء زائفاً فهم لم يقصوا أي من الحكايات التي لم يقصصها أحد عليهم، ولن يعرف أحدهم بالتأكيد خبراً عن ذلك الذي غادر منذ زمن بعيد واضعاً أمله في الرحلة الزائفة كابن الضباب وعدم اليقين الآت، إن اسمي من بين أسماء أولئك المتلكئين، أُدعى "الظل" كما تُدعى كل الأشياء الأخرى.

الغابة:

إن المظلة لم تكن حقيقية، كانت المظلة القديمة لطفولتي المفقودة! انسحبت مثل الضباب ومرت كشيء مادي عبر الجدار الأبيض لغرفتي الحقيقية، وظهرت من خلال الظلال صغيرة ومختلفة، مثل الحياة والنهار، مثل صرير العربة، مثل صوت السوط الخافت الذي يحث العضلات على التجلد في الجسد المنبطح لحيوان مُتعَب.

كم من أشياء اعتبرناها صحيحة وحقيقية وهي-في الواقع- مجرد بقايا من أحلامنا وأشكال لعدم فهمنا تمشي أثناء نومها، هل يعلم أي منا ما هي الأشياء الصحيحة والحقيقية؟ كم من أشياء اعتبرناها جميلة لم تزد عن كونها مجرد موضة يومها أو جزء صغير من الوقت والمكان؟ كم من أشياء اعتبرناها ملكنا وهي غريبة تماماً عن دمائنا ونحن ببساطة مراياها المثالية أو غلالتها الشفافة التي تتدثر بها؟ كلما تأملت أكثر في قدرتنا على خداع الذات تنهار أمامي المزيد من المُسلَمات وتنزلق من بين أصابعي مثل الرمال، وعندما يصبح هذا التأمل إحساساً يغيم على ذهني يبدو العالم كله في نظري كضباب مصنوع من الظلال أو شفق حي في الزوايا أو روايات كُتِبَت في فترة فاصلة، يبدو كفجر لا يستحيل صباحاً أبداً، ويتحول كل شيء إلى مطلق ميت في نفسه، إلى جمود في التفاصيل، وحتى حواسي-التي أحول تأملاتي إليها لأنساها- تغدو نوعاً من الثبات، وتصبح من منتجات الظلال والارتباك البعيدة والمتفرعة والمائعة.

أستطيع أن أفهم بسهولة نظرة الزاهدين و المعتكفين في مثل هذه الأوقات، فهل أستطيع أن أفهم كيف لشخص أن يبذل مجهوداً نيابة عن الغايات المطلقة أو أن ينتمي إلى عقيدة تحتاج جهداً للالتزام بتعاليمها؟ لو كان الأمر بيدي لابتدعت جماليات متكاملة عن اليأس وإيقاعاً داخلياً مثل سرير الطفل الهزاز الذي يطير بسبب ملاطفات الليل له إلى أوطان أخرى بعيدة.

اليوم-وفي أوقات مختلفة- قابلت بالصدفة صديقين نشأت بينهما مشاجرة وحكى لي كل منهما روايته عن سبب التشاجر؛ أخبرني كل منهما الحقيقة وأعطاني أسبابه، كان كلاهما على صواب وحق، لم ير أي منهما المشاجرة بطريقة لم ينتبه الآخر إليها ولم ير أحدهما جانباً واحداً من الحدث بينما رأي الثاني جانباً مختلفاً، إطلاقاً، رأى الاثنان الأشياء مثلما حدثت بالفعل ووفقاً لنفس المعايير، ولكنهما-رغم ذلك- رأيا أشياءً مختلفة؛ لذلك فالاثنين كانا على حق، وقد حيرني كثيراً هذا الوجود المزدوج للحقيقة!

وكما أننا جميعاً لدينا نوعاً من الميتافيزيقا–سواء أدركنا ذلك أم لم ندرك- فلدينا أيضاً-سواء اعترفنا أو أنكرنا- أخلاقيات.

أملك أخلاقيات بسيطة جداً: فلا أفعل بأحد خيراً أو شراً. لا أفعل الشر لأن العدل هو أن يتمتع الآخرون بنفس الحقوق التي أطلبها لنفسي– أي ألا يتعرض أحدهم للمضايقات-، ولا أفعل الشر أيضاً لأنني لا أعتقد أن العالم يحتاج لأكثر من الشرور الموجودة فيه بالفعل؛ فنحن نعيش في هذا العالم كمسافرين على متن سفينة تبحر من ميناء مجهول إلى ميناء آخر ويجب أن نعامل بعضنا البعض باللياقة التي يكنها المسافرون لأقرانهم.

ولا أفعل الخير؛ لأنني لا أعرف ماهية الخير، ولا حتى إن كان حقاً خيراً إذا فعلته، فكيف لي أن أعرف عن الشرور التي ربما أرتكبها عندما أتصدق على متسول؟ كيف لي أن أعرف بخصوص الشرور التي قد تنتج عندما مساعدتي أو تعليمي أحدهم شيئاَ؟ وبما أنني لا أعرف لذا أمتنع عن فعل الخير، هذا إلى جانب أنني أعتقد أن مساعدتي أو إيضاحي شيئاً ما لأحدهم هو بمثابة ارتكاباً للشر عن طريق التدخل في حياة الآخرين.

إن التعامل بلطف مع الآخرين يعتمد على نزوات مزاجنا ونحن لا نملك الحق في أن نجعل الآخرين ضحايا لنزواتنا مهما كان أولئك الآخرين طيبين

أو متحلين بالإنسانية. إن أعمال الخير من الإملاءات ولهذا السبب أمقتها بشكل قاطع.

وهكذا أرى -من الناحية الأخلاقية- أنه بما أنني لا أفعل الخير للآخرين فأنا أيضاً لا أتوقع منهم أن يفعلوا الخير معي، فأكثر شيء أكرهه عندما أمرض هو شعور أحدهم بالواجب تجاه رعايتي أثناء مرضى فهذا شيء أكره أن افعله للآخرين. لم أزر صديقاً مريضاً قط، وكلما مرضت وزارني أحدهم دائماً ما أشعر بالإهانة والانتهاك غير المُبرَر والمتعَمد لخصوصيتي؛ كما أنني لا أحب أن يمنحني أحدهم شيئاً حيث يلزمني هذا بأن أمنحهم شيئاً في المقابل، سواء كان هذا الشيء لهم أو للآخرين، لا فرق.

إنني اجتماعي جداً، شخص غير مؤذ، ولكنني لست أي شيء أكثر من ذلك ولا أريد أن أكون أي شيء أكثر من ذلك ولا أستطيع أن أكون أكثر من ذلك. أشعر دائماً بولع فكرى تجاه كل شيء موجود، لكن هذا الولع الخارجي لا يوقر في قلبي، لا أؤمن بشيء، وليس لدى أمل في شيء، أو إحسان إلى أي شيء. إنني مشمئز وغاضب من النفوس الصادقة كل الصدق والروحانيين بكل صوفيتهم، أو بالأحرى أشعر بالاشمئزاز والغضب من صدق النفوس الصادقة وصوفية الروحانيين؛ هذا الاشمئزاز هو في الأغلب جسديّ خصوصاً حين يمارس الروحانيون أنشطتهم محاولين إقناع الآخرين بمذاهبهم ومتطفلين على إرادتهم ساعين إلى اكتشاف الحق وإصلاح العالم.

أعتبر نفسي محظوظاً؛ لأنه لم يعد لدى عائلة حيث يزيل ذلك عنى الواجب وضرورة حب بعض الأشخاص وهو ما أعتبره نيراً على كاهلي، أما أي حنين أشعر به فهو حنين أدبي، أتذكر طفولتي فتدمع عيناي لكنها دموع إيقاعية يتكون بها النثر، أتذكر طفولتي كشيء خارجي وتذكرني بها أشياء خارجية أيضاً، أنا أتذكر فقط الأشياء الخارجية، لا يذكرني سكون الليالي في الريف بطفولتي التي قضيتها هناك، لكن ما يذكرني هو الطريقة المُعدة

بها المنضدة لشرب الشاي، وأسلوب ترتيب الأثاث في الحجرة، والوجوه والإيماءات الجسدية للناس.

أشعر بالحنين للمشاهد؛ ولهذا السبب تحركني طفولة أي شخص أخر كما تحركني طفولتي، كلاهما مظاهر بصرية بحتة من الماضي لا أستطيع فهمها أو استبطانها، هي مظاهر إدراكي لها أدبياً وهي تحركني فعلاً، ولكن لأنني أراها وليس لأنني أتذكرها.

لم أحب أي شخص على الإطلاق، وكان أكثر ما أحببته أحاسيسي؛ حالات من التأمل الواعي، انطباعات مرتبطة بالاستماع باهتمام وعبير من خلاله يحدثني تواضع العالم الخارجي عن أشياء من الماضي-من السهل تذكرها من خلال روائحها- تعطيني حقيقة وإحساس يتجاوز الواقع البسيط وهو أن الخبز يُخبَز في المخبز، أشياء مثل الإحساس الذي انتابني في ظهر ذلك اليوم البعيد عندما كنت عائداً من جنازة عمى الذي أحبني كثيراً، وأحسست وقتها بنوع من الارتياح العذب لسبب ما لم أكن متأكداً من ماهيته.

هذا هو مذهبي في الأخلاق، هذه هي الميتافيزيقا التي أؤمن بها وهذا هو أنا: العابر بكل شيء حتى روحي، أنا اللامنتمي لأي شيء والمتمني للاشيء، أنا لا شيء، لست إلا مركزاً مُجرداً من الأحاسيس المجهولة، أنا مرآة حساسة واعية تعكس تنوع العالم؛ لا أدرى حقاً إن كنت سعيداً بهذا الحال كما أنني لا أهتم لذلك.

إن الانخراط في التعامل مع الآخرين هو دافع ميتافيزيقي مُروِع؛ فالروح الممنوحة للأفراد يجب أن لا تُقرَض لعلاقاتها مع الآخرين، والحقيقة الإلهية للوجود يجب أن لا تستسلم للحقيقة الشيطانية للتعايش، عندما أتعامل مع الآخرين؛ فهناك على الأقل شيئاً واحدا أخسره وهو العمل بمفردي، عندما أشارك الآخرين يبدو أنني أتوسع في علاقاتي، لكنني في الحقيقة

أحّد من نفسي؛ فالتعامل مع الآخرين هو الموت بالنسبة إليّ. إن الحقيقة الوحيدة بالنسبة لي هي الوعي بنفسي أما الآخرين فهم ظاهرة ضبابية في هذا الوعي من المُروِع أن ننسب إليهم الكثير من الحقيقة.

إن الأطفال -الذين يريدون دائماً التصرف بحرية- هم الأقرب إلى الله؛ لأنهم يريدون أن يتواجدوا، أما نحن كراشدين، فتُختزَل حياتنا في إعطاء صدقة للآخرين وتلقيها منهم مرة أخرى لنشتت شخصياتنا في عربدة التعايش ولتخدعنا كل كلمة منطوقة، أما الكلمات المكتوبة فهي الشكل الوحيد المقبول للتواصل؛ لأنها ليست حجر عثرة على الجسر بين الأرواح ولكن شعاع من النور بين النجوم، يمثل الشرح عدم إيمان، أما كل الفلسفات، فهي دبلوماسية مرتدية رداء الخلود؛ الفلسفة مثل الدبلوماسية ليس لديها جوهر حقيقي؛ فهي ليست مستقلة ولكنها توجد كلياً وحرفياً نيابة عن غاية ما.

إن المصير النبيل الوحيد للكاتب الذي ينشر أعماله هو أن يُمنَع الشهرة التي يستحقها، لكن المصير النبيل الحق لا يمتلكه سوى الكاتب الذي لا ينشر أعماله أبداً، لا أعني هنا الشخص الذي لا يكتب فهو إن لم يكتب لا يُعتبَر كاتباَ، إنما أقصد الكاتب صاحب الفطرة والطبيعة الذي تمنعه حساسيته الروحية البالغة من عرض ما يكتبه.

الكتابة هي أن نجسد أحلامنا ونخلق عالماً خارجياً كمكافأة مادية لطبيعتنا كمبدعين، النشر هو أن نعطى عالمنا الخارجي للآخرين ولكن ماذا لو كان هذا العالم الخارجي الشائع بالنسبة لنا ولهم هو العالم الخارجي "الحقيقي"، هو العالم المصنوع من أشياء مادية محسوسة ومرئية؟ ما الذي يجب على الآخرين أن يفعلوه تجاه الكون الموجود بداخل كياني؟
ما لا أريد.

إن الحزن الشديد يكمن في كل الأشياء العظيمة، في الجبال العالية،

والرجال العظماء، والليالي الصعبة، والأشياء الجميلة التي لا نهاية لها.

يمكن أن نموت إذا كان كل ما فعلناه هو الحب؛ فأنا أحببت مرة واحدة حباً حقيقياً، فقد كنت دائماً أتعامل بطريقة ودية، حتى مع الناس الذين يتعاملون بفظاظة، أو الذين يتعاملون معي بلامبالاة. وتتحول هذه العلاقة مع بعض الأشخاص ربما نتيجة معاملتي الودية وتشجيعي لهم إلى حب، ولكن لم يكن لدي الصبر أو القدرة على التركيز كي أبذل المزيد من الجهد معهم.

فكرت في وقت من الأوقات في أن أوجه اللوم إلى الخجل المسئول عن اللامبالاة التي أشعر بها تجاه هذا الموضوع، ولكن يجب أن أدرك أنه في الواقع لا يجب وضع العواطف في مواجهة الملل، وينبغي عدم الخلط بينها في حياتنا؛ فلم يكن لدي الصبر لأترك نفسي تتجه لهذه المشاعر، خاصة عندما يتطلب ذلك مغامرة.

"لماذا"؛ فالتفكير جزء مني؛ لهذا لا أفكر؛ فلدي المرونة الفكرية والبصيرة النفسية لمعرفة "كيف" و "كيف من كيف" وما يهرب.

إن ضعف إرادتي قد بدأت عندما أصبحت الإرادة لا تمتلك أي إرادة. هذا هو الحال في عواطفي، وكذلك في تفكيري، وفي إرادتي، وفي تعاملاتي مع الحياة، ولكن في بعض الأحيان عندما تدفعني الظروف بشكل عابث لأن أفترض أنني أحببت، وتثبت لي أن الشخص الآخر يحبني، يكون رد فعلي هو الحيرة والارتباك، وكأنني فزت بجائزة كبرى من عملة غير قابلة للتحويل.

من هنا، فكل إنسان لا يمكن أن يتجنب إنسان آخر، وشعرت بزهو بهذه العاطفة. ومع ذلك، تبدو وكأنها أكثر شيء طبيعي ثم تتلاشى بسرعة. ويتبع ذلك شعور بعدم الارتياح يصعب تحديده، ولكنه مكون من الملل، ومن

الذل، والضجر. من الملل، وكأنه مصير اضطرني لكي أشغل أمسياتي ببعض الأعمال الغريبة والغير مألوفة. من الملل، وكأنه واجب جديد- ومعاملة فظيعة بالمثل- فرضت علي بسخرية وبامتياز والذي من المتوقع بعدها ذلك أن أشكر المصير بشدة. من الملل، كما لو كانت وتيرة الحياة الغير منتظمة غير كافية، لذلك فشعور الرتابة يأتي في مقدمة المشاعر الواضحة التي أشعر بها. الذل، نعم الذل؛ فقد استغرقت الكثير لفهم وجود هذا الشعور الذي لم يبدو سببه واضحاً على الإطلاق.

يجب أن أحب لوجود الحب، وينبغي أن أفتخر بأن شخصاً ما يهتم بي على أنني إنسان محبوب، ولكن بعيداً عن شعوري البسيط بالغرور - وحتى يمكن أن يكون قد تكون من مفاجأة أكثر من الغرور نفسه- أو من خبرة الإذلال، فقد شعرت بأنني أعطيت الجائزة لشخص آخر، الجائزة التي كانت أقيم شيء يُعطى للفرد الذي يستحقه ولكن؛ أكثر من ذلك، فقد شعرت بالتعب.

التعب الذي يعقب كل ملل؛ فقد فهمت عبارة شاتوبريان والتي تعني أنني بسبب قلة خبرتي دائماً أتبع الهروب. حيث يكتب شاتوبريان عن رينيه، وشخصيته التي أُنهكت لكي يكون محبوباً، فقط كالتعب الذي أشعر به، وقد أدركت وأنا في حالة من الدهشة أن هذه التجربة مطابقة لتجربتي؛ ولذلك لا يمكنني إنكار صحتها. التعب من أنني أكون محبوباً، وأن أكون أحب حقاً! التعب من أن أكون هدفا لمشاعر الآخرين المرهقة! بالطبع، تعب من رؤية نفسك، عندما تريد أن تبقى حراً للأبد؛ فقد تحولت إلى صبي من واجبه أن يرد بالمثل، ويمتلك اللباقة، ولكن ليس للعواطف حتى لا يُظن أنك فارس في العواطف وترفض أسمى المشاعر التي تسعى إليها الروح البشرية. تعب من أنك أصبحت تعتمد على علاقة مشاعر مع شخص آخر! تعب من حاجتك لأن تشعر بشيء، ومن أنك على الأقل بحاجة لأن تشعر بحب الشخص الآخر لك، حتى إذا لم يكن حباً حقيقياً. فكما جاء،

ذهب، واليوم لا يتبقى سوى سلسلة من الأوهام في فكري أوعواطفي.

إن هذه التجربة لم تكسبني أي خبرة، والتي يمكن أن استنتجها من قوانين الحياة، ولكن يمكن أن أعرفها بغريزتي لأنني إنسان. إنها لم تعطني أي سعادة لأعود للماضي أو أن أندم عليه، ولا يمكن أن أتذكر الحزن مع الندم بنفس الدرجة.

كل ذلك يبدو وكأنني قرأته في مكان ما، مثل الحادث الذي حدث لشخص آخر، وكالرواية التي قرأتها حتى منتصفها، أما النصف الآخر فقد فقدته، ولكن لم أهتم لفقدانه، لأن كل شيء كان في النصف الأول من القصة، على الرغم من أنه لم يكن له معنى، وقد أدركت أنه لا يمكن أن يكون له أي معنى بغض النظر عما حدث في النصف المفقود. وكل ما تبقى هو شعوري بالعرفان بالجميل للشخص الذي أحبني، ولكنه كان شعورا مجردا وعرفانا بالجميل مرتبك أكثر من التفكير في العاطفة.

آسف لأنني تسببت في أن يشعر شخص بالحزن، آسف على ذلك، على ذلك فقط. إنه لم يكن من المحتمل أن تعطيني الحياة فرصة لقاء آخر مع المشاعر الطبيعية. كنت أتمنى أن تفعل ذلك، لأعرف كيف سيكون تفاعلي في المرة الثانية بعد أن قمت بتحليل تجربتي في المرة الأولى، ربما كنت سأشعر بعاطفة أقل أو عاطفة أكثر. إذا أحضرها لي المصير ربما ستكون أفضل؛ فأنا فضولي في مشاعري، بينما لم يكن لدي الفضول تجاه الحقائق، مها كانت أو ستكون.

لتستسلم للا شيء، سواء لرجل أو حب أو لفكرة، ويكون لديك الاستقلالية في عدم الاعتقاد في الحقيقة أو حتى في فائدة من معرفتها (إذا كانت موجودة). هذا يبدو لي اتجاه صحيح للحياة الفكرية لهؤلاء الذين لا يستطيعون العيش دون تفكير؛ فالانتماء في هذا الموضع مرادف للتفاهة؛

فالعقائد والغايات والمرأة والمهنة كلها سجون وقيود. فلكي تكون، يجب أن تكون حراً. فحتى الطموح إذا كنا نفتخر به فهو عائق؛ فنحن لن نكون فخورين به إذا اعتقدنا بأنه يسحبنا.

لا توجد قيود على أرواحنا، لا بد من التحرر من جميع القيود، حتى التحرر من أنفسنا ومن الآخرين، يجب علينا تأمل الأشياء دون الانجراف نحوها، نفكر دون محاولة للوصول إلى استنتاجات، علينا التحرر من الإله. كل ذلك سيجعلنا نعيش لحظات من السعادة تضعنا في ساحة السجن الذي نتلهى فيه بجلادينا، وغداً سنواجه المقصلة، وإن لم يكن غداً، سيكون اليوم.

دعنا نتجول تحت ضوء الشمس قبل أن تأتي النهاية، متناسين عن عمد كل المطاردات التي تحدث أثناء السير على الرمال البارزة. وسيكون الهواء بارداً لهؤلاء الذين يأملون في هدوء. أرمي قلمي على سطح المكتب المائل، وأشاهده وهو يتدحرج دون محاولة مني لالتقاته. شعرت أن كل هذا حدث دون سابق إنذار.

***

ملاحظات على قاعدة من قواعد الحياة:

إن الحاجة لأن تسيطر على الآخرين هي ذاتها الحاجة للآخرين، فحت القائد يعتمد على من حوله.

عند إظهار قوة الشخصية دون محفز خارجي يعمل على إظهاره، لا تطلب شيئا من الآخرين، ولكن كن مع الآخرين عندما تكون في حاجة إليهم. قلل ضرورياتك إلى الحد الأدنى؛ حتى لا تعتمد على أي شخص في أي شيء. صحيح أن مثل هذه الحياة مستحيلة، ولكنها ليست بدرجة كبيرة.

دعونا نتأمل رجل يملك ويدير شركة "أوس"، في هذه الحالة يجب أن يكون قادراً على العمل بدون موظفيه، ويجب أن يكون قادراً على أداء مهام عمله، ليتقدم بالشركة. لذلك يجب عليه أن يعتمد على الآخرين لأن هذا الأمر سيوفر الوقت، وذلك ليس لأنه غير كفء.

دعه يطلب من العامل أن يضع رسالة في صندوق البريد، فهو لا يريد أن يضيع الوقت في الذهاب إلى صندوق البريد، وليس لأنه لا يعرف مكان مكتب البريد.

دعه يطلب من المحرر أن يعتني بشيء معين، لأنه لا يريد تضييع الوقت في ذلك، وليس لأنه لا يعرف كيف يعتني بهذا الشيء.

***

لا يوجد جائزة للفضيلة، ولا عقوبة للمعصي

لن تكون هذه الجوائز أو العقوبات حق في هذا الوجود؛ فالفضيلة والخطيئة مظاهر حتمية في نظام الكائنات الحية المدانة لشيء واحد أو لآخر، لخدمة أحكام هذا النظام لكونها جيدة أو كونها سيئة. وهذا هو السبب في أن كل الأديان تأخذ بمبدأ الثواب والعقاب الذي يستحقه الناس، هؤلا من كانوا لا شيء ولا يمكن أن يفعلوا شيئاً وبالتالي لا يستحقون شيئاً، كما هو الحال في عوالم أخرى حيث لا يوجد علم يثبت ولا إيمان يصف؛ لذلك، دعنا نترك كل المعتقدات الصادقة جنباً إلى جنب مع كل الخوف لتنعكس على الآخرين.

وقد قال جان غابيريل تارد "يجب البحث عن المستحيل في طرق غير مجدية."، فدعونا نبحث دائماً عن المستحيل لأنه مصيرنا، ودعونا نبحث عنه بهذه الطرق الغير مجدية؛ لأنه لا يوجد مسار من قبل أي وسيلة أخرى، ولكن دعونا نرتفع إلى مستوى الوعي بأن لا شيء نبحث عنه يمكن وجوده. فقد قال أحد أحد الحكماء أننا نشعر بالضجر من كل شيء ما عدا الفهم.

دعونا نفهم، ونحافظ على فهمنا. دعونا نقوم بعل طيف مزهر من هذا الفهم، دعنا نضفرها بدهاء ونضعها داخل أكاليل الزهور المحكوم عليها بالذبول أيضاً؛ فمعنى العبارة أحياناً يصعب فهمه. فنحن نمل من التفكير حتى نصل إلى نتيجة؛ لأننا مهما فكرنا أكثر وحللنا وميزنا سنصل إلى استنتاج أقل؛ لذلك فإننا نكون سلبيين تجاه ما نريد فهمه وتجاه شرح ما تم اقتراحه فقط.

إنه الاتجاه الجمالي؛ لأننا لا نهتم بأي من المقترحات صحيح، وكل ما نراه فيما فهمناه هو التفاصيل التفسيرية، وهو نوع من الجمال العقلاني الممنوح لنا. نحن نتضجر من التفكير، ولا من امتلاك أرائنا الخاصة في محاولة للتفكير من أجل التفاعل، لكننا لا نتضجر من الأخذ بآراء الآخرين، فقط لنشعر بفضولهم، ولا نتتبع إرشادهم.

***

منظر المطر

ساعة بعد ساعة، وطوال الليل، وحبات الأمطار تسقط. طوال الليل، حيث رفعت رأسي فجأة والتفت، إنها ضربات باردة تستقر على النوافذ. وأحياناً تهب عاصفة من الرياح، وتمرر يديها بسرعة فوق الألواح الزجاجية. وفي أوقات أخرى صوت الطين الذي يجعل كل شيء ينام تحته كأنه ميت. وروحي كما هي دائماً تكون إما بين البطانيات أو بين الناس، ولكنها تعي العالم بشكل مؤلم.

اليوم، يشبه السعادة، ولكني أظل أماطل لأجل غير مسمى. إذا لم يأتي اليوم الجديد والسعادة أبدا، فنحن على الأقل لدينا خيبة أمل في أن نحصل على ما ننتظره وما نتمناه.

كان صوت السيارة الذي يبدو في وقت متأخر من الليل وهي تتخبط بشدة فوق الحصى، كان الصوت عالياً وثابتا، وصوت الثرثرة تحت نافذتي

مسموع بشدة. ثم تلاشت بسرعة إلى نهاية الشارع، وتلاشى معها نومي، وأصبحت لا أستطع النوم ثانية. ومن وقت لآخر كنت أسمع باب الجيران يضرب بعنف، وفي بعض الأحيان كنت أسمع صوت خطى وعلى ما يبدو كانت الملابس رطبة.

ومرة أو مرتين كانت الخطوات العديدة تبدو مسموعة، ثم هدأت، وعاد الصمت، واستمر المطر في الهطول بغزارة.

إذا فتحت عيني من نومي الزائف، أستطيع أن أرى على جدران غرفتي المظلمة أحلامي التي أحاول تذكرها وأنا على فراشي وسط الأضواء الخافتة، والخطوط السوداء والأشكال الغامضة التي أراها تتحرك صعوداً وهبوطاً. كنت أرى القطع المختلفة من الأثاث أكبر مما كانت عليه والكثير منها لا يمكن رؤيته بسبب الظلام، وكان الباب لا يمكن تمييز لونه هل كان أبيضا أم أسودا، فهو يختلف في الليل فقط. أما النوافذ فكنت أسمعها ولا أراها.

ومرة أخرى همهمات غامضة من المطر تمر علي سريعاً، ويصاحبها تأخر الوقت. وإحساسي بالوحدة ينمو ويعم ويجتاح كل ما شعرت به، وما أردته، وما كنت أود أن أحلم به.

كل الأشياء في الغرفة غامضة، وتشاركني الأرق في الظلام، وانتقلت بأحزانها إلى وحدتي . وأصبح الضوء خافتاً للغاية، الضوء الأصفر الذي يميل للبياض، وكانت المسافة بين الأشياء تتزايد، والأصوات مختلفة ومنفصلة وبعيدة عن بعضها البعض. وبمجرد سماعها تتوقف فجأة وكأنها قُطعت.

أحسست أن الحرارة الشديدة تحولت إلى البرودة على الرغم من أنها مازالت حرارة . وتظهر فقط شجرة من بين أقفال النافذة لونها أخضر، ولكن شكلها تبدو عليه الغرابة وقد امتزج بالصمت، والجو مثل الزهرة التي أغلقت بتلاتها، وتكوين الفضاء نفسه كأنه علاقات مختلفة بين شيء

له خطط قد تغيرت ومجزأة بالطريقة التي تبدو أضواء وألوان في الفضاء. وحتى بعض أحلامنا العادية تأتي من الأشياء التي تبغضها أرواحنا، ولا أحد يحاول الاعتراف بها، إنها تؤذي ليالينا مثل الأشباح القبيحة، تبدو كالفقاعات العكرة بسبب الطين الموجود بشعورنا المكبوت، وأيضاً من الأشياء السخيفة والمخيفة التي لا توصف بأرواحنا والتي مع القليل من الجهد يمكننا التعرف على أماكنها.

إن النفس البشرية هي مستشفي الأمراض العقلية للأشياء الخيالية المتنافرة؛ فإذا كانت الروح قادرة على كشف نفسها بصدق، ولو كان خجلها واحتشامها لم يكن أعمق من كل الأعمال المخزية المعروفة، فإنها ستكون بئرا، ولكن ستكون البئر الشرير المليء بالأصداء الغامضة التي تسكنها الأصداء البغيضة، والرخويات الميتة والمخاط؛ كل ذلك سيأخذك لعمل قائمة من الوحوش تتمثل في الكلمات والأشياء والليل الذي سيأخذك إلى النعاس، ولكنك لا تستطع النوم. هذه الأشياء تمتلك الأحلام المشوشة دون عذر للنوم، إنها تُحلق مثل الخفافيش فوق الروح السلبية، أو مثل مصاصي الدماء الذين يمتصون الدماء من خلال الخضوع. إنهم اليرقات الموجودة تحت الحطام على سفح التل، والظلام الذي يعم الوادي، والبقايا التي تركها القدر، وأحياناً تكون الديدان المقززة للنفس جداً. وأحياناً تكون الأشباح ثعالبا شريرة تلتف حول اللا شيء. وأحياناً تخرج فجأة مثل الثعابين عندما تخرج من تجاويف العواطف المستهلكة. فالحصى الزائف مقيد بلاشيء، ولكن يقدم لنا الفائدة، إنها شكوك من الهاوية والتي تسحب برودتها وأجسامها المنزلقة عبر الروح. ويتمسكون بها مثل الدخان ويتركون المسارات، ولا يصلون إلى أكثر من حقيقة جدباء من خلال إدراكنا لها.

واحد أو أكثر يشبه إعادة الصياغة الداخلية والإثارة بين الأحلام، والبقية تتمثل في كيفية إدراكنا لهم.

إن المشاهد العظيمة تنتمي إلى الغد، ونحن نعيش الآن، ويتم تجاهل المحادثات القصيرة. من يظن أن الحياة ستتحول إلى مثل هذا الحال؟

إنني فقدت نفسي، وأشك في قدرتي على الاستكشاف؛ فأنا لا أملك ما حصلت عليه.
أنام كأنني أنجذب للسير، ولكني مستيقظ، وأستيقظ كما لو كنت نائماً، وكأنني لا أنتمي لنفسي؛ فالحياة في جوهرها أكبر أرق، وهذا ما نفكر فيه، أو هو ما يحدث لنا في ذهول جلي.

سأكون سعيداً إذا استطعت النوم، هذا ما أفكر فيه الآن؛ لأنني لم أكن نائماً؛ فالنوم عبء كبير يختفي خلف بطانية صامته من الأحلام التي أختنق بها، أشعر وكأنني أصبت بعسر هضم فكري. وبعد أن ينتهي هذا سيأتي الصباح كما هو الحال دائماً، ولكن سيكون متأخراً جداً كما هو الحال دائماً. كل شيء ينام سعيداً إلا أنا؛ فقد بقيت قليلاً دون أي محاولة للنوم.

ورؤس ضخمة من الوحوش الغريبة تأتي في فوضى من الأعماق، إنها التنانين الشرقية قادمة من الهاوية بألسنتها الحمراء متدلية للخارج، وعيون القاتلة تحدق في حياتي الهامدة.

لحسن الحظ، بأت خيوط الظلام تتبدد، وبا الصبح مبعثا على الانطلاق، يبعدني عن هذا القلق الذي جعلني أنعزل. ويصيح الديك بعبثية وسط المدينة معلنا عن بدء يوم شاحب في نعاسي الغامض. أخيراً، سأنام، وضجيج عجلات يخبرني أن هناك عربة، فتنام جفوني، وليس أنا. كل شيء في النهاية هو القدر. يبدو مثالي بالنسبة لي أن أكون متقاعدا عن العمل.

إنه لمن السيئ أن يكون لكل شيء نهاية، فرغبتي الشديدة لأكون كاملا وضعتني في هذه الحالة من الأسف الغير مجدي، والإخفاق المأساوي في

الحياة. فطرافتي هي شقيقة المزح.

وفي حالة القلق المفزع من غروب الشمس، وخجل الفجر المستتر، دعنا نجلس هنا. فمن هنا يمكننا أن نرى السماء كلها، أنها مساحة شاسعة من النجوم العالية تبعث على الهدوء؛ فآلام الحياة تقل عندما ننظر إليها، نسمة من الهواء من مروحة الغيب تنعش الوجه المتعب في حياتنا؛ فالنفس البشرية ضحية الألم الذي يستخدم ألم المفاجأة المؤلمة حتى مع الأشياء التي يجب أن تتوقع ذلك؛ فالرجل الذي يتحدث دائماً عن الغدر والخيانة كسلوك طبيعي في المرأة، سيشعر بدمار تسببه له مفاجأة حزينة عندما يكتشف خيانة حبيبته له، تماماً كما لو كان عنيداً ويصر على أن الإخلاص عقيدة وشرعية متوقعة عند المرأة. ورجل آخر، مقتنع أن كل شيء عميق وفارغ، سيصعق عندما يعلم أن ما يكتبه يعتبر لا قيمة له، وأن مجهوده الذي يبذله لتثقيف الناس لا فائدة منه، وأنه من المستحيل أن يظهر مشاعره.

إننا لا نحتاج لأن نفترض أن هؤلاء الذين لديهم هذه المعاناة ونفس الكوارث كانوا غير صادقين فيما يقولون أو يكتبون، حتى لو كانت هذه الكوارث يمكن توقعها من خلال كلماتهم؛ فالصدق في الناحية الفكرية لا يمكن أن يفعل شيئاً مع بداهة العاطفة الذاتية.

يبدو أن الروح يمكن أن تعطي مثل هذه المفاجآت بمجرد أنها تريد تقليل الألم؛ لذلك سيبقى ذلك خزي، بحيث يكون لها نصيب من الحزن في الحياة.

إننا جميعاً متساوون في قدرتنا على الخطأ والمعاناة. فقط أولئك الذين لا يشعرون هم الذين لا يمتلكون خبرة الألم. والرجال الأخطر والأكثر ملاحظة والأكثر تعقلاً هم الذين يعانون ويحددون بدقة ما يتوقعونه وما يهينهم. وهذا هو ما يعرف باسم الحياة.

نرى فيها كل الأشياء التي تحدث لنا كتسلسل أحداث الرواية، ولكننا نقرأها من خلال معايشتانا لها. ومن خلال ذلك يمكننا التغلب على ما يواجهنا من الصعاب التي نمر بها كل يوم، فتتابع أحداث الحياة يشعرني بالراحة حتى ولو كان بنسبة بسيطة.

إننا بذلك نظلم الحلم ظلما بيناً. فكل جهد يبذل من أجل تغيير الواقع حتى يتم التغلب على العقبات التي تواجه البشرية يبدو أكثر غموضا من محتوى أحلام اليقظة.

منذ أن كنت طفلاً، كان الفشل الذريع هو الداعي الحقيقي للانسحاب من كل شيء حتى من نفسي فكان هذا الأمر رد فعل طبيعي لكل ما واجهته.

إنني أمتنع عن معاونة الآخرين، حتى ولو كان ذلك من باب التطفل طالما أن حاجتي قد قضيت، فمن هنا أكون قادراً على رؤية العالم الخارجي بموضوعية كاملة. حيث لا يوجد لي مصلحة تجعلني أفكر في ضرورة تغيير ذلك، وأنا لا أغيره، ولهذا أنا قادر على تغييره.

في منتصف القرن الثامن عشر، اجتاح تغيير رهيب كل البلاد فعصف بحضاراتها. فسبعة عشر قرناً من ثبات المسيحية على مطامحها، وأيضاً قرون من التأجيل للأبد للمطامح الوثنية؛ حيث فشلت الكاثولوكية كمسيحية، وفشل عصر النهضة الوثنية، وفشل الإصلاح كظاهرة عالمية، تحطمت كل الأحلام، وتم تهميش كل ما تم تحقيقه، وحزن من يعيشون حياة بائسة بمشاركة الآخرين، وشاركنا البؤساء في حياتهم، كل هذه الأشياء تسقط على النفوس وتسممها.

إن هذه الأمور فوق احتمال العقل البشري، وتتألم الروح منها بالغ الألم مما يوثر ذلك على سائر الجسد. لهذا وُلد الأدب وصنع الفن من وكان في مرتبة

أقل من الفكر والرومانسية. وكانت الحياة الاجتماعية أقل قيمة من العمل وهذا ما عرف باسم الرومانسية الحديثة.

كل النفوس تولد من أجل رفض الاوضاع الراهنة. فقد ولدت النفوس لتبدع في مجتمع فيه القوى الإبداعية عقيمة، لا يوجد في هذا العالم ما يحقق رغباتهم ويجذبهم للعيش فيه؛ فنحن نطلق اسم رومانسيين على كل عظيم انتهى به الأمر إلى الفشل، وعلى الرجال الذين يظهرون أنفسهم كما هم، ويتمثل وجه التشابه بينهما في عدم قدرتهم على إعمال العقل؛ أما الحالة الثانية فهي تشير إلى قلة الذكاء.

كان شاتوبريان وهوغو وفيني وميشيل، كلهم يوجدون في عصر واحد، ولكن شاتوبريان هو روح عظيمة، ولكنها لا تقوى على العمل، وكان هوغو الروح الأقل التي تتلاشى برياح اليوم، وكان فيني عبقريا، أما مشيل المرأة فقد أجبرت على أن تكون رجلا عبقريا. وكان جان جاك روسو هو والد كل من فيني وميشيل، وكانت كل أهدافهم متزامنة. وقد كان جاك يمتلك ذكاء إبداعيا وقدرة على البذل والعطاء، فقد أفسدت حساسيته الاجتماعية نظرياته حيث كان ذكاؤة يتعارض مع وضوحه، وقد خدمه ذكاؤه فقط في التحسر بأسى على معيشته مع مثل هذه الحساسية.

أما روسو كان رجلا عصريا، ولكن أكثر اكتمالاً عن أي رجل عصري آخر، أدت نقاط ضعفه إلى فشله، فالحسرة له ولنا! كانت هناك قوى جعلته ينتصر، فجزء منه ذهب إلى الغزو، ولكنه عندما دخل المدينة وانتصر، كانت كلمة "هزيمة" يمكن قراءتها فقط أسفل رايات نصره.

وقد بقي جزء آخر منه بالخلف، غير قادر على الغزو والحصول على التيجان والصالوجانات، وقهر الحاكم والحصول على شهرة الغزو، طبقاً لمنطق مصيره الداخلي.

لقد ولدنا في عالم منذ قرن وظللنا قرنا ونصف في حالة نكران للذات وللعنف، وللرجال المرؤوسين وهو ما يسمى انتصار.

وأكبر محاولة يمكن أن تأكد نفسها في العصر الحديث توجد في العمل أو في التفكير أو في المجال السياسي أو في المجال النظري .

إن إعلان الأرستقراطية كان في جو يعمل على قمع الفنون، وكانت الفنون مثل الأحاسيس التي لا تجد مكاناً للجوء؛ فالاتصال مع الحياة هو أشد ألم للروح، فجميع الجهود شاقة؛ لأن الظروف الخارجية لبذل مجهود معين هي أكثر قبحاً للأبد.
وسقوط الأهداف الكلاسيكية جعل كل الرجال فنانين محتملين، ولذلك فهم فنانين سيئون.

فعندما يعتمد الفن على بنية ثابتة مع مراعاة ملاحظة القواعد، في هذه الحالة سيحاول قليلون أن يكونوا فنانين وسيكون عدد معقول منهم مُجيدا. وعندما لا يُفهم الفن على أنه إبداع ويصبح مجرد تعبير عن المشاعر، سيمكن لأي شخص أن يكون فنانا لأي شخص لديه مشاعر.
حتى لو أردت أن أبدع....

الحقيقة الوحيدة هي أن الفن بناء، ولكن الوسط في الوقت الحالي يجعل من المستحيل ظهور الصفات البناءة في النفس البشرية. وهذا ما أدى إلى تطور العلم. إن الآلات هي الأشياء الوحيدة الآن حيث لا يوجد بناء، والبراهين الرياضية هي الخلاصات الوحيدة من خلال تسلسل منطقي.

الإبداع يحتاج إلى دعم
على عكاز من الواقع
الفن هو العلم ....

إنها معاناة إيقاعية، لا أستطيع قراءتها بإحساسي النقدي، والملاحظة فقط هي المتاحة، وعيوب الأشياء لا يمكن إصلاحها.
لا أستطيع أن أحلم، فأحلامي مازالت حية فأنا أقارنها بالواقع، وأدرك بسرعة أنها غير حقيقية، وبالتالي فهي بلا قيمة.

لا أستطيع أن استمتع ببراءة، وأحدق في الناس والأشياء لرغبتي في تأثير عميق لا يرحم، واهتمامي لا يمكن أن يوجد بدون هذه الرغبة التي يجب أن يموت بيديها أو يذبل (من تلقاء نفسه). لا يمكن أن أكون راضياً بالتأملات الميتافيزيقية؛ لأنني أعرف جيداً ومن خلال خبرتي الشخصية أن كل الأنظمة يمكن الدفاع عنها وممكنة فكرياً. وللتمتع بالفن الفكري للأنظمة البنائية، يجب أن أكون قادراً على نسيان أن الهدف من التأملات الميتافيزيقية هو البحث عن الحقيقة. فالماضي السعيد هو تذكر أنني أيضاً سأكون سعيداً، مع أنه لا شيء في الوقت الحاضر يؤدي إلى السعادة أو حتى يهمني. مع عدم وجود أحلام، أو حتى إمكانية أن يكون المستقبل أفضل من الحاضر أو له ماضٍ آخر غير هذا الماضي! هنا تكمن حياتي، وأشعر بشبح من الجنة لا أعرفه أبداً، فهي جنة من آمالي الغير مُحققة.

هؤلاء الذين يشتكون من طبائع النفس البشرية، والذين يتلهفون بشدة إلى التغيير، ولكن لا يميزون بين الذي يعتقد على الأقل في الشك، والذي يمكن أن يجلس في الشمس بدون تحفظات عقلية.

مقتطفات من سيرة ذاتية

في البداية كنت مستغرقاً في التأملات الميتافيزيقية، ثم في الأفكار العلمية، وفي النهاية جذبتني المفاهيم الاجتماعية، ولكني لم أشعر بالراحة أو الاطمئنان في أي مرحلة من مراحل بحثي عن الحقيقة؛ فأنا لم أقرء كثيراً في هذه المجالات المختلفة، ولكن ما قرأته كان كافياً ليجعلني قلقاً من النظريات الكثيرة المتناقضة، التي تركز كلها على الأسس المنطقية المتطورة، وكلهم متساويين في الاحتمال، والتوافق بين اختيارت الحقائق التي أعطت دائماً انطباعاً عن وجود كل الحقائق.

وإذا رفعت عيني المتعبتين عن الكتب، أو أتحول بشكل محير من التركيز على أفكاري إلى العالم الخارجي رأيت شيئا واحداً فقط يمزق واحدة تلو الأخرى من بتلات فكرة المجهود وإقناعي بأن كل القراءات والتفكير بلا فائدة. وما رأيته كان تعقيداً للأشياء، ومع كل هذه المجموعة الضخمة كانت الحقائق القليلة ضرورية لتشكيل العلم. واكتشفت تدريجياً الإخفاق في اكتشاف أي شيء؛ فأنا لا أستطيع أن أجد أي مبرر أو منطق لأي شيء ما عدا الشك الذي لم يسعى حتى لمنطق تبرير الذات. لم أفكر أبداً في أن أعالج نفسي من هذا. وبالفعل لماذا لم يتم الشفاء منه؟! ماذا يعني أن أتمتع بالصحة؟ وكيف أتأكد من أن هذا الموقف يعني أنني مريض؟ وإذا كنت مريض، فمن يملك أن يقول أن المرض لم يكن مفضل، أو ألأكثر منطقية، أو أكثر من الصحة؟

إذا كانت الصحة أفضل، ولم أكن مريضاً، فهل يرجع هذا إلى بعض الأسباب الطبيعية؟

لم أجد مناقشات مقنعة لأي شيء آخر، فقد خاب أملي، وبمرور الوقت أصبحت أكثر تحمساً، وأكثر وعياً بنواحي القصور عندي. وكان السعي وراء أشكال من القصور الذاتي والاحتجاج لتجنب الصراع الشخصي والمسئولية

الاجتماعية هو جوهر التمثال الوهمي الذي نحته من وجودي.

تعبت من القراءة، وتوقفت قصداً عن مواصلتها الآن. الآن الذي يعتبر شكلاً من جماليات الحياة.

ومن القليل الذي قرأته، تعلمت أن أستخرج فقط العناصر المفيدة لكي أحلم. ومن القليل الذي رأيته وسمعته، فأنا أكافح لأخذ طريق بداخلي يكون طويلاً وكمسافة منحنية تكون كرد فعل لي.

وقد حاولت أن أجعل كل أفكاري وكل الأحداث اليومية من خبرتي لا توفر لي سوى المشاعر؛ فأنا أعطي لحياتي الاتجاه الجمالي، وجعلت هذا الجمال شيئاً شخصياً تماماً، وبالتحديد لي أنا فقط.

والخطوة الثانية في تطوير مذهب المتعة بداخلي، هي تجنب الحساسية تجاه المسائل الاجتماعية؛ فأنا أقي نفسي من هذا الشعور السخيف. وتعلمت أن أكون ذا حساسية تجاه إغراءات الغريزة وتوسلاتها.

عزفت عن التواصل مع الآخرين، وبذلت كل جهدي لأعتزل الحياة، وفي وقت ما رغبت في التألق بشدة، وكنت مثل الرجل النعسان الذي يغير ملابسه للذهاب إلى السرير. وبعد دراسة الميتافيزيقا والعلوم، اتجهت إلى الوظائف العقلية التي كانت أكثر تهديداً لتوازني العصبي. وقد قضيت ليالي مخيفة منحنياً على كتب ضخمة للصوفيين والكابالا، والتي لم يكن لدي الصبر لقراءتها إلا بشكل متقطع وأنا أرتجف و ....

إن الحافز الزائف للألم والإحساس الشبه نفسي لما يحدث دائماً، على وشك اكتشاف السر الأعظم. لقد فقدت نفسي في النظم الفرعية للهذيان، الأنظمة المليئة بالتشبيهات المزعجة والأخطار الواضحة على الفكر، والمناظر

الطبيعية المبهجة حيث الأفكار الغامضة التي تثير الأسرار الخارقة للطبيعة الموجودة على الهامش.

كل ذلك قد تسببت في هِرمي. لقد أنهكني التفكير الكثير، فقد صرت في حالة معقدة من عدم الانضباط العقلي والانضباط العام. فإلى أين ألجأ؟

وكان انطباعي هو أنني لم أجد مأوى في أي مكان؛ فقد تركت نفسي لا أعرف لماذا.
فقد حددت وركزت على كبح رغباتي لتصل إلى النهاية، وأعتقد أنه من الممكن الوصول إليها؛ فنحن نحتاج إلى دعم واحد فقط ومن خلاله سنرحل إلى شيء غامض. اليوم أنا زاهد في الإيمان بنفسي.

أعتقد أن فنجانا من القهوة والسجائر وأحلامي يمكن أن يكون كل ذلك بديلاً جيدا عن الكون ونجومه، والحب، وحتى عن الجمال والشهرة. فأنا أحتاج إلى فعل وليس منبهات، فلدي ما يكفي من الأفيون في روحي. ماذا فعلت بي الأحلام؟ لا أعلم فقد أجبرت نفسي على الوصول للنقطة التي أكون فيها غير متأكد فيما أعتقد، أو أحلم أو أتخيل.

أبدو وكأنني أحلم من أكثر من أي وقتاً مضى عن أشياء غامضة وغير دقيقة والتي لا يمكن تصورها، فلم يكن لدي أي نظريات عن الحياة. أنا لا أعرف أو أتساءل إذا كانت جيدة أم سيئة. من وجهة نظري هي مزعجة وحزينة، ولكنها تأتي مع أحلام سارة.

لا يزال التفكير دربا من التمثيل.إنه مجرد فكرة خيالية غير مجدية ويحاول وعينا عدم الانجراف نحو الهاوية، وفي هذه الحالة يجب أن نشغل أنفسنا في العمل؛ لوقف محاولة الفهم والتحليل؛ لنرى أنفسنا على طبيعتها، ولنرى انطباعاتنا بوضوح، فنعرف أن هذه هي الحكمة الحقيقية.

عندما كنت أتجول بالشوارع أكثر من مرة في وقت متأخر بعد الظهر، فوجئت هاجمني طيف أشكال متراكمة، إنها لم تكن أشياء طبيعية تثير الوعي في نفسي، إنه تخطيط للشوارع وللإشارات وللناس، والوظائف، والجرائد، ومنطق كل شيء .أو بالأحرى، إنها حقيقة تنظيم الشوارع والإشارات والوظائف والناس وكيان المجتمع ككل، كل ذلك ينصهر في بوتقة واحدة ويتقدم ككيان واحد.

عندما أمعنت النظر إلى رجل، كنت أراه وكأنه كائن غير مدرك كالكلب أو القطة، يتعامل مع الواقع بالاوعى بلا إدراك منه به.

في هذه الأوقات دائماً أتذكر كلمات أتذكر قائلها: "إن الرب هو روح الوحوش. "، وكانت هذه العبارة الرائعة وسيلة المؤلف لشرح حقيقة الغريزة التي تقود الحيوانات الوضيعة والتي تعبر عن عدم القدرة على التفكير والبدائية المطلقة، ولكن كلنا حيوانات وضيعة، والتحدث والتفكير عبارة عن نوع من الغرائز يمكن الاعتماد عليها بصورة أقل من باقي الغرائز.

لذلك فهذه العبارة الجميلة الدقيقة من الفيلسوف يمكن تطبيقها على نطاق واسع، وأنا أقول أن "الرب هو روح كل شيء". لا أفهم كيف يمكن لأي شخص أن يتوقف عن التفكير في هذه الحقيقة العظيمة حول آلية الساعة الكونية، ويستطيع أن ينكر صانع الساعة وهذه الآلية ومنهم فولتير. أعلم لماذا يظهر الانحراف عن الخطة في ضوء أحداث معينة - وفقط بمعرفة الخطة يستطيع الفرد معرفة إذا كان انحرف عنها أم لا- وشخص ما يرمز إلى عنصر النقص في هذه المعية العليا. أفهم ذلك جيدا، على الرغم من أنني لا أتقبله. وأفهم لماذا في ضوء الشر الموجود بالعالم لا يمكن للفرد معرفة أن خلق الذكاء شيء جيد بالفطرة. أفهم ذلك، على الرغم من أنني لا أتقبله، ولكن لإنكار هذه المعية، أي الرب، فإنه يبدو لي كأحد تلك الحماقات التي تتفاعل في بعض الأحيان في منطقة واحدة من ذكائهم. فعلى سبيل

المثال من يقوم بارتكاب الأخطاء سواء بالإضافة إليها أو بحذفها، أو من لا يستطيع أن يستشعر الموسيقى أو الرسم أو الشعر باعتبار أن الذكاء هو شرط الإحساس الجمالي.

لقد قلت أنني لا أقبل فكرة صانع الساعة غير المثالي أو غير الخير. فأنا أرفض هذه الفكرة؛ لأن هذه الجوانب من حكم العالم والنظم التي تبدو واهية أو بلا معنى، ربما تثبت عكس ذلك، إذا عرفنا الخطة؛ فعندما نرى خطة كل شيء بوضوح، سنرى أيضاً الأشياء التي تبدو بلا معنى، ولكن إذا وُجِد سبب وراء كل شيء، فهل يمكن أن يرشدنا نفس السبب لرؤية هذه الأشياء؟ رؤية السبب وليس الخطة الفعلية، فمن يستطيع أن يقول أن الأشياء الحالية خارج الخطة، وإلى متى لا نعرف ما هو؟ تماماً مثل الشاعر عندما يستخدم إيقاع دقيق، يمكنه إدخال إيقاعات غير منتظمة، ويمكن أن يكون ذلك بغرض الإيقاع. وعلى سبيل المثال، لغرض معين يبدو وكأنه يسير باتجاه؛ لذلك فالخالق يمكن أن يدخل الأشياء والتي في منطقنا الضيق تُعتبر عدم انتظام في تدفق مهيب من إيقاعه الميتافيزيقي. فأنا أعترف بأن فكرة الساعاتي غير الخير من الصعب، ولكن رفضها يكن على نحو خارجي فقط.

يستطيع الشخص أن يقول أننا لا نعرف حقاً ما هو الشر، ولا يستطيع أن يقول بقوة أن شيئا ما جيد أو سيء، ولكن الصحيح أن الألم حتى إذا كان جيدا في النهاية، فهو شيء سيء في حد ذاته، وهذا كافٍ لإثبات أن الشر موجود بالعالم؛ فوجع الأسنان كافٍ ليجعل الشخص لا يعتقد في الخير من الخالق؛ فالخطأ الأساسي في هذه المناقشة يكمن في جهلنا بمشيئة الرب، وجهلنا جميعا لهذه الصفة الأساسية للشخص الذكي وكيف تكون طريقة تفكيره؛ فوجود الشر هو شيء واحد، والسبب في وجوده سبب آخر. ربما يكون التمييز دقيقاً لهذا الموضوع ويبدو إلى حد ما سفسطائي، لكنه مع ذلك صحيح.

إن وجود الشر لا يمكن إنكاره، لكن؛ الفرد الذي يمكن أن ينكر وجود الشر، هو الشر نفسه. إذا كان هناك شيء واحد يمنحنا الحياة، فيجب أن نشكر عليه الرب، بجانب التفكير في الحياة نفسها. إنها هدية من عدم المعرفة: من عدم معرفة أنفسنا، وعدم معرفة بعضنا البعض. الحياة البشرية غامضة، وهاوية قذرة، وبئر على سطح الأرض لم يتم استخدامه أبداً.

لا أحد يحب نفسه، إذا عرفها حقاً، بدون الغرور الذي يولد من هذا الجهل ومن دوام الحياة الروحية، والذي يؤدي إلى وفاة روحنا من فقر الدم، لا أحد يعرف أي شخص آخر. وأنه المفضل لديه؛ لأنه إذا مات فسيكتشف أن في والدلته أو زوجته أو ابنه عدوه الميتافيزيقي المتأصل فيهم؛ فنحن نتغير من شخص لآخر لأننا غرباء في قلوبنا.

سيصبح الكثير من الأزواج سعداء، إذا استطاعوا أن يروا أنفسهم في روح واحدة، وإذا حاول كل فرد أن يفهم الآخر فهماً صحيحاً، كما يقول الرومانسيون. دون معرفة الخطر مما سيكررون قوله (وإن كان ذلك في النهاية غير منطقي).

كل الزيجات مهددة؛ لأن كل شريك في داخله جانب سري به يعبر عن الجانب الشيطاني في الروح، والصورة الهشة للرجل المرغوب الذي لا يشبه الأزواج، والشكل المهيب للمرأة المثالية التي لا تعيش هكذا. فأسعد الناس ليسوا على علم بالرغبات المحبطة لديهم. فهم على علم بالسعادة القليلة، ولكنهم اختاروا تجاهلها، ويحدث بينهم أحياناً حركة حماقة أو تعليقات فظة.

إن الحياة التي نعيشها هي منفي مليء بسوء الفهم، ومعنى السعادة التي توجد بين العظمة المنعدمة والسعادة المستحيلة، إننا حينما نفكر نشك في وجود الروح.

إن حياتنا هي حفلة رقص تنكرية، أننا راضون عن الأزيا التي نرتديها فيها والتي تعبر عن أحاسيسنا الداخلية.

إننا لا نرقص من البرد الشديد أو الليل القاسي بالخارج أو من الجسد المتمزق من الابتلاءات والتي ستستمر معه، في تخلينا الخاص، ولكن هذا في الواقع هو مجرد سخرية داخلية للنفس التي من المفترض أنها سليمة.

كل ما نفعله هو الكلام، والتفكير أو الشعور بارتداء نفس القناع ونفس الزي. لا يهم ما نأخذه أو ما نرتديه، وهكذا فالكساء الحقيقي يكون للروح والجسد. فنحن نعيش سعداء أو غير سعداء، أو بدون معرفة لماذا نعيش. فهذا وقت قصير أعطته لنا الآلهة، والذي يجب علينا تسليتهم، مثل الأطفال الذين يلعبون بالألعاب الخطيرة.

إن هذا الرجل الكائن تحت الرماد، يرى الكون عارياً، وإبداع الفلسفة أو الأحلام وحتى الدين، وانتشار الفلسفة وانتشار الدين. وهؤلاء الذين يعتقدون في الفلسفة يبدأون في ارتداء الزي الخاص بها. إنهم لا يرون. وايضاً هؤلاء الذين يعتقدون في الدين ويستخدمونه كقناع ثم ينسونه سريعاً. ولا يعرفون أنفسهم ولا بعضهم البعض. وبناء على ذلك، يمرحون دائماً، فنحن نحافظ على الالتفاف حول الرقص ونتسامر أثناء الراحة، فالإنسان، وعدم الفائدة، والجدية، وصوت نجوم الأوركسترا الكبار كلهم بعيدون عن اهتمام منظمي العرض. إنهم فقط يعرفون أننا فريسة للوهم الذي خُلق لنا، ولكن ما المبرر لهذا الوهم، ولماذا يوجد هذا الوهم أو أي وهم آخر، ولماذا هم هكذا. وبالمثل يخدعونا ويعطونا الوهم الذي أعطوه لنا. هذا مما لا شك فيه لا يعرفونه. لقد شعرت تقريباً باشمئزاز طبيعي لأشياء سرية مثل المؤامرات والدبلوماسية والجمعيات السرية والعلوم الغامضة. وما يتطلب قلقا خاصا هما الشيئان الآخران مما سبق وأيضاً طموح الرجل الذي يملكهما، ومن خلال فهمهم مع الآلهة والحكام أو الديمورغوس. إنهم

يعرفون الأسرار العظيمة فقط عن كيفية تأسيس العالم.

لا أستطيع أن أصدق ادعاءاتهم، على الرغم من أنني ربما أستطيع تصديق شخص آخر، ولكن هل يوجد سبب وراء عدم كون هؤلاء الناس غير مجانين أو مخدوعين. في الواقع، هناك الكثير منهم لا يثبت شيئاً بسبب وجود الهلوسة الجماعية. وما توصلت إليه في النهاية، هو أنه بإمكان الشخص تسخير الشيطان ذاته دون أي اتقان للغته.

لماذا يكون التعامل مع الجن أسهل؟ إذا كان من خلال التمارين الرياضية الطويلة، مع التركيز وقوة الإرادة يستطيع الفرد أن يرى ما لا يستطيع الآخرون رؤيته. ولماذا لا يستطيع نفس الشخص الاستغراق في التأمل بصورة أقل؟

ماذا يوجد في مذاهب وطقوس الفنون السحرية التي تمنعهم من اتباع الكتابة. فأنا لا أريد أن أقول أن الغموض ربما يكون جزءً من قوانين السحر والتنجيم، ولكن لماذا يجب تستفذ الروح قوتها لدراسة علوم الآلهة دون دراسة أي شيء آخر؟

لا أثق في المعلمين الذين لا يستطيعون عيش الواقع. إنهم لا يستطيعون التكيف مثل الأشخاص الآخرين. أقبل كونهم غرباء، ولكن أريد منهم أن يوضحوا لي هذا الأمر.

يفترض أن هناك رياضيين بارعين ولكنهم يرتكبون أخطاءً في عمليات الجمع البسيط، ولكن الذي أتحدث عنه هنا هو الجهل وليس الخطأ. أقبل منهم إجراء عملية حسابية خاطئة كحاصل جمع اثنين واثنين هو خمسة، فإن هذا الأمر يمكن أن يحدث لأي شخص آخر سهوا. والذي لا أقبله هو أن هذا الشخص لا يعرف ما هو الجمع، أو كيفية حدوثه. وهذه هي حالة

الأغلبية العظمى من معلمي السحر والتنجيم. فيمكن أن يكون الفكر عظيما دون أن يكون رائعا، ولكننا نجد نواحي النقص لا تؤثر بصورة كبيرة على الآخرين فالقوة بدون تأثير ستكون بلا فائدة. فكونك تلمس قدم المسيح، فهذا ليس مبررا لأخطائك

إذا كان الشخص يكتب جيداً فقط وهو في حالة من السكر، سأطلب منه أن يسكر، وإذا قال إن هذا ضار لكبده، سأجيبه، ما هو كبدك؟

إن الشيء الميت يعيش عندما تعيش أنت، حيث أن القصائد التي تكتبها تعيش حتى الآن. إنني استمتع بالحديث، أو على الأصح، أستمتع بالصياغة؛ فالكلمات بالنسبة لي أجسام ملموسة، وكائنات أسطورية مرئية، وشهونيات مجسدة. ربما لا تهمني الأمور الشهوانية، ولا تأتي حتى في أفكاري أو أحلامي. وقد تحولت الرغبة لدي إلى استعدادي لإنشاء إيقاعات لفظية والتي لا ألاحظها في خطاب الآخرين.

إنني أرتجف عندما يتحدث شخص بطريقة جيدة؛ فصفحات بعينها من كتابات فياهو ومن كتاب شاتوبريان تجعلني أشعر بوخز في كل مسام جسدي، وتجعلني أتكلم بحماس مع سعادة لا تصدق. وحتى صفحات معينة من فييرا في نماذجهم الكاملة في الهندسة تجعلني أهتز بانفعال شديد مثل الغصن في مهب الريح.

مثل الجميع الذين لديهم الحماس، أستغل سعادتي البهيجة واطلق لنفسي العنان لتعاني من الاستسلام. وهكذا، أكتب أحياناً دون رغبة في التفكير في تجسيد فكرة خيالية، وأترك الكلمات تعانقني مثل طفل بين ذراعيها، وهي تشكل جملا لا معنى لها، تتدفق بهدوء كالماء الذي لا أشعر به، إنه تيار النسيان الذي يتموج ويتميز ويتحول حتى يصبح تموجات أخرى، ويير شيئاً آخر. وهكذا الأفكار والتخيلات تنبض مع التعبير، وتمر علي في مواكب مبهرة من الحرير الباهت، مع ومضات خيالية مثل ضوء القمر ولونه غير معروف.

أبكي كثيراً على اللا شيء، وتأخذني الحياة بعيداً حيث توجد صفحات من النثر تجعلني أبكي. أتذكر كما هو واضحاً أمام عيني، أنني في الليل.

عندما كنت طفلاً قرأت لأول مرة مقتطفات أدبية وقطعا مشهورة لفيير عن الملك سليمان "بناء سليمان للقصر". وقرأت عن كل طريقة تؤدي لهذه النهاية من الارتباك. ثم اندمجت في البكاء. انهمر سيل من الدموع من عيني أكثر من دموع الحزن ودموع التألم من المرض. إن حركة المضطربة للغة، والتعبير عن الأفكار في كلمات مثل المياه التي تنزل بطريقة حلزونية بسبب وجود منحدر، وكل هذه الأمور التي تأخذني تشبه عاطفتي تجاه السياسة. بكيت. أتذكر ذلك اليوم ولا أزال أبكي، ليس حنيناً لطفولتي التي لا أفتقدها، ولكن بسبب الحنين إلى لهذه اللحظة وبسبب وجود أسف المخلص، وحيث لم أعد أقرأ لأول مرة مثل هذه السمفونية العظيمة بهذه الثقة. لم يكن لدي أي مشاعر اجتماعية أو سياسية، ومع ذلك توجد الطريقة التي أكون بها قومي إلى حد كبير. فأمتي لغتها البرتغالية. لم يعد يزعجني على الإطلاق إذا غزت البرتغال أو احتلت ما دمت تركتها في سلام، ولكني أكره الكراهية ذاتها، مع الكراهية التي أشعر بها، وليس أولئك الذين يكتبون لغة برتغالية سيئة، وليس الذين يستخدمون بناء الجملة بالطريقة الخاطئة، وليس هؤلاء الذين يستخدمون التهجئة البسيطة؛ أكره الصفحة المكتوبة بشكل سيء، وإذا كانت غير صحيحة في تركيب الجمل، والذين يستبدلون أو بإذا وكأنهم يبصقون مباشرة، إن هذا يثير اشمئزازي. نعم؛ لأن الهجاء هو أيضاً شخص؛ فالكلمة تكتمل عندما تُرى وتُسمع.

إن فخامة الروماني واليوناني في تزيين الكتابة بالنسبة لي مثل رداء ملكي أصيل يجعل من الكتابة ملكة وسيدة.

يتوقف الفن على جعل الآخرين يشعرون بما نشعر به، بتحريرهم من أنفسهم، وبالتأثير عليهم من خلال شخصيتنا. إن الجوهر الحقيقي لكل ما

أشعر به متحفظ عليه للغاية. من أجل أن أنقل ما أشعر به لشخص آخر، علي أن أترجم ما أشعر به إلى لغته. أقول أشياء وكأنها مثل الذي يشعر بها، لدرجة أنه عندما يقرأها سيشعر بالضبط بما شعرت به.

ولكن هذا الشخص تم افتراضه عن طريق الفن؛ لذا يمكن أن يكون شخصا آخرا أو الجميع (هذا الشخص يشترك مع جميع الأشخاص). والذي يجب علي القيام به هو أن أحول شعوري إلى شعور هذا الشخص النموذجي، حتى إذا تطلب ذلك تحريف الطبيعة الحقيقة لما شعرت به.

إن الأشياء المجردة يصعب فهمها؛ لأنها لا تجذب انتباه القارئ؛ لذلك سأستخدم مثالا بسيطا لأجعل تجريداتي واقعية.

دعنا نفترض أن لسبب أو لآخر (والذي يمكن أن يكون أنني تعبت من الحسابات أو مللت لأنني لم يكن لدي شيء لأفعله) وأنا غارق في الأحزان المبهمة عن الحياة والقلق الداخلي الذي يجعلني عصبياً ومرتبكاً. إذا أردت أن أترجم شعوري باستخدام كلمات قريبة، ثم أقرب، وأقرب أكثر حتى أصل لأقرب شيء لشعوري الشخصي وبالتالي ستوصل هذه الكلمات شعوري إلى الآخرين، وإذا كان لا يوجد اتصال بينها وبين الآخرين، فإنه من الحكمة والبساطة أن يشعرون بها بدون كتابتها، ولكن دعنا نفترض أنني أريد إيصالها للآخرين، لنجعلها داخل الفن، وهذا هو تواصل الفن مع الآخرين من خلال الهوية التي نشعر بها معهم، دون أن يوجد أي وسيلة اتصال أخرى لا حاجة لها.

إنني أبحث عن المشاعر الإنسانية العادية التي سيتم لها التلوين؛ فأنا أشعر الآن بالشكل والروح الحقيقية في النفس البشرية، والسبب الشخصي الذي يجعلني أتضجر من عمل الحسابات أو أن أشعر بالملل. وأخلص هنا إلى أن المشاعر العادية والتي توجد في الروح العادية لها نفس صفات

مشاعري وهو الحنين للطفولة الضائعة.

لدي الآن المفتاح لباب فكرتي؛ فأنا أكتب وأبكي على طفولتي المفقودة، وأدخل في التفاصيل المؤثرة عن أفراد وأثاث منزلنا القديم في الريف؛ فأنا أتذكر المتعة في عدم وجود حقوق أو مسئوليات، وأن أكون حراً؛ لأنني لازلت أعرف كيف أشعر وأفكر، وهذا التذكر لو كان مكتوبا برؤية جيدة،؛ سينشئ في القارئ نفس العاطفة التي كنت أشعر بها، وهي عدم وجود شيء لفعله في الطفولة. لقد كذبت! لا، لقد فهمت.

إن الكذب ماعدا هذا النوع من الكذب الطفولي وهذه التلقائية التي تأتي من الرغبة في الحلم هو مجرد الاعتراف بالوجود الحقيقي للآخرين، والحاجة للتوافق مع أنفسنا، والتي لا يمكن أن تتوافق معهم؛ فالكذب ببساطة هو لغة الروح المثالية. إننا نستفيد فقط من الكلمات والتي هي عبارة عن أصوات يتم تلفظها بطريقة سخيفة - لتترجم إلى اللغة الحقيقية- أهم التحولات الخاصة الدقيقة لأفكارنا وعواطفنا (حيث لن تكون الكلمات قادرة على ترجمة نفسها بنفسها)؛ لذلك نستخدم الأكاذيب والأفعال لتعزيز التفاهم بين أنفسنا والأشياء الحقيقية، والأشخاص وأسرارها، وهذا لا يمكن تحقيقه أبداً.

إن الفن كذب لأنه اجتماعي. ويوجد نوعان من أشكال الفن: شكل يتحدث عن روحنا العميقة، والآخر عن روحنا اليقظة، الأول هو الشعر والثاني هو الرواية، الأول بدأ يكذب في نيته الحقيقية، والثاني في الهدف الحقيقي. يدعي الشخص أنه يعطينا الحقيقة من خلال خطوط دقيقة، وهذا الكذب ضد طبيعة الكلام، والآخرون يدعون أنهم يعطونا الحقيقة من خلال معنى ارتداء قبعة الحقيقة، التي نعرف جميعنا أنها لم تكن موجودة؛ لنتظاهر بأنه الحب.

عندما أرى ابتسامة جميلة أو نظرة ذات معنى، بغض النظر عن الشخص الذي تنتمي إليه الابتسامة أو النظرة، فأذهب إلى وجه وروح صاحب الابتسامة أو النظرة؛ لأكتشف أنه سياسي يريد أن يشتري أصواتنا، أو امرأة ساقطة تريد منا أن نشتريها، ولكن السياسي الذي يشترينا يحب شراءنا، وحتى المرأة الساقطة تحب منا شراءنا لها. شئنا أم أبينا، فنحن لا نستطيع أن نهرب من الإخوة العالمية. كلنا نحب بعضنا البعض، والكذب هو القبلة التي نتناولها. بالنسبة لي، كل أفعالي تنعكس على شكلي الخارجي، ولكن بصدق . لقد كنت دائماً ممثلا، جادا، كلما أحببت تظاهرت بالحب، أظهرته حتى لنفسي. أدهشني اليوم شيء سخيف، ولكنه إحساس صحيح. لقد أدركت من خلال الرماد الداخلي أنني لا شيء في هذا الرماد حيث افترضت أن مدينة كانت موجودة وثبت أنها أرض قاحلة، وأن الضوء الشرير أظهر لي نفسي وهي لا تستطيع رؤية السماء فوقها.

قبل وجود العالم، كنت محروما من القوة لكي أكون. إنه كان تقمص وكنت بدون نفسي، بدوني أنا. فأنا ضواحي في بلدة غير موجودة، معلق على كتاب لم يُكتب. أنا لا أحد، لا أحد على الإطلاق. أنا لا أعرف كيف أشعر، وكيف أفكر، وكيف أريد. فأنا شخصية في رواية لم تُكتب، ونفحة في الهواء تبددت أكثر من أي وقت مضى، كالأحلام من قبل شخص لا يعرف كيف يكملني.

أفكر دائماً، وأشعر دائماً، ولكن لا يوجد منطق في فكرتي، ولا عواطف في عاطفتي؛ فقد سقطت من الباب المسحور لقاعة عالية في الفضاء، وشعرت بأنني بلا هدف وكأنني سقطت من منحدر. فروحي دوامة سوداء، ودورانها الواسع فراغ، وسباق في محيط لا نهاية له وحول منفذ إلى لا شيء، وهذه المياه أكثر تموجاً من المياه الواقعية التي في خيالي عما رأيته أو سمعته في العالم؛ فالمنازل والوجوه والكتب والصناديق ومقتطفات الموسيقى ومقاطع الأصوات، كلها تتحرك في قاع دوامة شريرة. ووسط كل هذا الارتباك أنا، حقاً أنا، أنا مركز موجود فقط في الشكل الهندسي للهاوية، أنا لا شيء حول كل

شيء يدور، موجود فقط لتدور، موجود بالمركز فقط؛ لأن كل دائرة لديها مركز واحد.

أنا، حقاً من أنا، فأنا جدار بدون جدران، ومادة لزجة في وسط كل شيء وبدون أي شيء حولها. إنها ليست الجن - الذين لديهم وجوهاً بشرية على الأقل- ولكن الجحيم نفسه والذي يبدو وكأنه يضحك بداخلي، إنه صوت جنون الكون الميت. في نهاية كل العوالم تهب رياح سوداء عديمة الشكل ولا تبقى بدون الرب الذي خلقها، وحتى بدون نفسها، ومستحيلة الدوران في الظلام المطلق مثل حقيقة كل شيء. لو كنت أعرف كيف أفكر، لو كنت أعرف كيف أشعر.

لقد توفيت والدتي في وقت مبكرجداً، مما أشعرني بالملل. فمن الغريب أنني حتى الآن لم أفكر جيداً. ومنذ هذا اليوم وروحي في حالة من النسيان، حيث لا الحياة ولا أي شيء آخر حقيقي، وقد قررت كما لم أفعل من قبل تحليل الملل من خلال أفكاري وانطباعتي، على الرغم من تحليل كل ما أحلم به والذي يكون مصطنع إلى حد ما.

لا أعرف إذا كان الملل مجرد الاستيقاظ من ثبات ونعاس التائهين، أو إذا كان شيئاً أكثر وضوحاً. من خلال خبرتي الخاصة، يحدث الملل بشكل متكرر، ولكن لا يمكن تنبؤه دون اتباع أساليب ثابتة. لا أستطيع الوصول إلى الكسل دون الملل، أو أن أجربه فجأة مثل السحابة فوق الرأس في وسط تركيز العقل. يمكنني قول أن هذا لا علاقة له بحالتي الصحية، كما أنه لا يحدث نتيجة الأسباب الكامنة في رؤيتي الواقعية. لنقل أنه قلق ميتافيزيقي متخفٍ، وهذا التخفي يشكل خيبة أمل، وهذا الشعور عديم الصوت من الروح المملة يظهر بالنافذة التي تطل على الحياة. لنقل هذا أو شيئا مشابها له يمكن تكوين الملل، مثل الطفل الذي يلون أشكالا شخصية ثم يمحوها، ولكن لا يزيد عن مجرد كلمات مرددة في قبو عقلي.

الملل هو التفكير دون تفكير، ولكن مع التعب من التفكير. تشعر دون شعور، ولكن مع قلق من الشعور، ولتبتعد دون بعد، ولكن مع الاشمئزاز الذي يجعل الشخص يبعد كل الملل، ولكن ليس الملل نفسه، ويحدث في بعض الأوقات إعادة صياغة أو ترجمة له من حيث الأحاسيس القريبة لدينا، وكأنها رفعت الجسر المتحرك فوق خندق قلعة الروح، بحيث أننا لا نستطيع النظر إلى الأرض المحيطة بالقلعة، ودون أن نكون قادرين على وضع أقدامنا فوقها.

هناك شيء بداخلنا يعزلنا عن أنفسنا، وعنصر الفصل هذا راكد مثلنا في مجرى من المياه القذرة حول عزلتنا الذاتية.

الملل هو أن تشتكي دون شكوى، وتريد دون رغبة، وتعتقد دون مبرر وكأن جننا يستحوذ عليك.

يقوم السحرة والعرافون بعمل صور لنا وتعريضها للعذاب، وافترضوا أن هذا التعذيب يحدث لنا من خلال الانتقال النجمي. ومن تحول هذه الصور، أقول أن الملل الذي أشعر به مثل هجوم سحرة الشياطين والذي لم يطبق على صورتي ولكن على ظلها، أنه مطبق على ظلي الداخلي والخارجي لروحي الداخلية كالأوراق التي يتم لصقها أو وخز الأبر. إنني أشبه الرجل الذي باع ظله، أو بدلاً من ذلك مثل الظل الذي قد تم بيعه.

الملل هو أنا أعمل جيداً؛ فالعمل كما يقول فلاسفة الأخلاق واجب اجتماعي. إنني واجب كامل، أو مصير دون بذل الكثير من المجهود، وبدون عجز تام، ولكن في بعض الأحيان هو حق في منتصف عملي، أو وسط الراحة، وفقاً لما يقوله نفس الفلاسفة الأخلاقيين. إنني أستحق متعة النفس الغارقة في الكسل المرير، فأنا مُتعب ليس من العمل أو الراحة، ولكن مني. لماذا مني، إذا كنت لم أفكر في نفسي؟ ولماذا من شيء آخر، إذا كنت لم أفكر

في أي شيء؟ إنه سر الكون الذي يهبط على حساباتي أو على هدوئي. إنه الحزن الذي تسببه الحياة والذي تسلط على روحي. لماذا يرتقي شخص ما وهو ولا يمتلك هوية معينة؟ إنه الإحساس بالفراغ، والجوع دون شهية، ومثل إحساس الألم الذي نشعر به بالدماغ أو المعدة عندما ندخن أكثر من اللازم، أو المعاناة من عسر الهضم.

ربما يكون الملل في الأعماق، إنه استياء الروح لأننا لم نمنحها الاعتقاد والصدق. وهو أيضاً خيبة أمل لدى الطفل الحزين الكائن بداخلنا؛ لأننا لم نشتري له اللعبة الإلهية.

إنه انعدام الأمان لدى فرد يحتاج يد العون والذي لا يشعر به، وعلى الطريق الأسود للإحساس العميق، وأي شيء أكثر من الليلة الصامتة من عدم القدرة على التفكير. وهو الطريق الفارغ من عدم القدرة على الشعور.

الملل هو أولئك الذين لديهم الآلهة ولم يكن لديهم الملل. الملل هو النقص في وجود الأساطير. وبالنسبة لهؤلاء الذين لم يكن لديهم معتقدات، حتى الشك سيكون مستحيلا، وستكون مذاهبهم الشكوكية تفتقر إلى قوة الأسئلة.

نعم، الملل هو فقدان الروح القدرة على تضليل الذات، وهو نقص العقل، وعدم وجود السلم الذي نصعد عليه للحقيقة. لم أعرف عن طريق التشابه ماذا يعني الإفراط في الطعام، عرفت ذلك من خلال إحساسي وليس معدتي؛ ففي أيام معينة كنت آكل كثيراً، وكان جسدي يزداد وزناً، وإيماءاتي غير عاقلة، لم أستطع أن أشعر بتحريك العضلات. إن هذه المناسبات تشبه الشوكة في الجانب، وآثار مختفية في مخيلتي تنشأ تقريباً من سبات القلق لدي. إنني أضع خططا مبنية على الجهل، وأرفع صروحا أساسها فرضيات، إنني مبهور بما لا يحدث أبداً. وفي هذا الوقت الغريب أصبحت معنوياتي

مثل الحياة المادية. إنني أتناسى ليس فقط مفهوم الواجب، ولكن أيضاً فكرة الوجود، فأنا أشعر بتعب جسدي من الكون كله. أنام على ما أعرفه أو أحلم به مع قوى متساوية تجعل عيني تتألم.

نعم، في هذه الأوقات أعرف الكثير عن نفسي أكثر مما كنت أعرف. وكنت في كل قيلولة أرى المتسولين ينامون تحت الأشجار على ممتلكات لم تكن ملكا لأحد.

إن فكرة السفر إغراء بالنسبة لي، وإذا كانت فكرة مثالية فهي لشخص آخر وليس أنا. كل مشاهد العقبات في العالم تثير خيالي، مثل الملل الملون. وإنني أتتبع الرغبة مثل الشخص الذي تعب من كثرة الإيماءات، والتعب المتوقع من المناظر العامة المحتملة التي عزبت زهرة قلبي الحزينة مثل الرياح القاسية.

وكما هو الحال مع الرحلات، وكذلك مع الكتب، ومع كل شيء... إنني أحلم بحياة مليئة بالعلم في جو مستقر مع القدماء والمحدثين، الحياة التي أحدد فيها عواطفي بواسطة مشاعر الآخرين، وكل أفكاري المتناقضة التي تعتمد على التناقض بين المتأملين وهؤلاء الذين يملكون عقيدة تقريباً (وهم الغالبية العظمى من الكتاب)، لكن الهدف الحقيقي من القراءة تلاشى بمجرد أن التقطت الكتاب من على الطاولة، فقد ألغى الفكر المادي للقراءة أي رغبة فيها.

وبنفس الطريقة، تذبل فكرة السفر بمجرد ذهابي إلى رصيف أو ميناء السفر.

وأعود إلى أسوأ شيئين متأكد من أن لا قيمة لهما وهما: حياتي اليومية باعتبارها غير واضحة كابن السبيل، والآرق والاستيقاظ من أحلامي. كما هو

الحال مع الكتب، ومع كل شيء.... وبمجرد أن يحدث شيئاً لي فهو يعترض موكب أيامي الصامتة، وأترك عيني في حالة احتجاج شديد تجاه الفتاة الرشيقة التي المنتمية لي والتي تعد شيء فقير، وربما كانت امرأة فاتنة تعلمت الغناء فقط.

عندما جئت لأول مرة إلى ليشبونة اعتدت أن أسمع صوت عزف على البيانو ممن الشقة الكائنة بالطابق العلوي، وعزف ممل من فتاة لم أرها أبداً في الواقع.

أدركت أن هذه الموسيقى أحدثت بعض الأمور الغامضة بروحي. ويتم العزف على البيانو والأصوات ترتفع أعلى وأعلى بواسطة الفتاة نفسها وليس شخص آخر، أو امرأة ناضجة، أو ميت حبس بمكان أبيض حيث السرو الأخضر والتلويحات الواضحة.

لم أكن طفلاً كما كنت في ذلك الوقت، ولكن صوت العزف هو نفسه الموجود بذاكرتي وكأنه الآن. وهكذا كلما تبعد عن المكان تشعر وكأنها ذهبت للنوم، إنها لها نفس بطء العمل ونفس الرتابة الإيقاعية، وعندما أشعر أو أفكر فيها أغرق في الأحزان المقلقة وهذا هو حالي.

لا أندب على فقدان طفولتي، ولكني أندب بسبب كل شيء بما في ذلك طفولتي التي فقدتها. إنه ليس موت ملموس لأيامي، ولكنه الحق المجرد في الوقت وتعذيب العقل، مع تكرار قاس لعزف البيانو بالطابق العلوي من شخصية غير مميزة وبطريقة رديئة وبعيدة جداً.

إنها غموض ضخم من لا شيء، وهو استمرار المطارق في العزف السيء والذي لا يعتبر موسيقى حقيقية، ولكنه الحنين إلى الماضي الموجود في الأعماق السخيفة من ذاكرتي.

استجمعت شجاعتي من اللاوعي، حيث تخيلت غرفة الجلوس التي لم أرها مطلقاً، حيث التلميذ الذي لم أقابله مطلقاً، وهو مازال يعزف ويغني وحريص على سلم النغم المتطابق إلى الأبد، وهو من الأشياء التي ماتت بالفعل. إنني أرى، وأرى أكثر وأكثر، فإنني أعيد النظر. أشعر بالحنين للأسرة الموجودة بالشقة بالطابق العلوي، أما اليوم، لم أشعر به ولم أشعر به أمس والتي رسمت بخيالي بواسطة التأملات الغامضة.

ومع ذلك، أظن أن كل هذا بالنيابة عن شعوري الغير حقيقي بالحنين للماضي، أو حقاً مجرد، ولكن العاطفة التي اعترضها طرف ثالث، فلمن هذه المشاعر؟ أي منها بداخلي؟ هل هي مثل فيرا؟ هناك مشاعر تخمينية تحزنني وتعذبني، وهذا الحنين يجعل عيني تدمع، فقد شعرت من خلال الخيال والتصور. ومع وجود القسوة التي تأتي بإصرار من أعماق العالم، ومع الاستمرار فإن العوائق هي مفاتيح الغيب، وحيث أن غازف البيانو مستمر في العزف أعلى وأعلى، وفوق وأسفل الإصرار المادي لذاكرتي .

إنها الشوارع القديمة بأشخاص آخرين، نفس الشوارع المختلفة اليوم، إنهم أناس ميتون يتحدثون إلي من خلال شفافية حضورهم. إنه الندم على ما فعلت أو ما لا أفعل. إنها تيارات مموجة في الليل، وضوضاء من أسفل المبنى الهادئ. أشعر وكأن صراخ برأسي . أريد أن أتوقف، أريد راحة قصيرة لتحطيم هذا السجل الفوتوغرافي المستحيل الذي مازال يلهو بداخلي، حيث أنه لا ينتمي للمعذب الملموس. أريد نفسي، وأريد الوسيلة التي استخدمها الآخرون ليتركوني ويستمرون بدوني.

سيصيبني الجنون مما أسمعه، وفي النهاية إنه أنا، في عقلي الثائر، وفي جلدي الرقيق، وفي أعصابي شديدة الحساسية. دائما ما أشعر بأن عقلي أصبح مستقلا.

لقد حُرمت من كل طفولتي، وعندما أموت سأحرم من البقاء.

إن الرائحة طريقة غريبة للرؤية، إنها تثير مشاهدا عاطفية رُسمت كلها من المفاجأة بواسطة اللاشعور. وغالباً لدي الخبرة في ذلك.

إنني أسير في الشارع، لا أرى شيئاً، أو بالأحرى، وأنا أنظر في كل مكان وأرى الطريقة التي يرى بها كل شخص. أعلم أنني أسير في الشارع، ولا أعرف أنه يوجد على جانبيه أشكال مختلفة من المباني صُنعت بيد الإنسان. أسير في الشارع، ورائحة الخبز المنبعثة من المخبز تثير اشمئزازي بحلاوتها، وأرى طفولتي بأحد الأحياء البعيدة، ومخبز آخر من دنيا الخيال، حيث مات كل شيء كان لدينا من وقت مضى.

أسير في الشارع. وفجأة شعرت برائحة الفاكهة على الأرفف المائلة بالبقالة الصغيرة، وحياتي القصيرة بالبلدة. لا أستطيع أن أقول منذ متى أو أين، لدي أشجار وسلام في ذاكرتي والتي يمكن أن تكون فقط في قلب طفولتي. إنني أسير في الشارع.

ارتميت بشكل غير متوقع من انعدام توازني على رائحة الصناديق القادمة من قبل صانع الصناديق. عزيزي سيزاريو! أنت تظهر أمامي. وفي النهاية، سعيد حيث أنني استطعت أن أعود فقط إلى الحقيقة، وهي الأدب. فواحدة من أعظم المآسي في حياتي هي بالفعل قراءة أوراق بيكويك (لا أستطيع أن أعود إليها وأقرأها لأول مرة). الفن يحررنا من خداعنا بفعل قذارة الوجود، في حين أن أخطاء المشاعر والمعاناة التي تحملها هاملت أمير الدنمارك، لا نستطيع أن نشعر بها، والتي تعد وضيعة لأنها لنا، وسيئة لأنهم سيئون.

إن الحب، والنوم، والمخدرات، والمسكرات، كلها أشكال بسيطة من الفن، أو بالأصح، إنتاج نفس الأفعال كفن، ولكن الحب والنوم والمخدرات كلها لها نفس خيبة الأمل.

الحب يُتعب أم خيبة أمل؟ نحن نستيقظ من النوم وأثناء نومنا لم نعش؛ فنحن ندفع ثمن المخدرات لدمار جسمنا تماماً، ولكنها تعمل على تحفيز الجسم، ولكن في الفن لا يوجد خيبة أمل، حيث إنه تم قبولها من البداية. لا يوجد استيقاظ في الفن لأننا نحلم، ولكن لا ننام فيه، كما أننا لا ندفع ضريبة أو غرامة حتى نتمتع به حيث المتعة التي نحصل عليها من الفن هي إحساسنا بأنفسنا، فلم يكن لدينا ما ندفعه له أو نندم عليه لاحقاً. أعني بالفن كل شيء يسعدنا.

إن الامتلاك هو أن تفقد لنشعر بعدم امتلاك، وهو الحفاظ عليه والاحتفاظ به؛ لأنه استخراج لجوهر الأشياء. إنه ليس حباً، ولكن حباً خارج ضواحي المدينة والتي تستحق المعرفة. إن كبت الحب يلقي المزيد من الضوء على طبيعته مما يتطلب التجربة الفعلية له. إن التعزية يمكن أن تكون مفتاحاً لفهم عميق. إنه عمل له مكافآته، ولكنه يجلب الارتباك. لتمتلك يجب أن تُمتلك، وبالتالي يفقد الفرد نفسه. الفكرة فقط هي كيف يمكن التفكير في الواقع دون دمار .

إن المسيح صورة من العاطفة. في البانتيون هناك غرفه لجميع الآلهة التي تستبعد بعضها، كلهم يملكون العرش وسيادته، وكل واحد لديه كل شيء، فهناك لا يوجد شيء له حدود ولا حتى سبب منطقي. وامتزاج مختلف الخالدين يسمح لنا بالاستمتاع بالتعايش بين اللاتناهي والخلود.

لا شيء يوجد في التاريخ مؤكد، حيث توجد نهايات للنظم عندما يكون كل شيء وضيع، وتوجد فترات اضطراب لكل شيء عظيم. والمناطق المتدهورة التي سادت النشاط العقلي هي مناطق قوية في الضعف الفكري. كل الأشياء مختلطة ومتقاطعة ولا توجد الحقيقة إلا بقدر ما يُفترض. فالكثير من الأفكار النبيلة سقطت في كومة من الروث، وهكذا فقدت الكثير من الرغبات الصادقة في السيل.

إن الآلهة والرجال جميعهم شيء واحد بالنسبة لي، في الفوضى المنتشرة في مصير لا يمكن التنبؤ به. إنهم يسيرون من خلال أحلامي في هذه الغرفة المجهولة، وإنهم بالنسبة لي لا يعنون شيئاً أكثر مما كان بالنسبة لأولئك الذين كانوا يعتقدون فيهم.

إن الأوثان الخبيثة، والعيون الأفريقية الواسعة، والآلهة الحيوانية من المناطق البدائية، والمصريون، ورموز الأشخاص، والآلهة اليونانية المضيئة، وآلهة الرومان، ومثيرا إله الشمس والعاطفة، ويسوع رب العواقب والإحسان، والنسخ المختلفة من نفس المسيح، والآلهة المقدسة الجديدة للمدن الجديدة- كلهم تكوين لجنازة الخطأ والوهم. كلهم يسيرون، وتسير خلفهم الأحلام والتي هي مجرد ظلال فارغة ترتمي على الأرض، ولكنهم أسوء الحالمين، يفترضون أن رغباتهم غرست هناك.

إنها مفاهيم حزينة بدون جسد أو روح مثل الحرية الإنسانية، والسعادة، والمستقبل الأفضل، والعلوم الإجتماعية تتحرك، كلها تتحرك باتجاه عزلة الظلام مثل أوراق الأشجار التي سحبت بطول طريق حاشية الأمير وعن طريق الرداء الملكي الذي سرقه المتسولون.

يقوم الثوار بارتكاب أخطاء جسيمة عندما يميزون بين البرجوازية والجماهير، وبين النبلاء وعامة الشعب، وبين الحاكم والمحكوم. التمييز الوحيد هو هؤلاء الذين يتكيفون وهؤلاء الذين لا يستطيعون التكيف، والذي يبقى هو الأدب، الأدب السيئ؛ فالمتسول إذا تكيف سيصبح ملكاً غداً، وفي سبيل ذلك سيفقد فضيلة كونه متسولا، سيعبر الحدود ويفقد جنسيته.

هذه الأفكار تواسيني في هذا الضيق، والتي هي نوافذ ملطخة تطل على شارع كئيب. هذه الأفكار تواسيني وزملائي. لدي زملائي المبدعين من عالم

الشعور مثل الكاتب المسرحي وليام شكسبير، وجون ميلتون معلم المدرسة، ودانتي أليغيير المتشرد... ولو أتاحت المراجع الفرصة سيكون من بينهم يسوع المسيح، الذي لم يكن شيئا في العالم، حيث أن وجوده كان مشكوكا من الناحية التاريخية. وتكونت طبقة أخرى مختلفة من الرجال من نظرائهم، مثل عضو مجلس الدولة يوهان ولفغانغ فون غوته، وعضو مجلس الشيوخ فيكتور هوغو، ورئيس الدولة لينين، ورئيس الدولة موسوليني. هؤلاء منا في الظل، ومن بين صبية توصيل الطلبات، والحلاقين، وتكوين الإنسانية. ومن ناحية أخرى يوجد الملوك بهيبتهم، والأباطرة بشهرتهم، والعباقرة، والعلامات الخاصة بهم، والقديسين بهالاتهم، والقادة وسياداتهم، والبغاة، والأنبياء، والأغنياء. وفي جانب آخر، نوجد نحن، وصبي توصيل الطلبات في الزاوية، والكاتب المسرحي المتهور وليام شكسبير، والحلاق ومُزاحه، وجون ميلتون معلم المدرسة، ومساعد المتجر، ودانتي أليغتييرى المتشرد، وهؤلاء الذين نسو الموت، ويكرسون حياتهم، ومنهم من نسي أن يكرس حياته في أي وقت مضى. فحكم العالم يبدأ داخلنا؛ فالذين يحكومون العالم لم يكونوا مخلصين، ولكنه ليس الإخلاص. هؤلاء ينشئون إخلاصا حقيقيا بداخلهم عن طريق الوسائل المصطنعة والتلقائية. هذا الإخلاص يجعلهم أقوياء، ويكشف لهم أقل إخلاص زائف من قبل الآخرين. فقط الشعراء والفلاسفة هم الذين يرون حقيقة العالم، هم فقط من يعيشون بدون أوهام، لكننا بوضوح يجب ألا نتظاهر. الاعتقاد هو البذاءة حتى إذا لم تكن صادقة.

كل مثال صادق هو عدم تعصب، لا توجد عقول ليبرالية مخلصة، وفي هذا الشأن لا توجد عقول ليبرالية، فهناك الأشياء ضعيفة، ومجهولة المصدر وغير مبررة. رأيت هناك مظاهرات كثيرة من الشفقة، والتي تبدو كأنها تكشف العمق المأسوي للأرواح الحزينة، ولكني اكتشفت أن المظاهرات التي استمرت أكثر من أي لحظة كانت كلمات، وأنها نشأت من شيء متطابق للشفقة فقدت بسرعة مثل نوع جديد من المراقبة، أو شيء آخر من النبيد في عشاء الروح الرحيمة (كم مرة لاحظت ذلك مع صمت فطن).

يوجد دائماً علاقة مباشرة بين المشاعر الإنسانية وبين كمية الشراب المسكر المستهلكة، والعديد من الإيماءات تظهر من خلال كوب واحد أو من عدد كبير جداً أو من الشراب الزائد عن حاجة العطش. كل هؤلاء الأفراد باعوا أنفسهم للشيطان وجحيمه، الشيطان الذي رغب في الخسة والبطالة. إنهم يعيشون حياة السكر من تفاهة وكسل، ويتوفون منهكين على وسائد من الكلمات في بركة مليئة بالعقارب والسم السائل من لعابها.

إن الشيء الأكثر غرابة في كل هؤلاء الناس بإجماع كامل هو افتقارهم للأهمية بكل معنى للكلمة. البعض كتب للصحف الكبرى ولم ينجحو في الواقع. وآخرون ظهروا بشكل بارز في السجلات المهنية ولم ينجحوا في عمل شيء في الحياة. وآخرون كانوا شعراء مشهورين، ولكن غطى غبار الرماد وجوههم الحمقاء، وجميعهم متوفون في المقابر محنطين، ويضعون أيديهم على أوراكهم كأنهم أحياء.

في الوقت القصير الذي ركد فيه ذكائي بمنفي بعيد، احتفظت في ذاكرتي ببعض اللحظات الجيدة والمسلية حقاً، وأيضاً العديد من اللحظات التعيسة والمملة، وبالعديد من كلمات أغنية تأتي من العدم، ومن بعض الإيماءات التي تستهدف الندلاء ليقوموا بواجبهم. باختصار ليبعدوا الغثيان الجسدي بسبب الملل عن طريق ذكر نكتة مضحكة أو اثنتين. ويوجد بينهم بعض المسافات الفارغة التي يتخللها الرجال كبار السن ومعهم النكات القديمة، ويغتابون مثلثهم مثل الآخرين، وعن نفس الأشخاص.

لم اشعر بالتعاطف من قبل تجاه الكثير من العامة المشهورين عندما رأيت التغيير الظاهر عليهم من قبل الرجال الذين صنعوا لهم هذه الشهرة التافهة. وفهمت بعد ذلك، لماذا المستبعدون من العظمة قادورن على النجاح؛ لأنهم ينجحون فيما يتعلق بهؤلاء الرجال وعلاقتهم بفكرة البشرية. يكون الفقراء في حاجة لطعام الغداء، ومتعطشون للشهرة أو جائعين

لحلوى الحياة. وأي أحد يسمعهم لأول مرة سيتخيل الاستماع إلى معلموا نابليون وشكسبير.

ينجح البعض في الحب، والبعض ينجح في السياسة والبعض في الفن، والمجموعة الباقية لديهم ميزة سرد القصص. ويوجد من ينجح للغاية في الحب دون أن يعرف العامة بما حدث.

بالطبع، عند سماع أحد هؤلاء الرجال يروي سباقات الماراثون الجنسية التي يقوم بها، نبدأ في التشكك بعد سماع حديثهم. هؤلاء الرجال من عشاق سيدات الطبقة الأرستقراطية أو المعروفة (ويبدو تقريباً أن هذا حالهم جميعاً) ويفسدون الكثير من السيدات الشريفات وحين يجتاحهم هذا الغزو، فهو يحطم الهدوء لدى جدات هؤلاء الشابات واللاتي يمكن أن يوصفن بهذا اللقب.

بعض المتخصصون في جرائم القتل، قاموا بقتل بطل الملاكمة بأوربا أثناء اللهو الصاخب في زوايا شوارع "كيدو". وآخرون يملكون التأثير على جميع وزراء كل الوزارات، وهؤلاء تعتبر ادعاءاتهم مقبولة على الأقل . والبعض ساديون بطريقة مخيفة، وآخرون لوطيون متأصلون، ويبقى آخرون من الذين يعترفون بصوت عال بأنهم متوحشون مع النساء ويتعاملون معهن على طول الحياة بالسوط. وهم دائماً يتركون شخصاً آخر يدفع لهم ثمن القهوة. البعض منهم يكونون شعراء والبعض يكونوا... لا أعرف ترياقا لهذا السيل من خلال التعارف المباشر في حياة الإنسان المشتركة، على سبيل المثال، كما في واقعهم التجاري كما عرض في روادوس ودراوادوس، ولكن ما هي الراحة؟ اعتدت أن أعود من مستشفي مجانين الدُمى إلى الوجود الحقيقي لموريرا، مشرفي وفهو محاسب كفء، ولكنه سيء المظهر حيث يرتدي ملابسا سيئة، ولكن على أية حال هو رجل. ولا أحد من الآخرين نجح في الوجود.

يعيش معظم الرجال عيشة عفوية وغريبة. فمعظم الناس هم أناس آخرون، كما قال أوسكار وايلد، وكان على حق. فالبعض يقضون حياتهم في السعي لتحقيق شيء لا يريدونه، وآخرون يسعون لشيء غير مفيد لهم، وما زال هناك آخرون يخسرون أنفسهم.... ولكن بعض الرجال سعداء ويستمتعون بالحياة بلا مبرر.

عادة، لا يبكي الرجل كثيراً، وعندما يشكي فهذا هو الأدب الخاص به. التشاؤوم غير مقبول للحياة كصيغة ديموقراطية. فهؤلاء الذين يرثون كوارث العالم هم معزولون هم فقط يرثون أنفسهم.

لماذ لم يجد ليوبتردي انتيرودي كونتال حبيبته؟ إذا فالكون هو العذاب. وقد شعر فيي إنه لم يحب بشكل كافي؟ العالم هو سجن. وأحلام شاتوبريان مستحيلة؟ حياة الإنسان مملة. فالوظيفة تغطى بالحبوب؟ والأرض تغطيها الحبوب . ويخطو الناس فوق حبوب الذرة ويحزن الزملاء على ذلك. وحسرتاه على قدميه، وعلى الشموس والنجوم!

وعلى خلاف كل ذلك، فالبشر يحافظون على الأكل والحب، ويبكون فقط على ما يجب أن يبكون عليه، ولوقت قصير إذا أمكن.

على سبيل المثال، يبكون على موت الابن الذي سرعان ما يُنسى ولا يتذكرون إلا يوم ميلاده. أو يبكون على على فقدان المال، والذي يظل سبب البكاء إلى أن يأتي المال الأكثر منه أو أن يعتاد الفرد على الخسارة.

لكي تعيش يجب أن تملك القدرة على تحمل الشقاء؛ فالموتى يدفنون، وخسائرنا ستنسى. إنه غادر اليوم لبلدته من أجل الخير على ما يبدو. أقصد من يسمى صبي أوس، نفس الرجل الذي أتيت لأعتبره جزءً من المؤسسة البشرية، وبالتالي فهو جزء مني ومن عالمي. وقد غادر اليوم.

في الممر، تتوالى الصدف، ويحين وداعنا كمفاجأة متوقعة. وعاد بحزن لمعانقتي، وقد تحكمت في نفسي حتى لا أبكي كما هو الحال في قلبي الذي يبدو وكأنه قد انفصل عني كما تريد عيناي المتحمستان النفصال عني هي الأخرى. إن الصدفة مقدرة لنا، حتى لو كانت الصدفة الوحيدة في روتين حياتنا، فإن ما نراه يصبح جزء منا. فالرجل الذي غادر اليوم لمدينه جاليكان، ولم أسمع أبداً إنه لم يكن بالنسبة لي الصبي أوس جوهر حياتي فاليوم قد ضعفت، ولم أكن كسابق عهدي، لقد غادر صبي المكتب اليوم.

كل شيء حدث ترك أثرا في حياتنا وفي نفوسنا. وكل شيء نتوقف عن رؤيته، توقف فينا. كل شيء قد تم، إذا شاهدناه عندما تم، ثم تركناه عندما ذهبنا بعيدا. غادر الصبي المكتب اليوم.

صرت أشعر بالملل أكثر من ذي قبل مثل كبار السن، وليست لي القدرة على القيام بأي عمل. أمس، جلست في مكتب عالٍ واستمررت في العمل ثم غادرت في المساء، ولكن اليوم مأساة غامضة قد سيطرت بقوة علي الأفكار ولم تمكني من إجراء العمليات الحسابية الخاصة بالعمل. الطريقة الوحيدة التي ستمكنني من العمل هي تنشيط ذاتي.

نعم، غداً أو في أي يوم آخر، بينما يدق الجرس لوفاتي أو رحيلي، لن يكون لي وجود أنا الآخر، وسأكون وأيضاً مثل الناسخة القديمة التي خُزنت بعيداً في خزانة تحت الدرج.

نعم، غداً، أو عندما يقرر المصير والشخص الذي بداخلي تظاهر بأنني سآتي لأنتهي. سوف أذهب لبلدتي؟ لا أعرف أين سأذهب. اليوم المآساة مرئية لأن الغياب شيء عظيم جداً. إلهي، إلهي، غادر صبي المكتب اليوم.
أوه، الليل حيث تتظاهر النجوم بالضوء، الليل حيث الوحدة، الكون يجعلني روحا وجسدا. أجد جزء من جسدي يتحول إلى ظلام. سأفقد نفسي

وأصبح ليلاً أيضاً بدون أي أحلام مثل النجوم بداخلي، ولا أمل في شروق الشمس في المستقبل.

لا يوجد أي شيء إلا الرياح، الرياح فقط. وأنا نائم أرى اهتزاز الأبواب في أطرها، وكيف أن زجاج النوافذ يقاوم بصوت عالٍ. لا أنام. ما الفائدة، وتبقى آثار كثيرة من وعيي، وأشعر أن النفوذ من النوم وليس من اللاوعي. ليس لي وجود.... الرياح!

أستيقظ وأعود للنوم دون أن أنام، حتى الآن يوجد مشهد صوت صاخب وغامض. صوت ينتمي لي وكأنني غريب عن نفسي. أفرح بحذر من إمكانية النوم، حقاً، أنام ولكني لا أعرف انني نائم. إنه يبدو وكأنه سبات حيث هناك دائماً صوت لنهاية كل شيء، الرياح في الظلام، أسمع عن قرب صوت رئتي وقلبي. وبعد آخر نجوم بيضاء وتصبح لا شيء في سماء الصباح، يتحول النسيم البارد قليلاً في الضوء الأصفر البرتقالي الساقط على الغيوم المنخفضة. لقد نجحت تقريباً في سحب جسدين لقد استنفدت كل شيء للخروج من السرير حيث التفكير المقلق في الكون. مشيت إلى النافذة بعيوني التي كانت تحترق بسبب بقائها مفتوحة طوال الليل. رأيت أن الضوء قد وصل إلى أسطح المنازل المزدحمة من الظلال المثيرة للاستياء ذات اللون الأصفر الباهت. تأملت كل شيء بغباء كبير يأتي من عدم النوم؛ فاللون الأصفر كان باهتا بلون القش ويتضاءل بشدة عكس أشكال المباني. وبعيداً في اتجاه الغرب - في الاتجاه الذي كنت أواجهه- كان الشفق بالفعل أبيضا مخضر.

أعرف أن الكون سيضطهدني كما هو الحال عندما لا أدرك شيئا. وأعرف أن كل شيء أفعله اليوم سيكون مميزاً ليس بسبب التعب من النوم الذي لم أنمه، ولكن بسبب الأرق الذي أشعر به. أعرف أن وجودي يشعر وكأنه مثل من يمشي وهو نائم كالمعتاد، وليس لأني لم أنم ولكن بسبب أنني لم أستطع النوم.

هناك أيام تعتبر فلسفات الحياة التي تقترح تفسيرات الحياة، وهي الملاحظات الهامشية المليئة بالملاحظات النقدية في كتاب مصير نظامنا الكوني. يبدو أن هذا اليوم هو أحد هذه الأيام. أشعر الآن أني لدي انطباع مضحك عن عيوني الثقيلة وذهني الفارغ وهذا التتبع الذي أقوم به مثل قلم رصاص سخيف، وخطابات من أعماقي، وتعليقات بلا فائدة.

الحرية هي إمكانية العزلة. فأنت حر إذا استطعت أن تنسحب من الناس، ولا تبحث عنهم من أجل المال أو المصاحبة أو الحب أو المجد والفضول، فكل هذا لا يمكن أن يزدهر في صمت وعزلة. إذا كنت لا تستطيع أن تعيش وحيداً فأنت ولدت عبداً، ويمكن أن يكون لديك الأشياء الرائعة من العقل والروح، ففي أي حالة تكون عبداً نبيلاً أو خادما ذكيا وأنت لست حرا، لكنك لا تستطيع تعطيل مأساتك، فميلادك هو قرار المصير وحده. ومع ذلك، فأنت تعيس، حيث أن الحياة نفسها تضطهدك وتجبرك أن تكون عبداً.

إنك تعيس إذا ولدت حراً مع مع قدرتك علىعزل نفسك ولكنك في نفس الوقت لا تستطيع العيش بمفردك، ويمكن أن يجبرك الفقر على العيش مع الآخرين. نعم هذه المأساة مأساتك فهي تتبعك. فكونك ولدت حراً، فهذا شيء عظيم للرجل، مما يجعل الزاهد المتواضع يتفوق على الملوك وعلى حتى الآلهة التي لديها قوتها الخاصة التي تتعامل بها مع العاصيين لها. فالتحرر هو أن يموت الفرد دون أن يحتاج لأحد. وعند الموت يُجبر العبد الضعيف على التحرر من ملذاته، ومن شكواه، ومن استمرار الحياة. فالملك يتحرر من أملاكه، ولكنه لا يرغب في ذلك. والنساء يتحررن من الحب الذي ينشرونه ومن النجاحات التي يفخرن بها. والرجال المنتصرون يتحررون من انتصاراتهم التي كانت أقدار حياتهم. والعظيم في الموت هو إلباس أجسامنا بالرداء الذي لم نعرفه أبداً.

في الموت يكون الرجل حراً حتى إذا لم يرد الحرية. في الموت، لم يعد عبداً، حتى إذا بكى على تخليه عن عبوديته. وهو مثل الملك الذي له لقب ملكي عظيم حتى لو كان رجلا مضحكا، ولكنه ملك؛ لذلك فالرجل الميت ربما يكون مشوهاً بفظاعة، ولكنه لا يزال في مكانته العالية؛ لأن الموت قد حرره.

تعبت، سأغلق مصاريع النافذة، وأبتعد عن العالم، وسآخذ بضع لحظات من الحرية.

غداً سأعود للعبودية، ولكن الآن فأنا وحيد لا أحتاج لأحد، ولكن ينتابني القلق من أن يزعجني أي صوت؛ فلدي القليل من الحرية، ولحظات من خيالي. اتكأت على مقعدي متناسياً اضطهاد الحياة لي. الآلام لا شيء بجانب ما شعرت به من ألم. دعونا حتى لا نلمس الحياة بأطراف أصابعنا. دعنا حتى لا نحب بأذهاننا. ربما لانعرف إحساس قبلة المرأة، ولا حتى في أحلامنا، دعنا نتفوق في تعليم الآخرين كيف يلقون بكل أوهام الحياة. دعونا نحدق في الجدران، مع القلق من معرفة أننا لن نرى شيئاً جديداً أو جميلاً. نساجوا اليأس، دعونا ننسج الأكفان فقط، أكفانا بيضاءً للأحلام؛ فنحن لم نحلم أبداً، وأكفان سوداء للأيام التي ماتت، وأكفان رمادية لكل ما نحلم به، وأكفان أرجوانية لأحسيسنا التي لا فائدة منها. على التلال وفي الوديان وعلى طول الشواطئ والمستنقعات، دعنا نكرههم الصيادين الذين يصطادون الذئاب والظباء والبط البري، ليس بسبب القتل، ولكن لأنهم يمتعون أنفسهم ونحن لا نفعل ذلك.

ربما تكون التعبيرات الظاهرة على وجوهنا بابتسامة لاهية، مثل الفرد الذي أوشك على البكاء ويبعد عينيه بعيداً، ومثل الشخص الذي لا يريد أن يرى ويظهر الاستهزاء على وجهه، ومثل الشخص الذي يحتقر الحياة ويعيش فقط ليحتقرها.
ربما يكون استهزاؤنا بهؤلاء الذين يعملون ويكافحون، وكراهيتنا لهؤلاء

الذين يأملون ويثقون. إنني مقتنع تماماً بأنني لم أستيقظ أبداً. لم أكن متأكداً من أنني كنت في حلم حقيقي عندما كنت حياً، وأعيش عندما أحلم وأن الحياة مقسومة لي هي والأشياء المتداخلة التي تشكل وعيي.

في بعض الأحيان، عندما كنت أشارك بنشاط في الحياة وعندي فكرة واضحة عن نفسي وكأنني رجل آخر، أصبح ذهني قلقاً من شعور غريب من الشك: حيث بدأت أتساءل إذا كنت موجودا أم لا، وإذا كنت حلم شخص آخر أم لا. أستطيع أن أتخيل هذا مع النشاط الموجود بجسدي.

ربما أكون شخصية في رواية، وأتحرك طبقاً لما تم إنشاءة عن طريق سرد معقد من رواية طويلة معقدة. قد لاحظت في الكثير من الأحيان أن شخصيات قصصية معينة تتظاهر بالشهرة التي لم تحدث لهم عن طريق الأصدقاء والمعارف الذين يتحدثون ويستمعون لنا بوضوح في الحياة الحقيقية. وهذا يجعلني أتخيل الاختيار من بين كل الأشياء المجمعة في العالم والتي قد لا تكون سلسلة مترابطة من الأحلام والروايات، ومثل الصناديق الصغيرة الموضوعة في صناديق أكبر منها، وهكذا حتى أكبر صندوق. كل شيء يبدو مثل القصة التي صُنعت من قصص أخرى، ومثل ألف ليلة وليلة، ووهم يأخذ مكانه في ليلة لا تنتهي أبداً.

أعتقد أن كل شيء يبدو سخيفاً بالنسبة لي، إذا شعرت بأن كل شيء غريب. إذا أردت، فكل شيء داخلي سيريد أن يفعل، إذا وجد فعل بداخلي وأنا متأكد من أنني لم أكن مسئولاً عنه. إذا كنت حلما، فيبدو وكأنني أُكتب، وشعرت وكأنني بدأت أُرسم. إذا أردت فإنه يبدو وكأنني وُضعت في شاحنة مثل الحمولة التي يتم تسليمها، وأستمر في هذه الحركة وأتخيل نفسي متجهاً لمكان لا أريد الذهاب إليه. كم هو مربك كل هذا! وكم كان هذا أفضل للرؤية بدلاً من التفكير، والقراءة بدلاً من الكتابة! فما أراه يمكن أن يخدعني، ولكن لا أعترف بذلك في داخلي. وما أقرأه يمكن أن يحزنني، ولكن

لم يكن لدي شعور بأنه سيء؛ لأنه مكتوب.

كم هي مؤلمة الأشياء عندما نفكر فيها كمفكرين واعيين، وككائنات متأملة، يأتي شعورها في المرحلة الثانية والتي نعرف فيها أننا نعرف! رغم أن هذا اليوم رائع لا يمكنني إلا أن أفكر بهذه الطريقة. لتشعر أو تفكر؟ أو ما الشيء الثالث الموجود بين هاتين المرحليتين؟ الملل من الشفق والاضطراب، والمراوح المغلقة، والملل من أن نعيش.

مشينا ونحن لا نزال شبابا تحت الأشجار الطويلة حيث هسهسة أشجار الغابات الرقيقة. ويشكل ضوء القمر بركاً واضحة على طول طريقنا الذي لا فائدة. وكانت فروع الشواطئ متشابكة أكثر من الليلة نفسها، وكان نسيم الغابات يتنهد بين الأشجار. تحدثنا عن أشياء كثيرة مستحيلة، وكانت أصواتنا جزء من الليل والقمر والغابات. سمعناها وكأنها تنتمي للآخرين.

كانت الغابات الغامضة غير مطروقة، وخطواتنا تمشي على طول الممرات التي عرفناها بحدثنا، بين الظلال المزينة ولحظات البرد القاسي وضوء القمر. تحدثنا عن أشياء مستحيلة، وكان هذا من مشهد الحياة الواقعية الذي كان مستحيلاً تماماً؛ فنحن نعبد الكمال لأننا لا نملكه، وإذا كان لدينا، سنرفضه.

الكمال هو اللاإنسانية؛ لأن الإنسانية غير كاملة، بداخلنا سر كراهية الجنة، فلدينا الأشواق مثل هذا البائس الفقير الذي يأمل في ريف الجنة. إنها لم تكن مجردة من حالات النشوة أو العجائب من الحقيقة المطلقة التي يمكن أن تسحر روح الشعور. إنها مكونة من المنازل والتلال والجزر الخضراء في البحار الزرقاء، والطرق المليئة بالأشجار، وساعات راحة يتم قضاؤها في المزارع الموروثة، حتى لو كنا لا نملك ذلك أبداً. هذه الأشياء إذا لم توجد في أرض الجنة، كان من الأفضل عدم وجودها، والأفضل أن يكون كل شيء لا شيء، وتقترب الرواية من نهايتها لتحقيق الكمال، فهذا يتطلب بروده

خارجية للإنسان، تجعله يفقد القلب البشري الذي يجعله يحب الكمال.

عندما نشعر بالرهبة نعبد الدافع للكمال مثل الفنانين الكبار. لا نحب اقترابهم من الكمال، ولكننا نحبه؛ لأنه مجرد اقتراب. كيف نؤمن بالمأساة في الكمال البشري؟! وكيف يعتقد فيه؟!

إذا كتبت عن الملك لير، سأعاني من الندم بقية حياتي؛ لعظمة هذا العمل، وتجسيده الكامل لأحداثه، والعيوب الهائلة، والأشياء الصغيرة التي تقف بين المشاهد والأخطاء الممكنة.

إن الشمس لم تتشوه بفعل آثار التمثال المكسور. كل ما حدث سابقاً كان محاطا بالأخطاء، ووجهات النظر الخاطئة، والتجاهل، وعلامات الخلو من الذوق السليم، وأوجه القصور والسهو.

هذه الأفكار تجعل الأسف يتغلب على خيالي، من خلال الحقيقة المؤلمة، حيث أنني لم أكن قادراً على فعل شيء جيد ومفيد للجمال.

الوسيلة الوحيدة لتحقيق الكمال هي أن تكون إله. وهذا المجهود العظيم يستغرق وقتاً، الوقت الذي يمر من خلال مراحل مختلفة من روحنا، وكل مرحلة تبدو مضادة للمرحلة الأخرى، وتفسد طبيعة العمل بشخصيتها المختلفة.

كل ما نستطيع تأكيده عندما نكتب هو أننا نكتب بطريقة سيئة، وأن الأعمال العظيمة والكاملة فقط هي التي لم نحلم أبداً بتحقيقها. مازال الاستماع يتم بأذن متعاطفة. اسمعنى، ثم أخبرني إذا كان الحلم أفضل من الحياة ... العمل الجيد لم يتم أو لم يُؤدى أبداً في أي مكان .

فقط، الامتناع هو شيء بارز ونبيل، والاعتراف بأن الإنجاز قليل دائماً، وأن العمل الذي نقدمه دائماً هو الظل الخيالي للأعمال التي نحلم بها.

كيف أحب أن اكون قادراً على تسجيل الكلمات على الورق الذي يمكن قراءته بصوت عالٍ، والاستماع إلى حوارات بين الشخصيات الموجودة في الأعمال الدرامية الموجودة في خيالي؛ فالعمل في هذه الدراما كامل تماماً والحوارت فيها بلا شعور، ولكن العمل لم يتم تحديد مكانه بداخلي، ولم أستطع تحديده بطريقة ملموسة من خلال جوهر هذه الحوارات الداخلية التي تكونت من الكلمات الفعلية التي لم أستطع أن أستمع إليها أو أكتبها على الورق؛ فأنا أحب الشعراء الغنائيين تحديداً؛ لأنهم لم يكونوا شعراء ملاحم أو شعراء دراما؛ ولأنهم لديهم الحكمة البدهية التي لا تريد إلا التعبير عن الشعور بشكل مكثف أو لحظة حلم. ما يمكن كتابته دون وعي هو المقياس الدقيق للكمال الممكن.

لا، الدراما عند شكسبير تشبه القصيدة الغنائية عند هينين حيث أن الشعر هو شعر مثالي، في حين أن كل الدراما عند شكسبير أو أي شخص آخر هي حتماً غير مثالية.

آه! لتكون قادراً على إنشاء وحدة كاملة، وتؤلف شيئا، فإن ذلك مثل الجسم البشري به توافق كامل بين كل أجزائه. ومع الحياة، حياة الوحدة والتوافق، وتوحيد الصفات المتفرقة بين أجزائه المختلفة. أنت من تسمع، ولكن تسمعني بصعوبة، ولم يكن عندك فكرة عن هذه المأساة! إن فقدان الأم والأب، وعدم تحقيق المجد والسعادة، وعدم وجود صديق أو حبيب، كل هذا يمكن تحمله، ولكن الذي لا يمكن تحمله هو أن تحلم بشيء جميل، ولا يمكن تحقيقه بالكلمات أو بالفعل. إن إدراك أن العمل كامل هو الرضى عن العمل الذي تم إنجازه.

كيف أقدر على أن أفترض قصور عباراتي التي لم أكتبها أبداً، وكيف أصفها في المشهد التأملي الذي لم أستطع أبداً وصفه. أكتب جملا كاملة بكلمات من خارج هذا المكان، حيث أن تفاصيل الحبكات الدرامية تكونت في ذهني، فأحس الألفاظ والموازين الإيقاعية للقصائد الرائعة، وكل كلمة من كلماتها، ويرافقني الحماس القوي مثل الخادم الذي يختفي في الظلام، لكني استيقظت بالمقعد، حيث ما تم تحقيقه من مشاعري الكسولة. وخطوت باتجاه الطاولة لكتابة الكلمات التي تعبر عنها، حيث موت الدراما، وتلاشي الترابط بين الأصوات الإيقاعية، فقط تترك الحنين إلى الماضي، وبقايا أشعة الشمس على الجبال البعيدة، والرياح التي تثير الأشياء وتتركها على حافة البرية، والقرابة التي لا تنتهي، ولهو التمتع بأشخاص آخرين، والمرأة التي نتوقع أنها تلف حولنا وتنظر إلينا، ولكنها لا توجد أبداً. لقد رسمت كل شيء يمكن تخيله؛ فالإلياذة التي قمت بتأليفها لها منطق بنائي في أجزائها المترابطة، مثل هوميروس الذي لا يمكن أن يتحقق؛ فالكمال الدقيق في قصائدي المكتوبة تجعل أحكام فريجيل تبدو غير متقنة، ونفوذ ميلتون ضعيفاً. فمقطوعاتي الهجائية الاستعارية تجاوزت كل رموز سويفت المترابطة بطريقة قوية. وكلما وقفت من على المقعد، حيث أنني لم أحلم بهذه الأشياء في الواقع، أكتشفت مأساة مزدوجة من إدراك أن هذه الأحلام لا قيمة لها وإنها لم تكن أحلاما مجردة، حيث أن شيء منها مازال على البداية المجردة من تفكيري ووجودها؛ فقد كنت عبقرياً في كثير من الأحلام، ولكن أقل عبقرية في الحياة. هذه هي مأساتي؛ فقد كنت العداء الذي تصدر السباق حتى انهار قبل خط النهاية.

كان يوجد في الفن مكتب للمُحسن؛ فأنا أود أن يكون لي وظيفة في الحياة، على الأقل في حياتي كفنان. لنبدأ بإبداع شخص آخر، ونعمل فقط على تحسينه... ربما يكون هذا هو سبب كتابة الإلياذة . أي شيء، ولكن لنملك الكفاح مع الإبداع الأصلي. كيف أحسد هؤلاء الذين ينتجون روايات، وهؤلاء الذين يتنبأون بها ويكتبونها، ويتابعونها. أستطيع تخيل الرواية

فصلاً فصلاً أحيانا من العبارات الحالية بين الحوار والتعليق السردي، ولكني لم أكن قادراً على ارتكاب هذه الأحلام.
إن الكتابة على الورق... كل أشكال العمل، والصراع إلى السبب المنطقي، فهو خطأ، وكل تنازل هو أيضاً خطأ.

إذا لم أكن قادراً على العمل ولا أتنازل عنه، فسيكون هذا حلماً، وتاج على تألقي، والصولجان الخاص بصمت عظمتي. حتى أنا لا أشتكي؛ فأنا أترفع عن كل شيء حتى أنني أترفع عن نفسي؛ فالاحتقار الذي أحمله من شكوى الآخرين أحمله أيضاً لنفسي، وهكذا يتم سحق كل معاناتي تحت أقدام احتقاري لنفسي. آه! ولكن هذا يجعلني أشكو أكثر؛ لأنك حتى تُقدر شكوى أحد هو أن تطليها بفخر الشمس. فالشكوى الشديدة تستطيع أن تُكسب المتألم وهم اختيار أحد الآلام وهكذا...

***

فاصل حزين

مثل عيني شخص عندما رفعها بعد التحديق في كتاب لفترة طويلة، ونفوره من شدة ضوء الشمس الطبيعي. هكذا أنا أيضاً، عندما رفعت عيني عن النظر لنفسي، أصبت بألم لأرى الحياة بوضوح، واستقلالي عن نفسي وعن العالم الخارجي، وعن وجود الآخرين، ومن موقع الحركات المترابطة في الفضاء. أتعثر في المشاعر الحقيقة للآخرين؛ فعداء نفوسهم تجاهي يقحمني ويعثر خطواتي. فأتبدد وأتقلب فوق وبين أصوات كلماتهم الغريبة في أذني، والسقوط القاسي من ألفاظهم، وحركاتهم الموجودة حقاً، وطرقهم المختلفة والمعقدة لإيجاد الأشخاص الذين ليسوا إلا متغيرات لدي.

وذات مرة قذفت بنفسي داخل هذه النفوس، وفجأة شعرت بالعجز والفراغ، وكأنني ميت والذي سيلقي به أول نسيم على الأرض، وسيتحول الجسد من خلال الاتصال بالأرض إلى تراب. ثم تساءلت: هل كان الأمر يستحق كل هذا المجهود لأضع نفسي في عزلة ثم أرفعها؟ وهل يستحق أن

أجعل حياتي في عذاب من أجل المجد المقهور؟ وحتى إذا عرفت أن هذا يستحق، في هذه اللحظة، فأنا غارق في المشاعر التي لا ولن تستحق أبداً كل هذا.

المال، والأطفال، والمجانين... الثروة لا ينبغي أبداً أن تحسد، ماعدا العلاقات الأفلاطونية، الثروة هي الحرية. تريد أن تموت في "بكين" ولا تريد أن تكون أحد هذه الأشياء التي تؤثر علي مثل مشاعر الخوف من الهلاك القريب؛ فالمشترين للأشياء عديمة الفائدة، هم أكثر حكمة من افتراض أنهم يشترون أحلاماً قليلة، فإنهم يصبحون أطفالا في الأفعال المكتسبة. عندما يخضع الناس والمال لفتن هذه الأشياء القليلة الفائدة، فإنهم يمتلكونها بفرحة الطفل عند احتشاد الأطفال على شاطئ البحر؛ فالتحليل الأكثر تعبيراً هو سعادة الطفل. فهو يجمع القواقع على الشاطئ. سقط نائماً ومعه أجمل اثنين في يده، وعندما فقدهما أو تم أخذهما منه، بكى مثل الإله الذي سُرق منه الكون بعد إنشائه.

إنه لمن المحزن أن حب السخف والغموض هو حيوان السعادة. كما أن محادثات رجل عادي هراء، وصفعات الآخرين على الخلف من التلذذ والحيوية، لذلك فهم غير قادرين على الفرح والحماس ويفعلون الشقلبات في عقولهم ويتعاملون بسخف.

كل شيء سخيف؛ فالرجل ينفق حياته في اكتساب المال والاحتفاظ به، رغم أنه لم يكن لديه أطفال ليتركه لهم، ولا أي أمل أن الجنة ستحفظ له إرثا مُبهما. ورجل آخر يسعى لكسب الشهرة دون الاعتقاد في الشيخوخة، وأنها ستعطيه الشهرة من المعرفة. ولا يزال آخر ينهك نفسه في السعي وراء أشياء لا تهمه. وهناك الشخص الآخر الذي يقرأ للمعرفة، دون فائدة. ورجل آخر يمتع نفسه ليعيش دون فائدة؛ فأنا أركب الترام كالعادة، وأرصد كل تفاصيل الناس من حولي. بالنسبة لي، هذه التفاصيل مثل الأشياء والأصوات

والعبارات. أنجذب إلى فستان الفتاة التي أمامي، وأدقق في أي نسيج تم صنعه، إنني أرى الفستان وليس النسيج، وأرى التطريز الدقيق الذي يزين الياقة، وكنت أفكر من خلال فحصي الدقيق في خيط الحرير المطرز والوقت الذي استغرق لتطريزه.

وعلى الفور، تنكشف المصانع وفرص العمل أمامي: المصانع التي تم فيها صناعة القماش، المصنع الذي تم فيه صناعة الحرير الداكن ليزين الياقة على طول الرقبة، المصنع المليئ بالآلات المتنوعة والعمال والخياطة. تحولت عيني لتنفذ إلى مكاتب "أوس" حيث أرى المديرين يحاولون أن يبقوا هادئين، وأرى كل شيء يُسجل في دفاتر الحسابات، ولكن ليس هذا كل شيء؛ فأنا أرى وراء كل هذا الحياة الخاصة لهؤلاء الذين يعيشون حياتهم الاجتماعية في هذه المصانع والمكاتب. كل العالم يتفتح أمام عيني؛ فأمامي الجلد الداكن لمؤخرة العنق لبعض هؤلاء الناس، وعلى الجانب الآخر لا أعرف ماذا أواجه. وأرى تطريزا غير منتظم على فستان أخضر فاتح. كل الوجود الاجتماعي البشري أمام عيني.

وأبعد من ذلك، أحسست بعلاقات الحب، وأسرار وأرواح كل العاملين؛ حيث هذه المرأة التي أمامي بالترام التي ترتدي فستانا بياقه حول عنقها مموجة من الحرير الأخضر الداكن المطرز.

بدأت أشعر بالدوار. الكراسي التي أمامي بالترام مصنوعة بمتانة ومن القش الذي تم حبكه. أخذني هذا المشهد إلى أماكن بعيدة، حيث تنتشر هناك أشكال الصناعات والعمال ومنازلهم، وحياتهم، وواقعهم وكل شيء. نزلت من الترام وأنا منهك وفي حالة دوار. لقد عشت كل الحياة. في كل مرة أذهب إلى مكان ما، تكون بمثابة رحلة طويلة؛ فرحلة القطار إلى "كاسكايس" تأخذني وكأنني سافرت في هذا الوقت القصير من خلال المدينة والمناظر الطبيعية للريف إلى أربع أو خمس مدن. أتخيل نفسي

وكأنني أعيش في كل منزل أمر به، وكل كوخ معزول ومطلي ومدهون باللون الأبيض من الجير والصمت. أشعر بالسعادة في البداية، ثم الملل، ثم الضجر. إنها السعادة في لحظة. وبمجرد أن أبعد عن هذه المنازل أشعر بالحنين إلى الوقت الذي عشته هناك. وفي كل رحلة كنت أحصد الآلم والسعادة، من الأفراح الكبيرة والأحزان العظيمة، والحنين الكاذب الذي لا حد له. وبمجرد مروري بهذه المنازل، والفيلات، والشاليهات، كنت أعيش أيضاً الحياة اليومية لكل سكانها، والتي يعيشها كل منهم في نفس الوقت. أنا الأب، والأم، والأولاد، والأعمام والخادمة وابن عم الخادمة، كل هؤلاء معاً وفي دفعة واحدة؛ فشكراً لموهبتي الخاصة التي تجعلني أتابع الأحاسيس المختلفة، ومتابعة حياة الناس المتنوعة في وقت واحد، فمن الخارج كنت أراهم، ومن الداخل أحس بشعورهم.

لقد خلقت شخصيات مختلفة بداخلي؛ فأنا باستمرار أخلق شخصيات في كل أحلامي بمجرد أن أبدء في الحلم، يحين تجسيد شخص آخر على الفور، وهو الشخص الذي أحلم به وليس أنا. لأخلق، فعلي علي أن أحطم نفسي؛ فأخرج نفسي من الداخل فلا أبقى هناك، ويظل بقائي الخارجي فقط؛ فأنا مرحلة فارغة في مكان يعمل به الممثلون في مسرحيات متنوعة.

***

الحلم الثلاثي

في حلمي وأنا أرتعد وأنا على سطح المركب أحس ببرد يركض داخلي إلى مسافة بعيدة حيث روح الأمير، حيث هددت الضوضاء جو الصمت في الغرفة المرئية مثل النسيم الغاضب. كل ذلك يأتي بإزعاج يقلق بريق ضوء القمر فوق المحيط فهو لم يعد يتقلب، ولكنه لا يزال موجا؛ لذلك مازلت لا أسمعهم، وبدت أشجار السرو حول قصر الأمير.

وكان برق الصاعقة كالسيف يندفع بغموض بعيداً، حيث كان ضوء القمر فوق البحار العالية التي تتلون مياهها بسببه، وهذا يعني أن قصر الأمير لم

يبقى كما هو مثلما كان في الماضي البعيد. كما أن السفينة تتجه بالقرب من صوت حزين بالغرفة المظلمة، ولكن لم يمت ولم يكن أسيرا، ولكني لم أستطع أن أعرف ماذا حدث له، إنه الأمير. ما الشيء الذي حدث له، ما مصيره الآن؟

إن الطريقة الوحيدة ليكون لديك أحاسيس جديدة، هي تشكيل روح جديدة. لم يكن مفيداً أن تشعر بأشياء جديدة دون أن تشعر بها في هذه الطريقة دون تغيير روحك تجاه الأشياء التي نشعر بها، منذ متى نعرف هذا دون أن تعرف ذلك؟ والطريقة الوحيدة لإيجاد أشياء جديدة لنا، وهو الشعور بها، وهذا يعني أنه لابد من وجود بعض التجديد في الطريقة التي نشعر بها. كيف تغير روحك؟ هذا يرجع لاستنتاجك.
منذ وقت ولادتنا حتى موتنا، تتغير أرواحنا ببطئ مثل أجسامنا؛ فيجب أن نوجد الطريقة التي يتم فيها التغيير بسرعة حتى إذا كانت أجسامنا تتغير أسرع عندما نعاني أو نشفي من بعض الأمراض.

لا يجب علينا أن تنوقف عن إلقاء المحاضرات خشية أن يعتقد أحد بأن لدينا آراء ستجعلنا نتازل عن التحدث إلى الجمهور. دعوا الجمهور يقرأنا، إذا أراد. علاوة على ذلك، فالمحاضرة تشبه الممثل، ومهمة شخص في الفن، وهو معرض للكره من أي فنان جيد؛ فقد أكتشفت أنني دائما مهتم، ودائماً أفكر في شيئين في نفس الوقت، وأفترض أن كل فرد لديه القليل من ذلك؛ فبعض الانطباعات غامضة ولا وقت لها؛ لأننا نتذكرها، فنحن ندرك تماماً أنها لدينا. أعتقد في هذه الانطباعات بشكل جزئي، ربما الجزء الداخلي من الاهتمام المزدوج الذي نمتلكه جميعاً. في حالتي الحقيقتين اللتين بداخلي متساويتين في القوة، وهذا ما يشكل إبداعي، وربما يشكل مأساتي، ويجعلها هزلية، انحنيت على دفتر الأستاذ، أسجل بانتباه الكلمات التي تخبر بعدم فائدة التاريخ وغموضه، بينما في نفس الوقت، وبانتباه متساوٍ اتبعت أفكاري طريق السفينة غير الموجودة في الماضي والمتجهة إلى وجهة غير حقيقية.

بالنسبة لي، الشيئان متساويان في الرؤية والوضوح: فالصفحات المسطرة التي أكتب فيها الملحمات التجارية بعناية بلغة "الفاسكويز". وعلى سطح السفينة حيث ألاحظ بعناية ما وراء النماذج المسطرة، وأرى قطع الخشب وهي مترابطة وتشكل كراسي صالة سفر حيث أقدام المسافرين الممتدة عليها ليستريحوا من الرحلة.

وقد حجب التدخين الرؤية بالغرفة، وهذا لأنني لا أرى سوى أقدامهم. بمجرد أن أضع قلمي في المحبرة، يُفتح باب غرفة التدخين. وهذا تقريباً ما يشعرني بأنني أكشف عن وجه غريب أدار ظهره ناحيتي ومشى باتجاه الآخرين. كانت مشيته بطيئة، ولا أقول كثيراً عن ساقيه، ولغته الإنجليزية، هنا بدأت مدخلا آخرا، وبدأت أحاول أن أستنتج موضع خطأي، فعرفت أنه يجب خصم حساب ماركيز بدلاً من أن يُقيد لحسابه (أراه مهرجاً بديناً ولكنه اجتماعي، وفجأة اختفت السفينة). فالعالم ينتمي لهؤلاء الذين لا يشعرون، فالشرط الضروري لتكون رجلاً عملياً هو غياب الإحساس؛ فالضرورة الأساسية للتغير العملي في الحياة هو الإرادة التي تؤدي إلى العمل. يوجد شيئان يمكن أن يحبطا العمل هما: الحساسية والفكر التحليلي، وهذا الأخير هو الذي يعتقد في الحساسية. كل الأفعال هي الإسقاط الطبيعي لشخصيتنا على العالم الخارجي، ومنذ أن كان العالم الخارجي أكبر وتكون من وجود البشر؛ فإنه يترتب على ذلك أن هذا الإسقاط الشخصي شيء أساسي لعبور طريق الآخرين بما فيه من عرقلة، إما تضرك أو تتغلب عليها. وهذا يعتمد على طريقتنا في قبول العمل، فالعمل يتطلب عجز معين في تحليل شخصيات الآخرين وأفراحهم وأحزانهم، فالتعاطف يؤدي إلى العجز؛ فعمل الرجل يتعلق بالعالم الخارجي حيث يتكون حصرياً من قضايا خاملة، إما من خمول جوهري مثل الحجر الذي نمشي فوقه ونركله بأقدامنا خارج الطريق، أو من خمول مثل البشر الذين لا يستطيعون مقاومته. وبالتالي فالرجل يمكن أن يشبه الحجر إما أن يكون قد تعود على العمل أو الركل خارج الطريق. وأفضل مثال للرجل العملي، هو الاستراتيجي العسكري في

تركيزه الشديد في العمل والذي ارتبط بالحالات القصوى للعمل؛ فالحياة حرب، والمعركة هي التآلف مع الحياة، فالاستراتيجي هو الرجل الذي يلعب بالأرواح، مثل لاعب الشطرنج الذي يلعب بقطع الشطرنج. ماذا سيصبح الاستراتيجي إذا فكر في كيف أن كل حركاته تجلب الظلام لآلاف المنازل وتجلب الحزن لثلاثة آلاف قلب؟ ماذا سيحدث للعالم لو كنا بشر؟ إذا كان الرجل يشعر حقيقة، فلن يكون هناك حضارة؛ فالفن يعطي الحماية للحساسية، والتي أجبرتنا على نسيان العمل؛ فالفن هو سندريلا التي ظلت بالمنزل؛ لأن هذا هو ما يجب أن يكون. كل عمل للرجل هو في الأساس البهجة والتفاؤل؛ لأن هؤلاء الذين لا يشعرون سعداء.

يمكنك اكتشاف الرجل من عمله عن طريق حقيقة أنه لم يكن بعيداً عن تخصصه؛ فالرجل الذي يعمل رغم أن العمل بعيد عن تخصصه فهو يعمل للمساعده فيه. يمكن أن يكون محاسبا، كما هو في الخطة العامة للحياة، وكما هو حادث في حياتي الخاصة، ولكنه لا يستطيع أن يكون حاكماً للأشياء أو الرجال؛ فالموقف من الحكم يتطلب عدم حساسية. كل من يحكم سعيد، بعد ذلك سيكون حزيناً بمجرد أن يشعر بذلك. قد أتم رئيسي اليوم والذي يدعى سنيور فاسكوس صفقته التي جلبت الدمار لرجل مريض وعائلته، وعندما كان يتفاوض على الصفقة نسي تماماً أن هذا الرجل موجوداً، ما عدا الأحزاب التجارية المتضاربة والتي لم ينساها. وبعد إتمام الصفقة تحركت مشاعره بحساسية. وبالطبع لو كان ذلك حدث مسبقاً، كانت الصفقة لم تتم. وقد قال لي: " أشعر بالأسف تجاه زميلي! "، وأن هذا لا فائدة له للمحرومين. ثم أشعل السيجار وأضاف قائلاً: " إذا احتاج شيئا مني، أعنى نوع من الإحسان، فأنا لن أنسى أن أشكره بسبب الصفقة التجارية وبضعة الآلاف من الدروع." .

إن سنيور فاسكوس ليس محتالاً، ولكنه رجل أعمال؛ فالخاسر في هذه اللعبة سيعتمد على الإحسان في المستقبل؛ لأنه رجل سخي. إنه يشبه كل

رجال الأعمال، مثل كبار رجال الأعمال، والصناعيين، والسياسيون، والقادة العسكريين، ورجال الدين والاجتماع، والشعراء العظماء، والمرأة الجميلة، والأطفال الذين يحصلون على ما يشاؤون؛ فالشخص الذي يأمر هو الذي لا يشعر، والشخص الناجح هو الشخص الذي يفكر فقط فيما يحتاجه؛ لكي يحقق النجاح، وما تبقى هو عامة البشرية بما فيها من عدم التنظيم، والحساسية، والخيال الهش، وليس أكثر من ستارة المسرح الخلفية المقابلة لمكان الممثلين حتى ينتهي مسرح العرائس، ولا أكثر من لوحة الشطرنج والقطع التي تتحرك بلا أي حياة، وتظل تتحرك حتى تنتهي من قبل اللاعب الكبير الذي يلهي نفسه بشخصيتين، ويلعب ضد نفسه، ودائماً لا يتسلى.

***

الإيمان هو غريزة العمل

إن عادتي الأساسية هي الكفر بكل شيء - خاصة الأشياء الغريزية- وميلي الطبيعي للمحايدة غير المخلصة في جميع العقبات، والتطبيق الثابت لطريقتي؛ فكل ما أقوم به في الأساس هو اختلاس أشخاص آخرين داخل أحلامي، آخذ بأرائهم والتي أطورها من خلال بديهيتي من أجل أن أجعلهم أرائي - فعدم وجود آراء لدي يجعلني أستطيع أن أتبنى آراءهم وكذلك أي أشخاص آخرين- وأكيفها طبقاً لذوقي الخاص، وأحول شخصيتهم إلى الأشياء التي لها صلة بأحلامي؛ فلدي أحلامي المفضلة من واقع الحياة؛ لأقدر على مقاومة أي صدمات - النوع الوحيد الذي أملكه- للحفاظ على الحلم والحفاظ على تتبعه من خلال آراء ومشاعر الأخرين لبلورة شخصيتي. وناس آخرون هم قنوات وأنابيب في مياه المحيطات، تسير وفقاً لنزواتهم الخاصة، وتلمع المياه في المسارات التي تقع عليها أشعة الشمس وتحدد مسارها المنحني، وتعتبر هي أفضل من المسارات الجافة التي لا تستطيع عمل ذلك.

أحياناً يبدو بتحليلي السريع أنني أتطفل على الآخرين، والذي يحدث حقاً هو إجبارهم على التطفل على عواطفي؛ فعادات حياتي هي المأوى

لشخصياتهم. لقد تصور خطاهم في طين روحي، واستحوازي على انتباههم بشكل كامل في وعيي، بعذ ذلك في النهاية آخذ خطواتهم وأمشي في طرقهم وأكثر مما كانو عليه. ونظراً لعاداتي في تقسيم نفسي ومتابعة مميزات عمليتين عقليتين في نفس الوقت. إنها حالة عامة فمن الواضح أنني كنت أتكيف مع نفسي بشكل سريع كما يشعر الآخرون. وفي نفس الوقت أقوم بإجراء تحليل موضوعي ودقيق لنفوسهم غير المعروفة وفيما يفكرون.

وهكذا في أحلامي دون مقاطعة لخيالي، أعيش جوهر العواطف الميتة في بعض الأحيان، وأكتشف وأصناف الروابط المعقدة بين طاقاتهم الفكرية والروحية المختلفة، والتي غالباً تسكن في مكان كاذب في عقولهم. في حين أن كل ذلك يحدث، يهرب من ملاحظتي هيبتهم وملبسهم وإيماءاتهم. لقد تركت أحلامهم وطبيعتهم الغريزية وأجسامهم وأوضاعها، كل هذا في نفس الوقت. ومع جموع التشتت الجارفة، الذي أجد نفسي بينها، وفي كل لحظة من حديثنا أخلق عدداً كبيرا من النفوس في الوعي واللاوعي، والتحليل والمحلل، ارتبطت كلها سويا.

إنني أنتمي للجيل الذي ورث الكفر من المسيحية، وخلق بداخل نفسه الكفر لكل الأديان؛ فآباءنا لازالوا لديهم دافع الإيمان الذي نقلوه من المسيحية إلى غيرها من الأديان. وكان هناك بعض أبطال المساواة الاجتماعية، والبعض الآخر مغرماً تماماً بالجمال، ويبقى آخرون لديهم الإيمان في العلم ومنجزاته، والبعض أصبحوا أكثر من المسيحية حيث يلجأون إلى التنوع بين الشرق والغرب في البحث عن أشكال ديانات جديدة للترفيه عن أنفسهم، خلاف الوعي العميق للعيش فقط.

لقد فقدنا كل ذلك. لم نولد مع أحد هذه التعازي؛ فكل حضارة تتبع طريقة خاصة في الدين الذي يمثلهم. والتحول إلى أديان أخرى يفقد المرء ما يملكه، وفي النهاية يُفقدون جميعاً؛ فقد خسرنا واحدة وسنخسر الجميع

معها، وهكذا نتخلى عنها. وكل رجل ستيخلى عن نفسه في وحشة الشعور الذي تعيش فيه أنفسنا.

فالسفينة تبدو أحد الأشياء التي تعتزم الإبحار، ولكن لم يكن غرضها الوصول إلى الميناء؛ فنحن نجد أنفسنا نبحر دون أن يكون لدينا أي فكرة عن الميناء المفترض الوصول إليه. ننتج رواية مؤلمة من خطر مبدأ المغامرة " الحياة لا تهم" فقط الإبحار أهم. نعيش بدون الأوهام بالأحلام التي تعتبر وهم هؤلاء الذين لا يستطيعون امتلاك الأوهام التي تعيش بداخلنا وتعمل على ضعفنا؛ فالرجل الكامل هو الذي لا يعرف نفسه؛ فبدون الإيمان لم يكن لدينا أمل، وبدون الأمل لم يكن لدينا حياة حقيقية، ولم يكن لدينا أي فكرة عن المستقبل؛ فالطاقة للكفاح قد ولدت ميتة بداخلنا، حيث ولدنا بدون روح الكفاح.

البعض منا راكد في الخضوع الأحمق كالمعتاد؛ فنحن نبحث بحماقة عن خبزنا اليومي، بدون حتى أن نعرق من أجله، وبدون بذل أي جهد مقصود، وبدون نبل الإنجاز. وآخرون منا أكثر رقياً، يرفضون بازدراء الدول والمجتمع، لا يريدون ولا يرغبون في شيء ويحاولون أن يأخذوا مواضع السيد المسيح في محاولة نسيان الصليب ببساطة، وهو من المحاولات المستحيلة لمن لا يملك، ومثل حامل الصليب والوعي بالأصل الإلهي. ولا يزال البعض الآخر مشغولاً خارج الروح، ويكرسون أنفسهم لعبادة الضوضاء والفوضى، ويعتقدون أنهم يعيشون كلما سمعوا أنفسهم، ويفترضون أنهم يحبون عندما ينطلقون بخفة تجاه كل مظاهر الحب. الحياة مؤلمة لأننا نعلم أننا كنا أحياء، والموت لا يخيفنا؛ لذلك فقدنا فكرة ما هو الموت، ولكن هؤلاء الذين شكلوا سباق الطرفية والحد الروحي للساعة التي تذكرنا بالموت، ولم يكن لديهم الشجاعة الكافية لإنكار الحقيقة، ولم يكن لديهم حق المعاذ.

إن ما عشناه كان حالة إنكار وعدم رضا وحزن، ولكننا نعيش بداخله دون

تحرك فقد أغلق للأبد، على الأقل في طريقة معيشتنا، ورسم على الجدران الداخلية لغرفتنا، وأربع جدارن حجرية لعدم قدرتنا على التصرف.

***

جماليات الإحباط

إننا لا نستطيع استخراج الجمال من الحياة، فدعنا على الأقل نستخرج الجمال من عدم التمكن من استخراجه من الحياة. دعنا نضع فشلنا داخل النصر، وداخل شيء إيجابي ونبيل وموهوب من أعمدة العظمة وموافقة عقولنا. إذا لم تعطينا الحياة أكثر من زنزانة سجن دعنا على الأقل نزينها بأفضل ما نستطيع. نزينها بظلال أحلامنا؛ فقد تعددت حفر النسيان على السطح الثابت للجدران.

مثل أي حلم، أشعر دائماً بأن دعوتي هي الخلق. منذ أن كنت غير قادر أبد على بذل مجهود أو إبداء أي نية؛ حيث أن الخلق بالنسبة لي كان يعني دائماً الحلم، والإرادة، والرغبة؛ فالفعل يعني الحلم بالأفعال التي أتمنى أدائها. أعلنت عجزي في أن أكون عبقرياً، وقمت بتأنيق جبني بادعائي بأنه تربية؛ فقد وضعت نفسي كأنني مذبح الكنيسة الذي رُسم على الكرتون ليبدو وكأنه رخام، ولكني لم أنجح في خداع نفسي.

***

المشهد الممطر

أشم رائحة البرودة، والأسف، واليأس من كل الطرق، وكل مثالية أحلم بها دائماً.

تحظى المرأة اليوم بالرعاية كثيرا، فكيف ترى وتقتنع بأنها تعطي الإنطباع المؤلم بأنها سريعة الزوال ولا يمكن تعويضها. وحتى الطلاء الذي زينها ولونها حتى أصبحت أكثر زخرفة من جسدي الذي لازال على قيد الحياة. الأفاريز، والصور، واللوحات كل ذلك يتحول إلى كلام مرئي. هذا كله مجرد حركة من التفاف شال على الأكتاف تم وضعه بمزيد من الوعي من خلال

فعلها المرئي أكثر من أي وقت مضى.

اعتادت استخدام الشال كجزء من الملابس الأساسية للمرأة، والآن هو ميزة اختيارية، يعتمد فقط على مفاهيم الذوق الجمالي. في هذه الأوقات الملونة عندما لا تهرب أغلب الأشياء وتتحول إلى فن، وكل شيء يجني البتلات من عالم الوعي ويدمجها في أسراب من الذوق. إن شكل هذه السيدة يشبه الشكل الهارب من الصور التي لم يتم رسمها أبداً. بعضهم كان مليئا بالتفاصيل والبعض مرسوما بشكل حاد جداً كما لو كانت غير واقعية، وكان انفصالها عن طريق خطوط تجريدية بالخلفية.

روحي هي الأوركسترا السرية، ولكني لا أعرف ما هو توزيع الألحان، والأحبال، القيثارات، الصنج، والطبول، العزف على الأوتار الذي يحدث ضجة بداخلي. فقط أعرف نفسي كالسمفونية. كل جهد جريمة؛ لأن كل حركة حلم ميت.

أنت كطائر "السنونو" عندما تنحنى، وكـ"الكوندور" عندما تنظر إلي، وكالنسر عندما تترفع عن حالات النشوة مثل السيدة العذراء. أنظر إليك وأرى بحيرة مليئة برفرفة الأجنحة. أنت لا شيء، ولكنك أجنحة.

مطر، مطر، مطر... الأنين والمطر لا يلين... جسدي يجعل روحي ترتعد ليس من البرودة الموجودة بالهواء، ولكن من البرودة التي تأتي من مشاهدة المطر. كل متعة هي رزيلة؛ لأن السعي وراء المتعة وهو ما يفعله الجميع في الحياة، والرذيلة الوحيدة السوداء هي فعل ما يفعله الآخرون.

أحياناً، وبدون توقعها، ودون مبرر لتوقعها، أجد ضغوط الحياة المشتركة تجعلني أصمت، وأشعر بالاشمئزاز من قبل الأصوات والإيماءات من ما يسمى رفيقي الإنسان. إنه الغثيان الجسدي المؤقت، أشعر به تلقائياً في

معدتي ورأسي، إنه مؤثر، ولكنه نتيجة غبية إحساسي اليقظ. كل شخص يتحدث معي، وكل وجه عيناه تنظر إلي، يزعجني مثل الإهانة أو شيء من البذاءة. أدمع مع عثيان من كل ذلك. أشعر بالدوار من إحساسي بأنني أشعر بهم .وفي هذه اللحظة من الألم الباطني كان تقريباً يوجد رجل أو امرأة أو حتى طفل يقف أمامي كنموذج حي من التفاهه التي تعذبني. ليس تمثيلاً وفقاً لشخصي وعاطفتي التأملية، ولكن وفقاً للحقيقة الموضوعية، وتطابق ظاهري لما أشعر به داخلياً. يظهر لي بفعل السحر المتشابه كمثال كامل للقاعدة التي أتصورها. كان هناك أيام عندما قابلت كل شخص وخصوصاً الناس الذين أُجبر على التعامل معهم يومياً، ويظهرون لي كرموز فردية أو معاً. إنهم يشكلون الكتابة النبؤية أو الخفية التي تصف حياتي بغموض.

سيظهر مكتب أوس كأنه صفحة مكونة من الناس بكلماتهم، والكتب هو الشارع. وقد استبدلت الكلمات بالوجوه المألوفة والغير مألوفة، والعبارات التي لا أملك لها قاموساً رغم أنني لدي الفكرة عما تعنيه.

إنهم يتكلمون ويقولون، ولكنهم ليس هم أنفسهم الذين يتكلمون أو يقولون، إنهم كلمات لا تكشف عن معناها، ولكنهم يسمحون بالتلمحيات، من خلال رؤيتي الشفقية، أنا فقط أميز غموض، كيف هذه الألواح الزجاجية المفاجئة على أسطح الأشياء؟ كيف تتيح من داخلها الحجب والرؤية؟ أفهم بدون معرفة، مثل الرجل الكفيف عندما يخبره أحد عن الألوان.

أثناء المشي على طول الشارع، أسمع كثيراً مقتطفات من المحادثات الخاصة، كلها تقريبا عن امرأة أخرى أو رجل آخر، أو الأصدقاء المشاركين لصديق، أو شخص آخر وصديقته... ولمجرد سماع هذه الظلال من الحديث البشري، الذي يشغل معظم البشر، إنني مصاب بملل مرضي وشعور مؤلم وكأنني تم نفيي بين العناكب، ومصاب بوعيي المفاجئ لإذلالي بين الناس

الحقيقيين، ومحكوم علي بالنظر من المالك وكل الجيران كمستأجر مثله مثل أي شخص آخر بالمبنى.
ومع شعوري بالاشمئزاز وأنا أرى من خلال قضبان النوافذ الخلفية للمخزن قمامة كل شخص تتراكم مع المطر في الساحة الملطخة التي هي حياتي.

أكره السعادة لجميع هؤلاء الناس الذين لا يعرفون أنهم تعساء؛ فحياتهم البشرية مليئة بما في الإحساس الحقيقي الذي يقدم الكثير من القلق، ولكن لأن حياتهم الحقيقية خاملة، فإنهم يعانون من إنها تأتي وتذهب دون أن تلمس روحهم ويعيشون الحياة التي يمكن مقارنتها فقط برجل لديه ألم بأسنانه وقد فاز بثروة. فالحظ الحقيقي هو الحياة دون وعي، والهدية العظيمة التي تمنحها الآلهة لأنها هدية تشبههم وتفوقهم كما هم، ولو بشكل مختلف، للسعادة أو الألم. لهذا السبب ورغم كل شيء، أحبهم جميعاً. فهم المفضلون عندي.

أريد أن أنشئ قانوناً لجمود النفوس البارعة في المجتمعات الحديثة؛ فالمجتمع يحكم نفسه تلقائياً إذا لم يكن به ناس ذو حساسية وذكاء. يمكنك أن تتأكد إنهم الشيء الوحيد الذي يمنع ذلك.

كانت المجتمعات البدائية سعيدة؛ لأنها لم يكن لها مثل هؤلاء الناس، ولسوء الحظ أن الأرواح البارعة ستموت إذا تم عزلها من المجتمع؛ لأنهم لا يعرفون كيف يعملون، وبدون وجود أي فراغات غباء بينهم، وربما يموتون من الملل، ولكن قلقي هنا عن السعادة البشرية عموماً.

في اعتقادي، كل روح بارعة والتي تظهر بالمجتمع يتم نفيها إلى جزيرة للبارعين، وسيتم تغذية البارعين مثل الحيوانات في الأقفاص عن طريق المجتمع الطبيعي. لو لم يوجد أشخاص أذكياء يكتشفون الكوارث الإنسانية المختلفة، كانت البشرية لم تلاحظهم. والناس الذين يعانون من الحساسية

سيجعلون البقية يعانون منها بالتبعية.

في الوقت الحاضر حيث نعيش في المجتمع، واجبنا الأول كبارعين هو تقليل مشاركتنا في الحياة القبلية إلى أدنى حد. على سبيل المثال، يجب ألا نقرأ الصحف أو لتقرأها فقط لمعرفة القصص والأشياء الغير هامة التي تحدث؛ فأنت لا تستطيع تصور الفرحة التي تنتابني عندما أقرء أخبار بلدي. كل اسم أقرأ عنه يجعل كل الأبواب الغامضة تتفتح أمامي؛ فأعظم تكريم للرجل البارع هو ألا يعرف اسم رئيس بلده، وما إذا كان يعيش تحت إطار ملكي أو حكومي. يجب أن تكون حريصاً على وضع روحه في الطريق التي تمر بها الأشياء دون أن تزعجه، وإلا سيكون له مصلحة في الأخرين لإنقاذ نفسه.

بالنسبة لهؤلاء الذين يهتمون بالأحاسيس؛ فهناك كتيبات غير مكتوبة عن الجمود، وبه وصفات عن جميع أشكاله.

ويجب أن يكون هناك تتبع دقيق للأسباب المرضية والهواجس لدينا من خلال التشخيص للأشياء المسلم بها لدينا وطبيعتها، ويجب علينا أيضاً تعلم كيفية إبعاد المتطفلين، إن الحذر ضروري لتحصين آرائنا الخارجية وعدم الاهتمام بالكثير من الأشياء لتقوية أرواحنا ضد الضربات التي تأتينا من خلال التعايش مع الآخرين.

إن الحياة تصوف جمالي، لتمنع التشاؤم والإذلال من الحياة والعيش دون أن يقترب أي اشمئزاز من المحيط الخارجي لسياستنا، وخارج أسوار روحنا الواعية.

كل واحد منا جزء من غيره، وهذا مصير للإشمئزاز. جميعنا مذنبون، وجريمتنا هي أن روحنا تحسنا على أن نرتكب واحدة من الإنفصال

المتواصل لفهم كيف يمكن أن يوجد أشخاص آخرون، وكيف تكون أرواحهم ليس روحي، والوعي لم يكن له شيء ليفعله معي؛ لأن وعيهم يبدو لي وكأنه شيء واحد.

فهمت أن الرجل الذي يقف أمامي ويتحدث بكلمات مثل كلماتي ويومئ مثلما أفعل أنا، أو أستطيع أن أفعل؛ فهو بمعنى آخر رفيقي في الخلق، ولكن هكذا فالأشكال الموجودة بالصور الإيضاحية الموجودة في خيالي، والشخصيات التي قابلتها في الرويات، والأشخاص الدرامية التي تتحرك على خشبة المسرح من خلال الممثلين الذين يقدمونها.

لا أفترض أن أحداً يقبل بصدق حقيقة وجود شخص آخر. فنحن ربما نسلم بأن الشخص حي وأنه يفكر ويشعر كما نفعل ولكن؛ سيكون هناك دائماً عنصر مختلف لا نعرف اسمه للتفاوت في تحقيق المساواة. هناك أشكال من الماضي وصور حية من الكتب هي أكثر واقعية بالنسبة لنا من اللامبالاة التي تحدث اثناء عد المتاجر أو النظرات التي تحدث في الترام، أو الإشتباك التي يمكن أن تحدث لنا صدفة في الشارع. فالناس بالنسبة لي ليس أكثر من مشهد، وعموماً فهو مشهد غير مرئي للشارع الذي نعرفه عن ظهر قلب .

أشعر أكثر بالقرابة والصداقة الحميمة مع شخصيات معينة تم وصفها في الكتب وصور معينة رأيتها في المطبوعات والتي يسمى العديد منها أناسا حقيقيين، والذي يربط بينهم الرابطة الميتافيزيقية المعروفة باسم صلة الدم.

وفي الحقيقة صلة الدم تصفهم إلى حد كبير بأنهم يشبهون قطع اللحم المعروضة من نافذة الجزار، وكأنهم أشياء ميتة تنزف وكأنهم أحياء، سيقان وشرائح لحم من القدر. لا أخجل من الشعور بهذه الطريقة، فقد اكتشفت أن هذه الطريقة يفكر بها الجميع. ما الذي يبدو أنه كامن وراء احتقار

الناس المتبادل، والفتور لدرجة أنهم يمكن أن يقتلوا بعضهم البعض مثل القتلة الذين لا يشعرون إنهم يقتلون حقاً. أو مثل الجنود الذين لا يفكرون فيما يفعلونه، ويبدو أن كل واحد لا يبدي أي اهتمام للحقيقة الواضحة بأن الآخرين هم أرواح حية.

في أيام معينة، ولحظات معينة، جُلبت لي من عدم معرفتي بالنسيم، وتفتحت لي من قبل الفتح للباب. وفجأة شعرت أن البقال الموجود بالزاوية وهو كيان تفكيري، وأن مساعده الذي كان في هذه اللحظة منحي على كيس من البطاطا بجانب المدخل، حقاً إن الروح قادرة على المعاناة. عندما قلت أمس أن موظف متجر التبغ قد انتحر، بدا هذا وكأنه كذبة.

الرجل الفقير، موجود أيضاً! قد نسينا ذلك، كلنا، كل الذين عرفوه بنفس الطريقة وكل الذين لم يقابلونه. غداً سننساه جميعاً، حتى بيتر، ولكنه كان لديه دافع بشكل واضح لقتل نفسه.

العاطفة؟ القلق؟ لا شك... ولكن بالنسبة لي كما لكل البشرية، يوجد ذكرى ابتسامة خرساء ومعطف رياضي رث كان معلقاً بشكل غير مهندم على الكتفين. هذا كل ما تبقى من هذا الرجل الذي شعرت كثيراً إنه قتل نفسه بسبب الشعور، ولهذا السبب قتل شخص آخر نفسه، مرة واحدة اشتريت منه السجائر، وقد بدا لي أنه سيذهب إلى بالد مبكراً.

وقد اتضح أنه لم يكن لديه الوقت الكافي ليذهب إلى بالد. هذه هي إحدى ذكرياته التي لازلت أتذكرها. يمكنني تذكر شيئا آخر تخصه، حتى لو كانت هذه الذكرى لم تكن عنه بالفعل، ولكن من نسخ خيالي.

فجأة رأيت جثته، في مكانها، تم وضعه قبر غريب، عرفت أنه صراف محل التبغ، بمعطفة المتلوي، وهذه طريقة من طرق الإنسانية. إنها لم تكن سوى

ومضة لي، اليوم كإنسان، إنه مات. هذا كل شيء.

لا، البعض الآخر لم يكن موجودا... وهذا بالنسبة لي امتناع أجنحة الغروب وألوانها المعقدة والغامضة. إنها بالنسبة لي ومضات النهر العظيم تحت غروب الشمس حتى لو كنت لم أستطع رؤيته. إنها بالنسبة لي مثل الساحة التي تطل على النهر، حيث ترتفع فيه المياه الآن. هل صراف محل التبغ دُفن اليوم في المقبرة الجماعية؟ والشمس لم تظهر عليه اليوم. لا أعتقد هذا، إذن فهو ضد إرادتي، أرى أن الشمس أبت الظهور.

مرت السفن في الليل دون أن يدري بها أحد. أدركت الآن كيف فشلت، وكانت المفاجأة لي هي عدم قدرتي على مواجهة الفشل. ما الذي بداخلي يجعلني أشعر بأنني انتصرت؟ فلم يكن لدي القوة العمياء للمنتصر، ولا رؤية المجنون، كنت واضحاً وحزينا مثل اليوم البارد، وكان الكثير من الأشياء تواسيني، وحتى الأشياء المضاءة بضوء الشمس تواسيني أيضاً.

إننا نرى الحياة تمر تحت السماء الزرقاء، هذا يعوضنا الكثير. نسيت غموض نفسي، وأنسى الكثير مما يمكن أن أتذكره من الماضي؛ فالعلم بالأشياء يفقدني توازني والقلب الذي تشوبه الضغائن لا نرضى عنه؛ فلم أكن أكثر من نظرة غير مجسدة، والتي هي فقط روح من النسيم الهزيل الذي مر بي ورأيته. لدي شيء من الروح البوهيمية من هؤلاء الذين تركوا الحياة تنزلق بعيداً. ومثل الأشياء التي تنزلق من خلال أفكار الشخص التي سقطت فجأة في النوم، فهي مجرد فكرة. ولم يكن لدي التعويض الخارجي من الروح البوهيمية ولم أقبل إظهار المشاعر دون مقابل. لم أكن أكثر من بوهيمي معزول، وهذا شيء سخيف، أو البوهيمي الصوفي ولكنه أمر مستحيل أن أكون كذلك.

لقد عشت فترة معينة للراحة في حضور الطبيعة؛ فهي لحظات منحوتة من العزلة والعطاء، والتي ستكون دائماً مثل الميدليات بالنسبة لي؛ ففي هذه اللحظات نسيت كل أهداف حياتي وكل الطرق التي أريد أن أتبعها.

سقط الهدوء الروحي الهائل في حضن طموحاتي، وسمح لي بالاستمتاع. تبدو المتعة لا شيء، ولم أستمتع أبداً بلحظة سعيدة. في كل لحظاتي من التحرر الروحي كان هناك حزن ساكن، يتفتح بشكل غامض وراء جدران وعيي. وعطر ولون حقيقي للزهور الحزينة مرت ببداهة من خلال الجدران الحجرية الموجودة بالجانب البعيد -حيث ازدهرت الورود- والتي لم تتوقف عند الجانب الضبابي الغامض لمن أكون. وفي خمول وجودي يومياً، حيث كان البحر الداخلي حيث نهر انتهاء حياتي. وكانت الأشجار الصفراء الخريفية تحيط بقصر أحلامي. ومع هذه المناظر الطبيعية كان تاج روحي من الأشواك. كانت لحظات في حياتي من الأحلام، الأحلام الحزينة التي كنت أرى فيها نفسي في أحواض من النرجس الذي يتمتع بالهدوء وهو مائل على الماء، واع بما في داخله من تفاعلات، حيث الرؤية الداخلية التي وثقت في مشاعره المجردة كالعاشق للمشاعر الأمومية في أعماق خياله.

كان القرنفل هو الزهرة المفضلة لدينا، ربما لأنه لم يشير إلى البذخ. وشفتيك المهيبة مشهورة بسخرية ابتسامتك. هل حقاً تفهم قدرك؟ ذلك لأنك تعرفه بدون أن تفهم أنه سر مكتوب في حزن عينيك الذي ألقى بساط الرحمة على شفتيك المستكينتين. فوطننا كان بعيداً عن الورود. وفي شلالات المياه الصغيرة في حدائقنا كانت تتألق مع الصمت. وفي التجاويف الصغيرة من بين الصخور التي بين الماء، كانت هناك أسرار من طفولتنا والأحلام بنفس أحجام لعبة الجنود لدينا عندما كنا صغاراً، حيث نستطيع الوقوف على أحجار الشلالات لتنفيذ عملية عسكرية ضخمة، دون نقص في أحلامنا، ولا شيء ناقص في تخيلنا. أعرف أنني فشلت، فأنا أستمتع بغموض إحساس الفاشل الذي في تعبه الشديد يستطيع أن يقدر الحمى التي أصابته.

كانت لدي نظرة معينة في الصداقة، لكني لم يكن لي أصدقاء، إما ببساطة لأنني لم أجدهم، أو لأن الصداقة التي تخيلتها كانت خطأً من أحلامي، لقد عشت دائماً وحيداً، وأكثر من أي وقت مضى أصبحت أكثر وعياً.

في نهاية الصيف، عندما فقدت حرارة الشمس قسوتها، وبدأ الخريف قبل أن يكون خريفاً، مع جو معتدل دون حزن كما لو أن السماء لم تشعر بالابتسام. إنها زرقاء وفي بعض الأحيان أخف زرقة، وأحياناً خضراء مع اللون النبيل الذي ينقصة الجوهر. كان هناك نوع من النسيان في النغم الأرجواني الخافت للسحب. إنه لم يكن سبات طويل، ولكن الملل الذي يقود إلى الوحدة إلى حيث تذهب به السحب.

أتي فصل الخريف وصار الجو باردا، وبدا ذلك خلال صفرة النباتات، ومن بعض الظلال والمسافات ولون المناظر الطبيعية، ومن الهدوء الغامض للأشياء. لا شيء على وشك الموت الآن، ولكن كل شيء كأنه ابتسامة لم تتشكل، وبدت الأشياء متلهفة للعودة إلى الحياة.

أخيراً جاء الخريف، عصفت الرياح الباردة بنا، وأوراق الأشجار تهسهس بصوت خافت حتى لو لم تكن جافة. وتساقطت أوراق الأشجار على الأرض وتلونت الأرض بها. ذبلت الابتسامة كما تتدلى جفون العين، وعجزت الحركات.

هذا ما تشعر به الطبيعة أو هذه الحالة التي أتخيلها. أشعر بضيق لألم الوداع. واقتحم صوت دوامات الرياح وعينا. وأصبحت التفاهة شعور حقيقي في الحياة، ولكن المياه الباقية من الأمطار سقطت بالفعل في الخريف القاسي، وجرفت في طريقها الألوان الزاهية.

كانت الرياح العاصفة ضد كل ما هو ثابت، وحركت كل ما هو مترابط،

وجرفت في طريقها كل شيء متحرك، ووضحت بين نوبات المطر وفي غياب كلمات الاحتجاج على المجهول. أصوات حزينة وغاضبة تقريباً من اليأس الكئيب.

في الخريف الماضي توقفت البرودة، أوشك الشتاء على المجيء، ملأ الغبار الجو، وكل شيء صار موحلا، ولكن للشاء جانب حسن أيضا.

وفي السماء العالية، حيث الحرارة المملة والأحزان، كل شيء ملائم لليل والتأملات حول المجهول. هذا ما كنت أشعر به. ووجد أن هذا الخرف الذي كنت أملكه قد فقدته.

أن الفرصة كالمال، حيث تأتي لنفكر فيها، إنها لا شيء، ولكنها فرصة لهؤلاء الذين يعملون؛ فالفرصة تتعلق بالإرادة، والإرادة لا تهمني. وبالنسبة لهؤلاء الذين لا يعملون؛ فالفرصة عندهم كنغمة صفارة الإنذار التي لم توجد، وتم رفضها بشكل حسي، وطريق سريع لم يستخدم على الإطلاق.

كل حركة مهما كانت بسيطة تنتهك سراً داخلياً. كل حركة هي عمل ثوري من المنفي وربما من صحة أهدافنا. العمل هو مرض نتج بفعل الفكر، وسرطان من الخيال. العمل هو منفي اختياري . أرى كل عمل مفزع وغير كامل؛ فالقصيدة التي أحلم بها لم يكن لها وجود حتى أدركت هذا؛ فنحن نحتاج إلى ما تم تسجيله في أسطورة يسوع؛ فالرب يصبح رجلاً، ولا يستطيع المساعدة، ولكن ينتهي في الشهادة. الحالم الأعظم لديه الشهادة العظمى للابن.

عندما نشعر بأوراق الأشجار والظلال البالية، والأغنية المرتجفة للطيور، وأسلحة النهر الطويلة تلمع في الشمس، والنباتات، والخشخاش، والأحاسيس البسيطة، أجد نفسي أحن إليها.

الوقت ملل، مثل العربة في نهاية اليوم، ومثل القارب القديم الذي يعود من خلال أفكاري. رفعت عيني من التفكير إنها تؤلمني بعفل رؤيتي للعالم.

لتحقيق الحلم، يجب على المرء أن ينساه ويبعد انتباهه عنه؛ فالحياة مليئة بالمفارقات مثل الورود التي لها أشواك. دائماً أشعر أن خلاصة أحلامي يمكن أن تفيد البشرية وهذا هو السبب في أنني أحاول دائما أن أكمل أي شيء؛ ففكرة أن هناك شيئاً ما فعلته وربما يكون مفيدا تزعجني وتشعرني بأنني استنزفت. لدي منازل على مشارف الحياة. هربت من مدينة أفعالي إلى الأشجار، والأواريس الموجودة بخيالي. ولا فعل من أفعال حياتي وصل إلى المأوى. ومن كؤوس تأملاتي شربت الابتسامة فقط من النبيذ الذهبي، شربتها فقط بعيني. وعندما أغلقهما تمر الحياة مثل الإبحار لمسافة بعيدة؛ فالأيام المشمسة بمثابة صفعة مما لا أملك.

لقد تُركت السماء الزرقاء والسحب البيضاء، والأشجار، والبراعة المفقودة، والقصائد الريفية عندما سُرقت فروع الحقيقة، هل هذه هي القيثارة الصامتة التي عزفت عليها الألحان الرقيقة.

كل شيء هو جزء مني: النباتات الصامتة... اسمك الذي بدى مثل الخشخاش... ذهابي للمنزل... الكاهن المجنون الذي فقد عقله خلال القداس... هذه الذكريات من أحلامي... اترك عيني مفتوحة ولكني لا أرى شيء... الأشياء التي أفعلها لم تكن هنا... المياه الأشجار الخضراء الوفيرة؛ فالحياة هي سبب وجودي.

إنه ألم المصير! يمكن أن أموت غداً! وحتى اليوم يمكن لشيء رهيب أن يخفق روحي! عندما أفكر في هذه الأشياء أصاب بالفزع أحياناً من الحكم الاستبدادي الذي يكرهني على أخذ خطوات دون أن نعرف أين ستأخذنا طرقنا الغامضة.

بدا سقوط المطر كالشيء الحزين، ولكن الآن أقل قوة كأنه تم السيطرة عليه من الملل الكوني. لم يكن هناك برق. وأحياناً يكون متباعدا، صوته عالٍ وقصير يضرب بإزعاج، ويتعرج في بعض الأحيان وكأنه متعب جداً. وفجأة يهدأ المطر.

فتح أحد الموظفين النوافذ المواجهة لروادوس ودرادوس. كان هواء بارد مع بقايا دفئ ميت تراكم في أوس الكبير، وصوت السيد فاسكوس وهو يتحدث في الهاتف بصوت عالٍ إلى أوس ويقول: " أنت تعني أن الخط مازال مشغولاً. "، ثم بدأ في حديث جانبي يفترض أنه يوبخ موظف الاستقبال على الجانب الآخر.

لتكون قادراً على الأحلام، يجب أن تعرف كيف لا يكون لديك أشياء خادعة. بهذه الطريقة ستصل إلى قمة الحالم الممتنع، حيث المشاعر الراقية والأفكار الممزوجة مع بعضها البعض.

هناك ألوان وأرواح مذاقها مثل غيرها على سبيل المثال، الكراهية مثل الحب، والأشياء الملموسة مثل الأشياء المجردة، والأشياء المجردة مثل الواقع، الروابط التي تربط الأشياء ولكنها تفصل كل شيء لأنها تفصل كل عنصر وتصلح وتدمج، وتخيلات فاصلة، وغطاء ملون من الثبات والكسل من كفرنا الكامن. إنني لا أحلم، ولا أعيش، ولكن أحلم بحياة حقيقية.

إننا نحلم أن السفن هي سفن إذا كان لدينا القوة لنحلم بها. الحلم لا يقتل صاحبه؛ فأنا أدمج في جمال الحلم وواقع الحياة في لون واحد سعيد. يمكن للأحلام أن تتكرر وتكون جميلة، ولكننا لا نمتلكها أبداً أو هو بالأحرى هو هدفنا الذي نسعى لتحقيقه. هناك الكثيرون الذين يعيشون الحياة دون أي قيود. وتعالملون وكأنهم حققوا أهدافا لهم في الحياة، لا يشعر بحريتهم دون العيش مع الآخرين، تواجههم العقبات ويشعرون

بمرور الوقت.

عندما نقتل حلمنا، سنقتل أنفسنا ونشوه روحنا؛ فالحلم هو الشيء الوحيد الذي لدينا وهو بالفعل لنا لا محالة.

إن الحياة والكون إما أن يكونا حقيقة أو وهما الجميع يشعر بهما ويتعايشون من خلالهما. كل شخص يمكن أن يرى ما أراه أنا ويملك ما أملكه أو يستطيع على الأقل تخيل نفسه يراه أو يملكه، لكن لا يستطيع شخص بجواري أن يرى أو يمتلك حلمي. فإذا رأيت العالم الخارجي مختلفاً عن رؤية الآخرين له فهذا بسبب نسياني لما قد أراه وأحلامي التي التصقت بعيوني وآذاني. تملأ الطمأنينة كل مكان في هذا اليوم المشرق الواضح مع رقة الأصوات الذهبية. وإذا قيل لي أن الحرب قد بدأت، سأقول لم تكن هناك حرب. يوم مثل هذا اليوم، لا أستطيع قبول أي شيء يمكن أن يعكر صفوه.

ألمس قلبي واسمع دقاته الرقيقة وأشعر بحبي نحوك. يمكننا أن نفعل شيئا معا. أريد أن نصلي معاً ونبتهل لنتخلص من اليأس.

لا يوجد عمل لفنان إلا وبه بعض الأخطاء؛ فعندما نقرأ قصيدة نجد خللا ببعض أبياتها، وبعض التعبيرات لا يمكن فهمها. كيف للفنان أن يكون عمله معابا؟ حتما سيشعر بالضيق لهذا الأمر سيكون كاشاب دون الشباب وستمر حياته دون ان يشعر بالرضا في داخله.

لماذا يعبر كل شخص عن نفسه؟ وما القليل الذي يمكن أن يقوله ويكون أفضل.

إذا استطعت حقاً إقناع نفسي أن الزهد شيء جميل، كيف سأكون سعيداً؟ وهل أظل سعيداً للأبد؟!

أقول لنفسي أنني لا أحب شيئا أسمع ذلك بأذني ولكنني عندما أقولة أشعر وكأنني لا أفهمه.

ماذا تعني الأفكار الخاطئة التي تأتي من سوء فهم الآخرين لنا؟. إنهم لا يشعرون بالسعادة من سوء فهمهم لنا عندما يريدون إخبارنا بفكرة معينة تخصهم، في ذلك الوقت يشعرون بأن تلك الفكرة معقدة ويصعب فهمها؛ يمكننا فهم البسطاء في حين أن فهمنا لهم لا يعنيهم في شيء.

هل فكرت في أن تحب الآخرين، وكيف نكون غير مرئيين لبعضنا البعض؟ هل فكرت كيف نعرف بعضنا البعض ببساطة؟ فنحن ننظر إلى بعضنا دون رؤية. نسمع لبعضنا البعض ومع ذلك لا نسمع سوى صوت بداخلنا. فكلمات الآخرين نسمعها على سبيل الخطأ، وتغيير رؤيتنا للأشياء. كيف نثق في كلام الآخرين. إننا نسمع صوت الموت عندما يتحدثون عن الجنة ويصفونها في كلامهم. كلماتهم توقد الرغبة في الحياة داخلنا حينما يطلقونها دون قصد. تترجمها جداول المياه الصغيرة وحفيف الأشجار، آه، يا حبي المجهول! هذه حياتنا وما بها من نزوات، هذا كل الرماد، ها هو ينزلق تحت زنزانتنا، وربما يكون كل شيء من نسج الخيال، وربما لا يكون هناك ما يشفي ما أنا شاعر به.

إن الدهاء والانحراف والكذب والسخافة والفتنة- كلها هي المنتصرة في النهاية، ولكن يستطيع الأبرياء الإفلات من شراكها. في ظل الانحراف لا تكون لنا الرغبة في الاستمتاع بأي شيء، بل يؤلمنا الغضب النابع من داخلنا وترانا نسقط على الأرض ما بين المتعة والألم، إنها لعبة مملة وتعد محاولة للتسلية، إنكم لا تعرفون المتعة، يمكننا الاستمتاع عند شرائنا لاحتياجاتنا، ويمكننا ان نفرح يضا إذا مشينا في طريق لا نعرفه ووجدنا فيه ضالتنا.ما هو الفعل البشري الذي يحمل بين طياته كل معاني التناقض؟كيف تربو بنفسك عن إضاعة عمرك؟ كيف تقوم بعمل فني وصبح في النهاية شيئا

رائعا؟ كيف تسلك طريق النصر؟ آه يا حبي وآه يا أعمالي المجيد التي ضاعت بلا رجعة!!، لم تعد رسائل اليوم سوى عناوين لمكتبات قد أحرقت أو تماثيل قد حطمت.

ما وجه الإمتاع في تكرار الفنانين للأعمال الجميلة؟ أو في إمكانية قيام الفنانين بعمل جميل، ولكن تصبح أعمالهم في النهاية تبدو وكأنها أعمال ينقصها الإبداع وهم متعمدون جعلها هكذا أو قيام الشعراء العظماء بعمل قصيدة تبدو كالشيء الصامت الذي يعبر عن الاشيء وهم أيضا يتعمدون جعله هكذا. كيف تكون لوحة الموناليزا أكثر جمالاً إذا لم نتمكن من رؤيتها! وإذا وجد شخص لسرقتها، فإنه فقط سيبددها، كيف يكون الفنان أعظم مما رسمه! لماذا الفن جميل؟ لأنه غير مجدٍ. لماذا الحياة وقحة؟ لأنها هي كل الأهداف والغايات والنوايا، وكل طرقها للذهاب من نقطة واحدة لأخرى إذا كنا فقط نمتلك الطريق الذي يربط مكان بآخر، كأن لم يذهب منه أحد إلى أي مكان آخر ولم يذهب إليه أحد. وإذا كرس أحد حياته لبناء طريق من منتصف الطريق؛ فهذا سيؤدي إلى منتصف طريق آخر، إنها الطرق التي نستفيد منها. امتداد لكل نهاية، ولكن هذا الأمر سيبقى سامياً مثل الامتداد من وسط الطريق! هذا كل الخراب! إنه لم يعد صالحا لأي شيء.

إننا نملك جمال بعض ذكريات الماضي، يمكنا إعادة إحيائها، ولكن حضرها لن يحدث. إنه شيء سخيف. كيف أقول كل هذا؟ ولماذا أكتب هذا الكتاب؟ لقد أدركت أنه غير مكتمل.

يمكن للكمال أن يكمن في الحلم، ويمكن للكتابة أن تكون ناقصة؛ لهذا أكتب كتابي، فيه أكتب عن أن السخافة لا نفع من ورائها، وأكتبه لأكذب على نفسي وأكون خائنا لنظريتي. أريد المجد من وراء ذلك. ربما يكون لاشيء في ذلك صحيحاً، ولا أعتقد إنه سيكون صحيحاً.

عندما نبدأ الكذب لنجلب لأنفسنا السعادة، دعنا نقول الكذب الذي يؤدي إلى الحقيقة، وعندما يسبب لنا الكذب قلقاً، دعنا نتوقف لأن المعاناة لا يمكن أن تصبح ممتعة. أعاني من الصداع والكون. الأوجاع االجسدية تؤلم مثل المعنوية، فتؤثر كل منها في الأخرى وتبقى المآسي؛ فهي سبب المعاناة في كل شيء، فكل شيء طبيعي يحتوي على نجمه من الكون.

لا أشارك في هذا ولم أشارك فيه من قبل، ولا أتخيل أبداً المشاركة في المفهوم الفاسد الذي يتعلق بنا. مثل الأرواح الحية، لتكون نتائج لهذا الشيء المادي الذي يسمى الدماغ، والذي ينشأ ويقيم في شيء مادي آخر يسمى الجمجمة. لا يمكن أن أكون مادياً، ولا أعتقد أنه يوجد أحد نصير لهذا المفهوم؛ لأنني لا يمكن أن أنشئ علاقة واضحة - أعنى علاقة بصرية- بين كتلة مادية ذات لون رمادي أو مواد ملونة أخرى. وهذه الأشياء المعروفة والتي تختفي وراء نظرتي حيث أرى السماوات وأفكر فيها، وأتخيل السموات الأخرى التي لا وجود لها. وحتى لو لم أستطيع السقوط في حفرة من الإفتراض بأن شيئا ما هو شيء آخر لمجرد أنهم في نفس المكان، هذا يشبه الجدار وظله. وأن اعتماد روحي على الذهن هو أكبر من اعتمادي على السيارة التي تقلني عند السفر.

أعتقد أن هناك علاقة اجتماعية بين أرواحنا وأجسادنا. ويمكن أن يحدث بينها مشاجرات. وما يحدث عادة هو مثل ما يحدث بين شخصين عاديين من عصبية.

أوجاع رأسي اليوم، وربما معدتي حيث أن الصداع هو مصدر ألمها، ولكن الألم في هذه المرة يأتي من بطني إلى رأسي، ويقطع التأمل الذي يذهب وراءه تفكيري. فتغطية عيني لن تعميني، ولكنها ستحجب عني الرؤية. وهذا ما يعرف بسبب أوجاع رأسي؛ فأنا لا أريد شيئاً يثير الإعجاب أو شيئا قيما على الإطلاق، بينما التفاخر الذي أبدو عليه في هذه اللحظة السخيفة

والمملة هو كوني لا أريد حتى رؤية العالم.

أوجاع رأسي، والتي لا تعني أنني على علم بموضوع قد انتهى بالنسبة لي، كما يحدث عندما ينتهي الفرد؛ فأنا مستاء وعرضة للانفعال في وجه الجميع بما في ذلك من لم ينتهي بالنسبة لي، ولكن يحدث بالقرب مني. ما أشعر به هو الموت، فهو على الأقل موت مؤقت، ولكن ما يحدث يسبب آلاما برأسي، وقد يحدث أكثر من ذلك ويغمرني فيض من الحزن.

إن عين الخيال ترينا الحال الدرامية التي عليها البشر. ومن خلال النبض شديد ويتبلور الانفعال بتلك الدراما لتترجم في أوراق، ولكن لم يكن لدي أسلوب بليغ، فأوجاع رأسي سببها أوجاع رأسي وليس شيء آخر. الكون يؤلمني لأن رأسي تؤلمني، ولكن الكون الذي يؤلمني لم يكن الكون الواقعي الموجود، ولكنه كون آخر ينتمي لي وحدي، عندما أمرر يدي من خلال شعري هذا يجعلني أشعر أن كل شعرة منه تعاني ليس لأي سبب إلا لتجعلني أعاني.

إنني مذهول من قدرتي على القلق ولم أكن أميل إلى التأملات الميتافيزيقية في هذه الأيام التي أعيشها الآن. يمكنني حل المشاكل الدينية والميتافيزيقية، فحل المشاكل الدينية يعني حل المشاكل العاطفية في إطار عقلاني. تبقى أمامنا مشاكل لا حل لها. لا أحد منا يمكنه فك العقدة المستعصية، إما نستسلم أو نقطعها.

إننا نحل المشكلات المتعلقة بالعقل بعواطفنا، إما لأننا تعبنا من التفكير أو لأننا خائفون من استخلاص النتائج، أو بسبب شيء يتعذر تفسيره، أو بسبب وجود دافع اجتماعي للعودة للحياة. أو لأن تلك المشاكل متعلقة بأناس آخرين. وحيث إننا لا يمكننا أبداً أن نعرف جميع العوامل التي تتوقف عليها المشكلة، لا يمكننا أبداً حلها.

للوصول إلى الحقيقة، فإننا بحاجة إلى المزيد من البيانات بجانب الموارد الفكرية للتفسير الكامل للبيانات. مضى شهر منذ أن كتبت آخر شيء، وشعرت وكأنني شخص آخر، لقد شعرت غالباً أن السعادة بالإنابة. لم أشعر بوجودي في الحياة وكأنني لست أنا. إنني شخص آخر، عقلي متوقف عن التفكير. رجعت اليوم فجأة إلى من أكون، أو أحلم أن أكون. إنها لحظة متعبة جداً تلك التي تأتي بعد إنهاء مهمة مملة.

أسندت مرفقي على طاولة مرتفعة ومائلة، وأسندت رأسي على يدي وأغلقت عيني، وأعدت اكتشاف نفسي. وبعيداً، في شبه سبات تذكرت كل شيء حدث في الماضي، وبشكل واضح وكأنها أمام عيني، رأيت فجأة قبل أو بعد كل شيء جانبا من المزرعة القديمة المفتوحة على الحقول، وفي وسط هذا المشهد ظهرت آلة الدراس فارغة.

كل شيء رأيته أحسست به، وتعانق النسيان والذكرى، مع تذكر ضعيف للشارع والأصوات الخافتة للعمل كالمعتاد في المكتب الهادئ، وعندما وضعت يدي على المكتب ونظرت إلى ما كان هناك نظرة متثاقلة كأنها آتية من عالم الموتى، فما رأيته كان معبرا عن معنى الحياة المادية.

نظرت إلى آلة الدراس من أعماق الهاوية، حيث المجهول واليقظة. قد تلونت بالظلال الخضراء، تلمع بشدة، ولكنها جميلة. إنها الحياة.

من منا يعرف شيئا عن القوى العليا مثل الآلهة أو الجن، وحقيقة كونهم يتجولون بداخلنا، ربما أكون لا شيء، ولكني لامع. الشيء الذي يوجد بالمصادفة للحظة أو لحظتين. هل هذه فرضية سطحية؟ أم ملاحظات مبتذلة؟.
فلسفة بلا فكر حقيقي؟ ربما! ولكني لا أفكر، فأنا أشعر. إنه جسدي. ومباشرة في الظلام العميق والمرعب التي وضعنى في هذه المقارنة الساخرة

عندما قارنت نفسي مع شيء آخر. في الحقيقة شعرت عندما تخيلت نفسي أنني أشعر مثل أي شخص آخر. وشعرت بأنني لازلت على قيد الحياة، حتى عندما أنام فهذا ما قدر لروحي.

والأكثر رعبا أن ما كان يفكر فيه عقلي الباطني قد بدا جليا. رفعت عيني تلقائياً تجاه السقف خشية أن تنقض علي مسطرة خشبية وكأنها ضربة قوية. وعندما خفضت عيني قد تلاشى إحساسي هذا دون أن يترك أثرا، على الأقل لم أسمعه.

عندما تتذكر الشعور بألم في الرقبة يرد إلى ذهنك على الفور ذلك الشخص الغريب.

هذه دنيوية اللغة التي تعطي التوابل للجملة. أتساءل كم عدد الذين يتأملون، مع إعطاء الاهتمام الذي يستحقه التأمل. فهذا كالشارع مهجور. هذه الجملة بعباراتها، تبدو وكأنها تريد أن تقول شيئاً آخر، والواقع خلاف ذلك. فالشوارع المهجورة ليست الشوارع التي لا يسير بها أحد، ولكن هي الشوارع التي يسير بها الناس وتبدو وكأنها مهجورة. هذا يصعب فهمه، بشرط أن يراه الفرد. فالحمار الوحشي لا يمكن أن يمسكه رجل لا يعرف أكثر من الحمار. فأحسيسنا تتغير طبقاً لكيفية فهمنا لها وإلى أي مدى يوجد طرق للفهم الذي له طرقه الخاصة ليكون مفهوماً. أريد أن أكون شخصا آخر.

والأهم من كل هذا هو الشعور بالتعب، والقلق الذي هو توأمه، التعب موجود رغم كل شيء. أشعر بالضجر مما أفعله، وبالخجل مما أقول. كل شيء يهاجمني في البداية بلا جدوى؛ فالملل لا يطاق في جميع الأحوال، والسخافة مع الذكاء أو بدونه وشيء خيالي ومقزز في سواء في سعادة البشر او في تعاستهم البشعة، هذا لا يهمني. إنني قلق دائماً، في تلك اللحظات

العرضية من الانعزال عندما نصبح مدركين لأنفسنا كالفرد الذي يبدو أنه مثل الآخرين ويراه الآخرون هكذا، سواء من الجانب الآخلاقي أو الجسدي. يجب أن أطبق ذلك الأمر على هؤلاء الذين يلاحظونني أو يتحدثون إلي، سواء كان ذلك بشكل يومي أو في فرصة لقائي بهم.

اعتدنا جميعاً على التفكير في أنفسنا كحقائق عقلية في المقام الأول والتفكير في الآخرين كحقائق مادية فورية.

إننا نرى أنفسنا ونرى الآخرين ماديين، نرى الآخرين ونعترف بوجودهم في حياتنا عندما نكون في حالة حب أو نزاع. هذا حقيقي، إنهم يبدون وكأنهم مثلنا، كما تشعر أرواحنا بهم.

وفي بعض الأحيان أجهد نفسي في تأملات حول كيف يراني الآخرون، كيف تكون معاني صوتي، وما نوع الانطباع الذي أتركه في ذاكرتهم، وكيف تكون تحركاتي، وكلماتي وحياتي المرئية، رأيت كل ذلك في عيونهم.

لم أنجح أبداً في رؤية نفسي من الخارج. لا توجد مرآة يمكن أن نرى فيها أنفسنا من الخارج؛ لأنه لا توجد مرآة يمكن أن تأخذنا خارج أنفسنا؛ فنحن نحتاج إلى روح مختلفة وطريقة مختلفة للتفكير والنظر. حتى لو كنت ممثلا تم تصويره بشاشة أو سجلت صوتي على اسطوانات، سأظل أيضاً لا أعرف كيف أكون من الخارج، هل أشبه ذلك أم لا، بغض النظر عما سجلته عن نفسي؛ فأنا دائماً هنا في الداخل محاط بأسوار عالية، وفي حالتي الخاصة من إدراكي لنفسي.

لا أعرف إذا كان الآخرون مثلي، وكأن الحياة قد تمحورت حول العزلة، من الممكن أن يشارك الفرد في الحياة ولكن عليه أن يفقد وعيه. وربما يكون هناك من هو يستغرقون في التفكير.

إن إدراكنا للواقع معقد للغاية، فيتكون من السواحل غير منتظمة، وجبال عالية وهضاب، وعدد ضخم من البحيرات وإذا فكرت كثيراً أراها كأنها خريطة مثل خريطة "بايس دو تندر"، أو رحلات "جاليفر"، والخيال المدرج في كتاب السخرية أو الكتاب الأسطوري لتسلية البشر البارعين الذين يعرفون مواقع البلدان. إنهم واثقون من تفكيرهم إذا وجدوا سعادة في عمل أشياء أكثر تعقيداً، ولكن هؤلاء الذين يعتقدون في الحاجة لتبرير تنازلهم مع برامج واسعة للتفاهم، التي حددوها بأنفسهم مثل الكاذبين وتفسيراتهم مع تكريس التفاصيل التي تُكشف في آخر الأمر. مرة واحدة انجرفت الأرض بعيداً. وهو الجذر الكاذب. كل شيء معقد، وأنا شخص معقد، ولكن على أي حال لا يهم، لأنه على أي حال لا شيء.

كل هذه الاعتبارات ضلت الطريق السريع، وبنيت في حدائق الآلهة المستبعدة، ومثلها مثل تسلق النباتات للجدران. وفي هذه الليلة عند انتهائي من هذه الاعتبارات الغير حاسمة، ابتسمت إلى السخرية المليئة بالنشاط التي تجعلهم يظهرون في روح بشرية كانت بالفعل حتى قبل أن يكونوا نجوم، أو أيتام الأغراض الكبرى للمصير.

لازال اللون الذهبي يضيء على المياه التي هجرها من قبل غروب الشمس، والذي يحوم على سطح الملل لدي. أرى نفسي كما أرى البحيرة، ولقد تخيلت هذا الذي رأيته في البحيرة هو نفسي.

لا أعرف كيف أشرح هذه الصورة أو هذا الرمز أو هذا الذي أتصوره، ولكني أعرف أنني أرى في الواقع الشمس وراء التلال تلقي شعاعها المحكوم عليه على هذه البحيرة ذات الوميض الذهبي الداكن. فأحد أخطار التفكير هو أن نرى حين نفكر، فهؤلاء الذين يفكرون ولديهم مبرراتهم هم شاردوا الذهن، والذين يفكرون بعواطفهم هم نائمون، وهؤلاء الذين يفكرون برغبتهم هم ميتون؛ بينما أنا أعتقد في مخيلتي، وكل المبررات كلها حزن

واندفاع بداخلي يقلل بعد الأشياء وعدم اتصالها. مثل هذه البحيرة الساكنة بين الصخور حيث آخر ضوء للشمس سقط عليها.

ولأنني توقفت،؛ فجفت المياه،. ولأنني تأملت، فانسحبت الشمس. أغلقت عيني النائمة ببطء، ولايوجد شيء بداخلي، ولكن منطقة البحيرة حيث بدأ الليل باستبدال يوم على سطح المياه ذات اللون البني الغامق المتلألئ حيث الأعشاب البحرية العائمة.

لأنني كتبت، فلم أقل شيئاً. حيث أن انطباعي الموجود، موجود دائماً في منطقة أخرى، وراء التلال، وتوجد رحلات كبيرة يمكن القيام بها إذا وجدت روح كافية للقيام بها. قد توقفت مثل الشمس في مشهدي. لا يبقى شيء مما قلته أو رأيته ماعدا ليلة مرت بالفعل. لا، إنني لا أعتقد في المشهد الذي لم أقوله لأنني أعتقد أن هذا المشهد هو حالة عاطفية، وأحد اللحظات الجيدة من ثقل ظله الذي لا يطاق.

يوماً بعد يوم، في روحي الحقيرة والعميقة، يمكنني تسجيل الانطباعات التي تشكل الجوهر الخارجي لوعيي. أضع الكلمات التي تشردت في صحرائي بمجرد كتابتها، تتخبط في المنحدرات والمروج. وكانت الصور بطول الطريق المشجر للمفاهيم أسفل ممرات المشاة من الغموض. لاشيء من هذا من استخداماتي؛ لأنها لا تعني شيئا بالنسبة لي، ولكن الكتابة تجعلني أكثر هدوءً، مثل المريض عندما يتنفس بسهولة رغم المرض الذي سيطر عليه.

بعض الناس تنتابهم حالة من السهو، خطوط وخربشة وأسماء سخيفة على أوراق مكاتبهم، وهذه الصفحات هي هي تعبير عن نفس جاهلة. تعقبتهم في ذهول لما شعرت به وقتها، مثل القطة الواقفة في حرارة الشمس. وأحياناً أعيد قراءتهم بغموض في وقت متأخر مع الدهشة، كما هو الحال عندما أتذكر شيئا نسيته من بعيد.

عندما أكتب، أبدو وكأنني أدفع نفسي في زيارة رسمية. لدي غرف خاصة تذكرتها من قِبل شخص آخر، ومن صدوع خيالي، حيث أجد البهجة في تحليل ما أشعر به وأفحص نفسي وكـأنني صورة في زاوية مظلمة.

لقد فقدت قلعتي القديمة قبل ولادتي. وقد تم بيع مفروشات قصر جدودي قبل وجودي، وخربت مزرعة منزلي. وفي لحظات معينة عندما يضيء القمر بداخلي فوق النهر، تنتابني رجفة الحنين إلى المكان الذي حيث بقايا جدران بلا أسنان تقف بغضب ضد السماء الزرقاء الداكنة وبها مسحة صفراء حليبي. ميزت نفسي بسبات أبو الهول، وفي حضن الملكة سقطت ناسياً رقصة روحي، إنه شيء محزن وغير مجدي. إنها لفات تحت أدراج صندوق مطرز حيث جزء منه يتتبعه مثل زوج من العيون حتى تختفي وسط المجهولين في مستودع الموتى المرعب.

إنني أنام، وأعيش، وأحلم، وبدلاً من ذلك أحلم بالحياة في نومي الذي هو أيضاً حياة. لم يكن هناك راحة في وعيي؛ فأنا على علم بما حولي حيث إني لم أسقط نائماً بعد. وإذا نمت تماماً، بدأت أحلم بمجرد نومي حقاً. دائماً ما أستمر في بسط الصور الخيالية متصلة أو منفصلة، ولكنها دائماً تكون خارجية وتقع بين الناس في وسط النهار أو بين الأشباح في الظلام، والتي توضح إنها أحلام إذا كنت نائماً.

صراحة، لا أعرف كيفية التمييز بين حالة وأخرى، ربما كنت نائماً فعلاً عندما استيقظت أو أني كنت مستيقظاً عندما سقطت في النوم.

إن الحياة عبارة عن كرة من خيوط متشابكة ولن يحصل عليها شخص على الإطلاق، إن لها معنى إذا كانت ملفوفة بإحكام، أو كانت مبسوطة ومشدودة تماماً؛ فالحياة مثل هذا؛ فهي مشكلة دون شكل، وخليط من الخيوط لا يؤدي إلى أي مكان؛ فأنا نصف نائم، وأفكر في هذه الأشياء التي

سأكتبها لا حقاً (بالفعل أحلم بالجمل التي سأستخدمها). أرى المشاهد من أحلامي الغامضة وأسمع طقطقة المطر بالخارج والتي تجعل أحلامي غامضة. إنهم غرابيل من الفراغ، ترتجف من العدم، ومن خلالها يتقطر الضياع، والأنين الخارجي للمطر المستمر، وهذا ما يفسر المشهد.

هل يمكن للأمل أن يكون؟ لا شيء؛ فالرياح مجلودة بالسوط لتمطر من الصخب لضوضاء حزينة من السماء الغير مرئية، وأنا مستمر في النوم.

كان هناك بلا شك، في منتزهات الحديقة مأساة حدثت في الحياة. كان يوجد شخصان وسيمان ويريدان أن يكونا شيئا آخر، حبهما كان ينتظرهما في ملل المستقبل، وحنينها إلى الماضي لم يأت بعد.

وحتى مع عدم وجود رغبات أو آمال، من خلال ضوء القمر الذي يتخلل الغابات القريبة، وهما يتجولان ويداهما متشابكتان في الطرق المهجورة بالصحراء. كانا كفلين مثاليين؛ لأنهما لم يكونا حقيقيين، يتبعان طريقاً بعد الآخر، ويقطعان الصور الظلية بين الأشجار، كانانا يتحركان مثل صور الكرتون. وكانا قريبين حتى اختفيا عن الأنظار في المنطقة المجاورة للبرك المائية، وصوت المطر الغامض تحول إلى ينابيع كانا متوجهين إليها.

إن الحب المشترك بينها هو ما يجعلني أسمعها في هذا المساء عندما كنت لا أستطيع النوم، وأيضاً سبب أنني قادر على العيش بدون فرح.

***

مدح المرأة العقيمة

سفي يوم من الأيام لابد أن المرأة ستكون زوجة، وربما تكون عقيمة وتطلب منك أن تدعو لها، لا يمكنني أن أقول كلمة واحدة عنها، فالعقم قيمة نبيلة. فقط لقتل ما لم يكن أبداً نبيلاً. لا أحلم بأن تكونلي زوجة مثلها. إنها فقط حلم في حياتي.

لتمتلك جسداً يجب أن يكون عادياً. والحلم بامتلاك جسداً ربما يكون شيئاً سيئاً. إذا كان ممكناً. لتحلم أن تكون عادياً؛ فهذا هو الفزع الأعظم.

ومنذ أن أردنا أن نكون عقماء، فلنكن محتشمين؛ لأنه لا يوجد شيء مخجل ووضيع أكثر من إنكار كل خصب في الطبيعة. في حين امتلاك الجزء الذي نريده من الشيء الذي ننكره. لا يوجد أيضاً أنصاف مواقف نبيلة.

فلنكن عفيفين كالشفاة الميتة، وأتقياء مثل الأجساد الحالمة، ودعنا نتبع طريقة الرهبات.

ربما يكون حبنا صلاة. وسأجعل اللحظات التي أحلم فيها بمن في مسبحة من قلعتي التي ورثتها من والدي، وهموم "هايل ماريز".

دعونا نبقى للأبد مثل الشخص الواقف في النافذة ذات الزجاج الملون أمام أنثى واقفة في نافذة أخرى ذات زجاج ملون.

أحياناً يهب الهواء برائحة البخور الذكية. وفي أوقات أخرى يشبه التمثال الروحي الذي تم رشه بالماء المقدس في هذا الجانب وذلك الجانب.

سنكون دائماً واقفين خلف هذا الزجاج الملون، وبنفس الألوان عندما تضربنا الشمس، وفي العالم الخارجي ستأتي الحضارات وتذهب، وستندلع الثورات، وستكون الأعياد بدعة سائدة، والشعوب المستقرة والمسالمة ستجبر.

إن حبي غير واقعي، ولن يتغير عما هو فيه؛ التغير غير مفيد وكل شيء حولنا زائف. إن الأشياء التي نحلم بها هي مثل أرواحنا، وهو الجانب الوحيد الذي نراه.

رسالة ليست لأحد

أيها البريد، أعتذر لك
في ظهورك، في فكرتي فنك
فحياتك هذه ليست حبي، إنها حياتك أنت
أحبك كحبي لغروب الشمس أو ضوء القمر
أريد أن تبقى هذه اللحظة، ولكن أريد أن أمتلك إحساسا.

لم يكن هناك استبدد أكثر من الحقد على الآخرين وليس كراهيتهم، حيث إن الكراهية على الأقل أكثر تقطعاً من الحقد عليهم. وكونه عاطفة غير سارة فإنها تكون بطبيعتها أقل دواماً مع هؤلاء الذين يشعرون بها، ولكن الكراهية مثل الحب، كلاهما يبحث عنا ويتابعنا ولا يتركنا لحالنا؛ فخيالي يجب أن يعيش كل شيء من خلال الروايات، ويستخدم الحياة الحقيقية. ليستريح ويقرأ عواطفي ويبحر فيها. فالشخص يمتلك الحماس والخيال الحالم، فمغامرته المهمة بطل الرواية هي عاطفة حقيقية كافية وأكثر من ذلك؛ فإنه سيكتب الخبرة من قبلنا ليكون بطلا للرواية.

لا توجد مغامرة رومانسية أكثر من أن تحب الليدي ماكبث من خلال حبا حقيقيا. وبعدها، كل ما يستطيع الفرد عمله هو أخذ وقت للراحة.

لا أعرف معنى هذه الرحلة التي أُجبرت على القيام بها بين ليلة وأخرى في اصطحاب للكون كله. أعلم أنني أستطيع القراءة لتسلية نفسي؛ فالقراءة بالنسبة لي أسهل طريقة لمرور الوقت على هذا النحو من الرحلات الأخرى.

في بعض الأحيان أرفع عيني عن الكتب حيث أشعر بأني كشخص غريب في مشهد متسلسل أري فيه الحقول، والمدن، والرجال، والنساء، وحب التشبث بالأشياء، والحنين. كل هذا بالنسبة لي ليس أكثر من حدث عارض أثناء راحتي، وتسلية عديمة الجدوى لإراحة عيني من الصفحات التي أقرأها

باهتمام. فقط ما نحلم به هو ما نحن عليه حقاً؛ لأن كل الباقي تم تحقيقه، وينتمي إلى العالم وإلى الجميع.

لو كنت حققت الحلم، سأكون غيوراً لأنه خانني بالسماح لنفسه بأن يتحقق؛ فمقولة لقد حققت كل شيء أريده، هي مقولة الرجل الضعيف، إنها كذب، والحقيقة أنه يحلم بأنها سببا في الحياة، إننا لم نحقق شيئاً؛ لأن الحياة تقذفنا بها مثل البحر بينما نبحر عبر الهواء قائلين: " أنظر إلي، إنني أطير. " .

إذا كانت هذه فاصلة للراحة عُزفت تحت ضوء مسرح الشمس وتلألأ النجوم، فبالتأكيد لم يكن هناك ضرر من معرفة أنها فاصلة للراحة.

إذاً، ما الذي كان وراء أبواب المسرح إذا ما وراءه هو الحياة؟ سنعيش، وإذا كان الموت سنموت، وسيكون الغزف بلا جدوى. هذا ما جعلني لا أشعر أبداً بأن الحقيقة قريبة، وقد ظهر هذا في أسرارها كما في المناسبات النادرة عندما أذهب إلى المسرح أو السيرك: هناك أعرف أنني أشاهد تمثيلاً للحياة المثالية، والممثلين والممثلات، والمهرجين والسحرة كلهم أشياء غير مفيدة مثل الشمس، والقمر، والحب، والموت، والكارثة، والجوع، والحرب بين البشرية؛ كل شيء هو مسرح، هل هي الحقيقة التي أريدها؟ ساعود ثانية إلى روايتي.

إن أكثر الاحتياجات إلحاحا، هو الثقة في الحياة الاعتراف بها، وحاجة الروح لتبرير وجودها. انطلق واعترف، ولكن اعترف بأنك ليس لك شعور. انطلق وأخبر أسرارك لتأخذ مكانها بروحك، ولكن دع أسرارك تقول أنها أسرار لم يسبق لك معرفتها. اكذب على نفسك قبل أن تقول أنها حقيقة؛ فتعبيرك عن نفسك هو دائماً خطأ. كن واعياً للغاية، ودع التعبير الخاص بك مرادفاً للكذب. دع الوقت جانبا؛ فإنني لا أعرف المقياس الحقيقي له. أعلم أن الساعة مقياس للوقت؛ فظاهر الأمر ظانها توضح لنا الوقت.

ويمكنها أن تكون مؤشرا لعواطفنا إن صح ذلك؛ فنحن لا نحدد الوقت، ولكن إحساسنا نحوه؛ فكون إمكاننا أن نجعل مقياسا لعواطفنا ومحددا لها يعد أمرا خاطئا، ففي الأحلام فقط نتعدي حدود الزمن، والآن نتمهل، والآن بسرعة، وما نعيشه فيها إما أن يكون سريعا أو بطيئا، يمكن أن يكون معتمدا على شيء رأيناه في الحقيقة ولكننا لم ندرك حقيقة أمره فاختزن في العقل الباطن.

أحياناً أفكر في أن كل شيء خطأ، وهذا الوقت هو مجرد إطار وُضع حول الأشياء التي هي غريبة عليه. بين ذكريات الماضي وتذكرها في الوقت الحالي تجدنا نرتب الوقت حسبا ويبدو هذا الترتيب ترتيبا غير منطقي، بحيث إنني كنت الأصغر في حلقة معينة خطيرة من التفكير خلال عمري عندما كان خمسة عشر عاماً، بخلاف الأوقات الأخرى من طفولتي التي كانت مُحاطة باللعب. فذهني دائماً مرتبك عندما أفكر في هذه الأشياء فأشعر أن هناك خطأ في كل هذا، ولكني لا أعرف أين هو.

إنني أبدو وكأنني أشاهد عرضا سحريا وأعرف أنه خدعة، ولكن لا أستطيع مجاراة هذا الخداع. وبعد ذلك زادت عندي الأفكار السخيفة التي لا أستطيع أن أرفض سخافتها تماماً، وأتساءل إذا كان الرجل الذي يفكر ببطء في سيارة تتحرك بسرعة هل يفكر بنفس السرعة أم ببطء، وأتساءل أيضاً هل السرعات متماثلة بين الرجل المنتحر بإلقاء نفسه في البحر والرجل الذي يسقط من النافذة بطريق الخطأ فهل السرعتان متساويتان، وأتساءل عن أفعالي عندما أقوم بتدخين سيجارة وكتابة هذه الفقرة، والتفكير الغامض، هل كلها تحدث في نفس الوقت، وهل هي حقاً متزامنة. ويمكننا أن نتساءل أيضا حول العجلات التي بنفس المحور هل ستكون كل واحدة منها دائماً أمام الأخرى، ولو جزء من الملليمتر على الأقل. يستطيع الميكرسكوب تكبير هذه المسافة الجزئية فلا يمكننا تصديقها. إنه أمر مستحيل. لماذا لا نصدق الميكروسكوب بدلاً من أن نصدق بصرنا المحدود؟ هل هذه الاعتبارات

عديمة الفائدة؟ في الواقع، نعم، انه هراء، أنا لا أنكر ذلك، لكن ما هو الشيء الذي لا يمكننا قياسهولا يمكن للحاضل أن يقتله؟ في هذه اللحظة التي لا يمكنني فيها الشعور بالوقت أشعر برغبتي الملحة في النوم.

في المساء، تضيء مصابيح الكيروسين في المنازل الكبيرة بالمدينة. تجد العمات المسنات يقضين وقتهن في لعب السوليتير، في حين أن الخادمة يغلبها النعاس بجانب الصوت المنبعث من غلاية الشاي.

هناك شخص ما بداخلي أخذ مكاني في الشعور بالحنين لهذه الطمأنينة غير المفيدة. وقد وصل الشاي وأوراق اللعب القديمة التي أخذت مكانها على شكل كومة أنيقة على جانب من الطاولة. وظل الدولاب الخزفي الضخم يجعل غرفة الطعام الداكنة أكثر قتامة. وقد ظهر العرق على وجه الخادمة مع النعاس التي تقاومه حتى النهاية. رأيت كل ذلك بداخلي، مع الألم والحنين اللذين لا يرتبطان بأي شيء. وأنا أشعر بتلك الحالة بداخلي والتي يكون فيها شخص ما يلعب سولتير.

ليست الحقول المفتوحة أو الحدائق الكبيرة هي ما أرى فيها قدوم الربيع. إنها عدد من الأشجار الهزيلة في ساحة صغيرة بالمدينة، وكانت هذه الأشجار الخضراء مثل الهدية الخاصة وبهجة مثل الحزن الدافئ؛ فأنا أحب هذه الساحات الوحيدة، والمتداخلة بين الشوارع مع الفراغ القليل الموجود بأنسهم؛ فهي أشجار عديمة الفائدة، وهناك دائماً انتظار بين الهياج المنسي، إنهم يكونون قرية صغيرة في المدينة.

أذهب إلى الساحة، وأسير بهذه الشوارع التي تؤدي لبعضها، ثم أعود لنفس الشارع. رأيت في الاتجاه الآخر الساحة مختلفة، ولكن فجأة يظهر الحنين والاطمئنان حيث غروب الشمس، ذلك المنظر الذي لم أستطع رؤيته عندما مشيت بالشارع. كل شيء بلا فائدة، ينتابني هذا الشعور كثيرا.

كل ما عشته نسيته، وكأنني سمعت عنه فقط بغموض. كل ما يبقى بداخلي لا شيء وكأنني عشته ونسيته؛ فالغروب يأتي بالحزن لكل شيء حولي . كل شيء صار بارداً، ليس لأنه باردا بالفعل، ولكن لأني دخلت شارعا ضيقا ودخلت الساحة.

بدا الجو معتدلا يتجول حول البيوت القليلة التي تمثل خطاً حدودياً على حدود المدينة، واستيقظ الضباب منتشراً بأشكال غير مميزة على المنحدرات الناعسة (كان براداً ما عدا الحياة الحقيقية التي عادت لتستمر). وهذا كله، كل هذه الرطوبة الباردة في هذا الصباح اللطيف كانت مشابهه للسعادة، فالشخص الموجود بداخلي لم يكن قادراً على الشعور.
وينحدر الترام ببطء تجاه الطرق الواسعة ويقترب أكثر من المنازل، وقد تم اللحاق به بمشاعري.

تتسم الحياة البشرية بالوضوح، في هذه الساعات المبكرة من الصباح، عندما اختفت الظلال، ولكن مازال هناك أثر لها.،ومازال هناك اشتياق.

في لحظات تجد المرء يرغب في عدم الحركة، كمن يشاهد بزوغلبقمر على صفحة ماء النهر وقد بدت له حياة مختلفة، في هذه اللحظة ربما يشبه المتأمل القمر نفسهوحوله الضباب، واخترقت الشمس الأشياء بعمق. وصوت الحياة كان ينمو في كل مكان بصورة واضحة.

في مثل هذه الأوقات لم يصل أبداً الشيء الصحيح إلى واقع الإنسان كما قُدر لحياتنا. ويرفرف المستحيل في الضباب والصباح، وليس في الروح، ولكنفي جسم روحاني بأجنحة الحياة الحقيقية، وهذا ما يرضي رغبتنا للبحث عن الخداع ارغم أنه لا يوجد سبب للحصول عليه؛ فالشعور بتفاصيل كل شيء يجعلنا غير مختلفين، ويدفعنا باتجاه ما لا نستطيع الحصول عليه: فأحاسيس روحنا مازالت جنينية جداً في الإدراك، والأنشطة الإنسانية

المتطابقة مع الشعور العميق للأشياء فقدت المشاعر والعواطف بين أشياء أكثر وضوحاً في. وكانت الأشجار التي اصطفت على الطرق مستقلة عن كل هذا. مرت فترة الصباح في المدينة، مثل المنحدر على الجانب الآخر للنهر، عندما تلمس القوارب رصيف الميناء، وطالما لم تأتِ للرصيف، فإنها تحمل رؤية المشاهد الخلابة من على ظهر السفينة. وذهبت المناظر بعيداً مع جزء صغير من السفينة في اتجاه معاكس للصخور.

نظر الأولاد على الرصيف إلي كما ينظرون لرجل عادي، الرجل الذي لم يشعر أبداً بمثل هذه المشاعر الغير ضرورية من النواحي العملية لرسو السفن. كانت الحرارة مثل قطعة الملابس الغير ظاهرة، والتي تجعل الشخص يشعر أنه يريد خلعها. كنت أشعر بالفعل بعدم الارتياح.

وبدون سابق إنذار، توقف الصمت عن التنفس فجأة. وعلى ضوء كل النيران تحطمت مثل شيء صلب وانحنيت مثل الحيوان على الجزء العلوي للمكتب، ويدي منبطحتان بلا فائدة ككفوف الحيوانات. اجتاح ضوء بلا روح جميع الأماكن والأرواح، وصوت الجبل الذي أوشك على السقوط من أعلى انشطار قوي من الهاوية مع دوي صاخب.

توقف قلبي وأحسست أنني ابتلعت حلقي. وقد رأى وعيي بقعة حبر على صفحة من الورق. وبعد أن هدأت الحرارة، وبدأت نقاط الأمطار تزداد حتى أصبح يمكن سماعها، وكان هناك هدوء في الهواء لم يكن موجوداً عندما كان الجو حاراً، وأحسست باطمئنان عندما بدا الماء يفجر نسيمه الخاص؛ لهذا كانت البهجة واضحة من هذا المطر الرقيق، وبدون تهديد من عاصفة مظلمة لهؤلاء الذين لا يرتدون معاطفا للمطر أو مظلات، كانوا يتحدثون ضاحكين كما يخطون بسرعة إلى الشوارع اللامعة بفعل المطر.
وخلال لحظة خمول مشيت باتجاه نافذة أوس المفتوحة التي قد تسببت الحرارة في فتحها، ولكن المطر لم يتسبب في إغلاقها. ونظرت بتركيز شديد

كعادتي، والذي انتهيت من وصفه بدقة قبل أن أراه.

نعم، ذهبت إلى هناك فرحة روحين عاديين، يبتسمان ويتحدثان في المطر، ويمشيان برشاقة وبسرعة، ولكن فجأة ظهر أمامي من وراء الزاوية منظراً بدا قديماً، لرجل فقير مسكين يسير بنفاذ صبر في الطريق الممطر حتى يصل إلى ما يريد. بالتأكيد لم يكن لديه هدف خاص، ولكنه على الأقل لديه نفاذ صبر. نظرت إليه بتركيز، وقد كنت قد أهملت هذا التطبيق على الأشياء منذ فترة، ولكن هذا النوع الذي يتميز بأنه لم يكن رمزاً لأي جسم، وهذا هو سبب تعجله في الطريق؛ فهو رمزٌ لهؤلاء الذين لم يكونوا أبداً أي شيء، وهذا سبب معاناته. لا ينتمي إلى هؤلاء الذين يبتسمون كأنهم يشعرون بالانزعاج من بهجة المطر، ولكن للمطر نفسه، إنه رجل فاقد الوعي يشعر بواقعه فقط.

ليس هذا ما أردت أن أقوله، ولكن أحياناً أتوقف بين ملاحظتي لعابر الطريق فقدته في مشهدي؛ لأنني توقفت عن النظر إليه، وبين خيط رفيع من رد فعلي، وبعض الغموض من عدم الملاحظة، وبعض إلحاح من الروح التي وقفت أمامي ومنعتني من الاشمئزاز.

وفي أعماق حيرتي أسمع دون سمع الأصوات القادمة من التعبئة في نهاية "أوس"، حيث يوجد المستودع، وبدون رؤية أرى الخيوط التي تستخدم للطرود وقد تم عقدها بطريقة مضاعفة، وتم ربطها حول المجلدات التي غلفت بورق بني ثقيل على طاولة بجانب النافذة الخلفية بين الضحكات والمقصات.

لترى يجب أن ترى قاعدة الحياة التي نعيشها، ويجب أن نتعلم من كل شخص. كانت هناك أشياء مقدسة وخطيرة يمكن أن نتعلمها من الدجالين والمحتالين، وهناك فلسفات تعلمنا الخداع، وهناك دروس في الإخلاص

والعدل قد جُلبت لنا عن طريق الصدفة، وعن طريق هؤلاء الذين تتيح لنا الصدفة مقابلتهم.

في بعض اللحظات الواضحة من التأمل، مثل تلك التي كانت في وقت مبكر بعد الظهر، عندما كنت أتجول بحرص خلال الشوارع، كان كل شخص يكسبني شيئا جديدا، وكل مبنى يعلمني شيئاً جديداً وكل إعلان لديه رسالة لي. يتجول صمتي في محادثة مستمرة، وكلٌ من الرجال، ومباني، والأحجار، واللافتات والسماء كلها حشود تتمتع بالود، ويتحدث بعضهم إلى بعض عن طريق الكلمات في موكب عظيم من القدر.

أمس، رأيت وسمعت رجلاً عظيماً، أنا لا أقصد رجلاً حسن السمعة ليكون عظيماً، ولكن الرجل العظيم حقاً. إنه رجل من القيمة، إذا كان هناك قيمة في هذا العالم، والناس يرونها، وهي تعلم أنهم يرونها. لديه كل الدواعي الضرورية التي تجعلني أطلق عليه لقب رجل عظيم، وهذا ما أدعوه به، كان مظهره الخارجي يدل على أنه رجل أعمال متعب، فقد كان وجهه يظهر عليه علامات التعب، وهو ما يدل على إنه يفكر كثيراً أو ببساطة من إنه لم يكن لديه حياة صحيحة جيدة. كانت حركاته غير ملحوظة ونظراته بها بريق معين، مما يدل على أنه لم يكون لديه قصر نظر، وصوته كان غير طبيعي كما لو كان لديه عجز عام قد أثر على التعبيرات الخاصة بروحه، وبالتالي تعبر روحه عن أنه من حزب سياسي،، لم أعرف من هو؛ فلم أكن قادراً على التعرف عليه بشكل أكثر.

أدرك أن الرجل العظيم لا يحتاج إلى أهداف بطولية من الأرواح البسيطة، والذي بها يكون الشاعر العظيم هو دائماً كهيئة أبولو في الجسم ونابليون في التعبير، أو على أقل تقدير رجلاً ذو وجه له تعبيرات خاصة.

أدرك أن كل هذه المفاهيم سخيفة، بنفس القدر الذي عليه البشرية، ولكن إذا كنا لا نستطيع أن نتوقع كل شيء أو تقريبا كل شيء، فنحن لانزال نستطيع توقع الأشياء.

من خلال الشيء الذي نراه نمر إلى الروح التي تتحدث، رغم أننا لا نستطيع توقع نشاطه، يجب علينا على الأقل أن نكون قادرين على الاعتماد على الذكاء للتلميح عن العظمة. كل هذا أوهام الناس التي تجبرنا على التساؤل عن أين تكون الحقيقة.

يبدو أن هذا الجسم لرجل الأعمال وهذه الروح المهذبة تدل على أنه زميل عالم بنفسه قبل كل شيء وبغموض الأشياء الداخلية التي هي غريبة عليه. يبدو أنه لا يتحدث، ولكن صوتاً معين يتحدث من خلاله، والتعبير الذي يقوله ربما يكون كذباً إذا قاله.

هذه كلها افتراضات عارضة وغير مفيدة، أحياناً أندم على الانغماس فيها. إن هذه الافتراضات لا تقلل من قيمة الرجل ولا تزيد من تعبيره الجسدي، ولكن لا يوجد أي شيء يغير أي شيء، وما نقوله أو نفعله هو مجرد فرش لقمم التلال حيث الوديان التي تنام بها الأشياء. لا أحد يفهم أي شيء آخر. إننا كما قال الشاعر جزر في بحر الحياة، وتوجد أشياء تفصلنا عن بعضنا. مهما كافحت روح الفرد لمعرفة الآخر، فهو لا يستطيع معرفة أكثر من الكلمات التي قيلت له، وظلِ عديم الشكل على أرض فهمه.

أحب التعبير؛ لأنني لا أعرف شيئاً عن الذي يعبرون عنه؛ فأنا مثل السيد سانت مارثا، حيث إنني راضٍ بما لدي. إنني مدرك لما يدور، وهذا يكفي تماماً. من يقدر أن يفهم أي شيء؟ ربما هذا مذهب للشك وجهاً لوجه مع فهمي الذي يجعلني أنظر إلى الشجرة والوجه واليافطة، والابتسامة بنفس الطريقة بالضبط (كل شيء طبيعي، وكل شيء صناعي، وكل شيء متساوٍ).

كل شيء أراه هو بالنسبة لي مجرد شيء مرئي، سواء كان السماء الزرقاء العالية تلونت باللون الأخضر المبيض في الصباح قبل الفجر، أو عبوس كاذب على وجه شخص يعاني من وفاة أحد أحبته قبل مشاهدتي له.

هل إذا عرفت أنني أشعر أكون موجوداً؟ أعرف فقط أنه يوجد مخطط للأهداف من ألوان وأشكال وتعبيرات حيث إنني مرآة غير صالحة للبيع، مقارنة مع الحقيقة، والرجال العاديين الذي يسيرون في شوارع الحياة الطبيعية، ومع هدف سعيد باعتباري مثل أولئك الذين يجلسون في المقاهي "قطع" و "أشكال" يمكن أن تكون قد وصفت فقط عن طريق مقارنتهم ببعض الجن الموجودة بالأحلام والمخلوقات التي كالكابوس أو الشيء المحزن، ولكن هذه الذكريات عندما تستيقظ تترك مذاقها المر في أفواهنا، وهذا المذاق لا نفهمة تماماً، وشعور اشمئزاز عميق، ليس بسببهم، ولكن لأنهم يجسدون شيئا.

أرى العباقرة والفاتحين في العالم الحقيقي على حد سواء الكبير فيهم والصغير، وإبحار الأشياء ليلاً، متغافلاً عما فعلت بهم الغطرسة، حيث تم كسر مقدمة السفينة من خلال المرور بين أعشاب البحر وتعبئة القش، وانهيار شجرة الفلين. تم تلخيص كل شيء في هذه المقاهي، كما هو الحال داخل المحكمة الموجودة خلف مبنى "أوس".

إن الجائزة الكبرى لاستمرار الحياة فقط لهؤلاء الذين اشتروا التذاكر عن طريق الصدفة؛ فقيمة الفن هو أن يأخذنا بعيداً عن هنا. إنه يجيز كسر القوانين الأخلاقية العادية في طاعة القانون الأخلاقي الأعلى؛فالجوع ليس عذراً لسرقة رغيف من الخبز، ولكن؛ يمكن للفنان أن يعذر نفسه في سرقة عشرة آلاف سكودو ليضمن لنفسه الطعام والهدوء لمدة عامين، بشرط أن يهدف عمله إلى تقدم الحضارة الإنسانية، إذا كان هذا العمل مجرد عمل إجمالي، وهذا برهان لا يؤخذ به.

لا نستطيع أن نحب الابن، فالحب أكثر تجسيد للأوهام. اسمتع: أن تحب هو أن تملك، ولكن ماذا يملك المحب؟ الجسد؟!

لتملكه يجب أن تندمج معه، لنأخذه ولنجعل وجوده جوهرنا. وهذا من المستحيل، وكان ممكناً في الماضي؛ لأن أجسامنا قد تحولت، ولأننا لا نمتلك حتى أجسامنا، ولكن فقط إحساسنا بها، ولأن جسد الحبيب الذي يحب سيصبح لنا وليس للآخرين. وهكذا الحب باختفاء الآخرين سنختفي نحن كذلك.

هل تمتلك الروح؟ استمع جيداً: لا نمتلكها، وحتى أرواحنا لم تكن أرواحنا، ولكن كيف يتم امتلاك الروح؟ بين شخص وآخر تكمن الروح في فجوة يصعب اجتيازها من حقيقة أننا روحين. كيف نمتلك؟ كيف نمتلك؟ ما الذي يجعلنا نحب؟

هل يكون الجمال؟ وهل نمتلكه عندما نحب؟ إذا كنا نمتلك الجسد، فما الذي نمتلكه حقاً؟

ليس الجسد، وليس الروح، ولا حتى الجمال؛ فعندما ندرك جسدا جذابا، فهذا لا يعد جمالا، ولكن هو الخلية الذهنية والخلوية الموجودة لدينا؛ فقبلتنا لا تلمس فما جميلا، ولكن تلمس خلية رطبة متحللة لغشاء الشفتين. وحتى الجماع الجنسي رغم اعتراف الجميع بإنه اتصال قريب وعاطفي، إلا أنه ليس إيلاجا حقيقيا وليس حتى من جسد شخص داخل الآخر.

ما الذي نمتلكه حقاً؟ هل أحاسيسنا الخاصة على الأقل؟ هل يعني الحب على الأقل امتلاك أنفسنا من خلال حواسنا؟ هل هو على الأقل وسيلة لنحلم بشكل واضح، وبالتالي أكثر تألقاً، بأننا موجودون؟

بمجرد أن يختفي الإحساس، لا تبقى ذاكرة على الأقل معنا، وهذه التي نمتلكها حقاً. دعنا نترك هذا الوهم. نحن لا نمتلك حتى أحساسنا. لا تتكلم.

فذاكرتنا ليست أكثر من الماضي وكل إحساس هو وهم...

***

استمع إلي، وحافظ على الاستماع. استمع ولا تنظر من النافذة المطلة على شاطئ النهر البعيد، كن هادئاً وليس في وقت الشفق، وليس باتجاه صافرة القطار الذي يقطع المسافة الفارغة... استمع إلي جيداً:

لا نمتلك أحاسيسنا، ومن خلالها لا نمتلك أنفسنا.. كيف يمكنني امتلاك جسدي، عندما لم أكن أمتلك حتى جسدي؟ وكيف أمتلك روحي عندما لم أكن أمتلكها؟ كيف أن استطيع أن أفهم بعقلي، عندما لم أكن أفهم عقلي؟ لا يوجد أي جسد أو حقيقة نمتلكها، ولا حتى أي وهم. نحن أوهام مصنوعة من الأكاذيب، وحياتنا هي تجويف في كلٍ من الداخل والخارج.

هل يعرف أي شخص حدود روحه؟ يمكنه أن يقول أنا، ولكنني أعرف أنني الفرد الذي يشعر بما أشعر به. عندما يمتلك شخص آخر هذا الجسد، فهل يمتلك نفس الشيء الذي أمتلكه؟ لا. إنه يمتلك أحساسا آخرا . هل يوجد أي شيء نمتلكه؟ إذا لم نعرف من نحن، فكيف يمكن أن نعرف ما نمتلكه .

إذا أشرت إلى ما نأكله سنقول: " إنني أمتلك هذا، ثم أريد أن أفهمك؛ لأنك بوضوح تدمج ما تأكله داخل نفسك، فأنت تحوله داخل جوهرك، وتشعر به داخلك وأنه ينتمي إليك، إن ذلك لا يتعلق بما تأكله، فأنت تتحدث عما تأكله.
بماذا نسمي الامتلاك؟.

كن حياديا؛ فالحب هو الغروب والفجر لأنه لا يقدم نفعاً. زين نفسك بالذهب بواجهة الظهيرة مثل الملك الذي شاهد الورد في الصباح في تفتح كامل، ربما في السحب البيضاء وابتسامة العذارى، وفي الفيلات المنعزلة.
دع حنينك يموت بين نبات الآس العطري، والملل الذي لديك بين التمر

الهندي، وربما يرافق صوت المياه كل هذا، كما لو كان الشفق على ضفتي النهر الذي يعني فقط لك الإحساس الأبدي نحو البحار البعيدة. إن هذا هو ما يبقى، ولكن الحياة تتركنا، والبريق الذي في أعيننا سيذبل،، سيضيء القمر المنفي الخاص بنا، وستنشر النجوم صمتها على ساعة من خيبة الأمل.

***

مصيري هو الانحطاط

كانت ساحتي القديمة في الوديان العميقة، والمياه التي تتدفق في أحلامي لم تلطخ أبداً بالدماء. والأشجار وأوراق النبات نسبت الحياة التي كانت دائماً خضراء إلى مجال نسياني. كان القمر صافياً مثل المياه بين الصخور، ولم يصل الحب إلى الوادي حيث حياتي السعيدة هناك.

مشينا في النسيم في ساعة لا تتجزأ، دون أي حنين مخمور ومعتقدات بلا فائدة. مشاهد طبيعية بلا فائدة مثل الرياح حول أقداح الشاي الصينية، تبدأ بالخروج من المقبض وتنتهي فجأة عند المقبض.

توضع الطاولة للشاي، وهي مجرد حجة لمحادثات عقيمة، دائماً تبدو لي كنوع من أشياء الحياة. وهذه هي الفردية في الروح؛ فهي تُشكل مثل الكائن الحي، ككل زائف، حيث إنه لا يشكل مجموع الأجزاء المكونة له. والحوارات في تلك الحدائق الخيالية هي على نحو غير محدد وهي الدوائر الموجودة حول أقداح الشاي.

وما هي الكلمات السامية التي وجدت على الجانب الآخر من أبريق الشاي والتي يجب أن تتبدد؟ ليس لدي آذان لأسمعها؛ فأنا عضو ميت من الجنس البشري متعدد الألوان.

فقط تخيلو فولكلور الناس الذين يسكنون اللوحات الملونة، ويحبون الأشكال المطرزة حباً تميز ببعدين من البساطة الهندسية التي يجب أن

تتحقق للتسليم من بعض علماء النفس.

إننا لا نحب، فقط نتظاهر بالحب؛ فالحب الحقيقي خالد، ولكنه غير مجدٍ، وينتمي لتلك الأشكال التي لا تتغير أبداً حتى من خلال الطبيعة الثابتة.

ومنذ ذلك الحين عرفت الرجل الياباني الذي يجلس على سطح محدب على أبريق الشاي الخاص بي فهو لا يتحرك حتى الآن، لم يستمتع بيد المرأة التي يصعب الوصول إليها، فالألوان الضعيفة مثل تلك التي غادرت الشمس إلى الأبد ولم تدرك منحدر التل.

يلاحظ في المشهد كله لحظة حزن، والحزن الوفي أكثر من الشخص الموجود في الوقت الحالي وبدون ملء الساعات المجوفة من التعب لدي. في هذا العصر

كل ما هو حقيقي في حواسنا هو بالضبط ما لدى الغير وليس نحن؛ فالأحاسيس التي لدينا جميعاً هي التي تشكل الحقيقة؛ فأحسيسنا فردية وبالتالي، كل ما يكمن بها هو خطأ. فما هي البهجة التي سأحصل عليها عندما أرى الشمس لونها قرمزي! وكيف سيفكر فيها ذهني؛ فأنا لا أترك مشاعري تعرف ما الذي أنوي أن أشعر به، فأنا ألعب مع أحاسيسي مثل الأميرة التي تشعر بالملل من شراسة القطط الرشيقة. وأشعر بضجة أبواب داخلي كانت تعبر من خلالها بعض الأحاسيس بغرض أن تتحقق؛ فقمت بسرعة بتوضيح طريقها من خلال الإحتياجات العقلية التي تجعلهم يظهرون كحركات، يتم إدخال بعض العبارات القليلة الفائدة أثناء محادثاتنا، ومعاني مصنوعة من رماد الآخرين ولا معنى لها على قدم المساواة مع مثل هذه العبارات التافهة. فنظرتك تذكرني بالموسيقى التي تم عزفها على قارب وسط النهر الغامض مع بعض الأخشاب على الشاطئ المواجه.

لا تقل أن هذه الليلة مقمرة وباردة؛ فأنا أكره الليالي المقمرة؛ فهناك الأشخاص الذين يعرفون الموسيقى في هذه الليالي.

هذا أيضاً ممكن وشيء مؤسف.، بالطبع، ولكن نظرتك يظهر فيها الحنين لشيء ما، وينقصها الشعور التي تعبر به، ومن تعبيرك الزائف أستطيع أن أرى الكثير من الأوهام التي لدي، ويمكنني أن أؤكد لك أنني أشعر أحياناً بما أقول، وحتى إذا كانت امرأة، فماذا أقول عن نظرتي.

هل أنت قاسٍ على نفسك؟ هل تشعر حقاً بما تفكر فيه؟ وهل هذه المحادثة على سبيل المثال لديها أي مظهر من مظاهر الواقع؟ بالتأكيد لا. إنها ستكون غير مقبولة في الزاوية. ولسبب وجيه أنظر، لم أكن متأكداً تماماً من أنني أتحدث إليك........... على الرغم من كونك امرأة فقد جعلت من واجبي أن أوضح الكتاب لفنان مجنون.......... ومني بع التفاصيل، إنني دقيق بشكل مفرط. أدرك أنني أعطي انطباعا ثائرا اضطرني إليه .

كالطفل أردت أن أكون بنت في ورق اللعب من واحدة من الأوراق القديمة الموجودة لدينا بالمنزل... هذا يبدو بالنسبة لي مثل رسالة ذات شعار رحيم للطفل، بالطبع مثل الأماني الأخلاقية الشائعة... وفي وقت لاحق عندما تكون أمانينا غير أخلاقية، لا نفكر حقيقة في هذا.

بما أنني لم أتكلم أبداً إلى الأطفال، فأنا أفكر في غريزتهم الفنية ... أنت تعرف، مثل الآن وأنا أتحدث، إنني أحاول فهم المعنى الحقيقي للأشياء التي قلتها لي. فهل تغفر لي؟ ليس تماماً... لا ينبغي أبداً أن نُقيم المشاعر التي يتظاهر بها الآخرون. إنها دائماً صديق حميم جداً...لا تعتقد أنها لم تعوقني لمشاركة هذه الأسرار الحميميه؛ فكل منها زائف ولكنها تمثل حقيقة بالية من روحي التي يُرثى لها؛فنحن الشيء الذي يُرثى له، صدقوني، هذا ما نحن عليه حقاً، وأسوأ المآسي لدينا تكمن في فكرتنا عن أنفسنا.

ينبغي أن تكون قادراً في النهاية على معرفة إذا كنا حقاً نتحدث إلى شخص ما أو ببساطة تخيلنا المحادثة... إن أحسن وأعمق الأحاديث وأقلها تثقيفاً أخلاقياوهي التي يفعلها الروائيون بين شخصيتين في أحد كتبهم.
لماذا أقبل على الانتحار. انتظر! فأنا لازلت لا أعرف ... إنه أراد اكتشاف وتطوير طريقة لتزييف وليس تكملة الجمل.

إنه اعتاد أن يقول أن هذا كان بحثاً عن ميكروب المعنى ... إنه قد انتحر. نعم بالفعل؛ لأنه أدرك في يوم ما ما هو الخوف .

لا، هذا غير معقول...... ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون قد انتحر بمسدس؟ رجل مثل هذا لا يطلق أبداً الرصاص على رأسه... إنك تفهم القليل أصدقائك، وأنت تعرف أن هذا عيب خطير، إن أفضل صديقاتي هي شابة ساحرة اخترعتها أنا.

***

في مديح الاستحالة

أتحدث بشكل جاد وحزين. هذا ليس موضوعاً مبهجا؛ لأن البهجة الموجودة بالأحلام متناقضة وكئيبة وتتسم بالغموض.

أحياناً، بيني وبين نفسي أراقب الأشياء السخيفة والمبهجة بموضوعية، والتي لا أستطيع حتى تخيل فهمها، ولمنطقيتها بالنسبة لنا؛ فالجسور الرابطة لا تمثل شيئا، وبداية الطرق ونهايتها، وكل المناظر الطبيعية راساً على عقب، والمستحيل واللامنطقي، والمتناقضات، وكل شيء يفصلنا ويبعدنا عن الواقع ومحيطه الواسع من الأفكار العملية، والمشاعر الإنسانية، وجميع مفاهيم العمل المحتملة. فالاستحالة تمنع إقرار الروح التي هي كحلم عن امرأة جميلة، ولكنها حادة اللسان؛ فلذلك ستصبح امرأة مملة جداً. لدي طريقة غريبة وغامضة لتصور هذه السخافات؛ فبعض الطرق لا أستطيع شرحها؛ فأنا قادر على رؤية هذه الأشياء التي لا تصدق لأي نوع من رؤية الإنسان.

دعونا نعيش حياة عبثية من الشرق إلى الغرب؛ فالحياة هي رحلة تجريبية نقوم بها لا إرادياً. إنها رحلة العقل من خلال المادة، ونظراً لأنها رحلة العقل فهذا هو المكان الذي نعيش فيه. وحتى لا تكون الأرواح التأملية أكثر كثافة، وأكثر انتشاراً ومشاغبة من أولئك الذين يعيشون في الخارج، فالنتيجة النهائية هي الأهم. ما شعرت به هو ما عشناه. الحلم يستطيع أن يتعبنا مثل العمل البدني؛ فأصعب شيء نعيشه هو كثرة التفكير، فالرجل الموجود بزاوية صالة الرقص مع كل الراقصات. يرى كل شيء؛ لأنه يرى كل شيء، فهو يعيش كل شيء، ولأن كل شيء يرجع لأحاسيسنا في النهاية..

أرقص عندما أرى شخصا ما يرقص. فأنا أنام على العشب. كل هذا يوضح الطريقة التي أشعر بها، وله علاقة بالتعب الذي أشعر به اليوم. وفجأة ودون سبب واضح، شعرت أنني لم أكن مرهقاً فقط، ولكني أشعر بمرارة، والمرارة أيضاً لغز. أشعر أنني أتألم لذلك أوشكت على البكاء...، والدموع سببها مرض الروح وليس الألم المحسوس.

كم عشت دون أن أعيش! وكم مرة فكرت دون أن أملك التفكير! فأنا منهك من العنف الدائم بالعالم، ومن المغامرات التي تعلمتها دون تحريك العضلات؛ فلدي تخمة مما لم أفعله أبداً، ومما لا يمكن أن أفعله، ومتعب من الآلهة التي لم توجد حتى الآن. أحمل جراح كل المعارك التي تجنبتها. تعبت عضلاتي من كل الجهد الذي لم أقم به أبداً. ممل، صامت، وغير مفيد... السماء العالية، الرغبة... موتى الصيف، أنظر إليها وكأنني لم أكن هناك. وأشتكي دون الشعور بأي شيء، وحنيني للماضي هو من أجل لا شيء. لا شيء مثل السماء العالية التي لم أراها، وكأنني أنظر إلي المجهول.

يبدو الجو شديد الحرارة ولكنه الصيف، يناشد به الريف هؤلاء الذين لا يحبونه. لو كنت شخصا آخرا، فإن هذا بلا شك سيكون يوماً سعيداً بالنسبة لي؛ لأنني أشعر به دون أن أفكر فيه. أتمنى القيام بيوم عمل عادي، والذي

هو بالنسبة لي ممل بطبيعته، مثل الأيام التي تمر يوم بعد يوم. وبعد ذلك آخذ الترام إلى "بينكا" مع بعض الأصدقاء. نريد أن نتناول وجبة العشاء حقاً على أنغام الموسيقى في أحد مطاعم الحديقة. وسعادتنا في هذه اللحظة ستكون جزء من المنظر الطبيعي، وهذا معترف به من الذين يعرفوننا. ولكن منذ أن كنت أنا، فأنا آخذ مجرد متعة قليلة في القليل الذي يجعلني أتخيلنفسي كأنني شخص آخر.

أمكث تحت الشجرة أو الكوخ، سآكل ضعف ما يمكنني تناوله من الطعام، وضعف ما أشربه كلما أردت الشرب، وأضحك مرتين كلما أمكنني تصور الضحك. للحظة كنت شخصا آخرا؛ ففي الشخص الآخر أرى وأعيش هذا الإنسان، وأيضاً السعادة المتواضعة من الواقع، مثل الحيوان الذي يرتدي قميصاً، إنه يوم عظيم هذا الذي يجعلني أحلم بكل هذا! فالسماء زرقاء، مثل حلمي بأن أكون مثل مندوب المبيعات الذي في أحسن حال من الصحة، ولكنه في عطلة عن العمل اليوم.

هناك في الريف، وهناك فقط، حيث توجد الأشجار والظلال الحقيقية. فالحياة تردد بين التعجب والتساؤل. فالشك يتم نسيانه بمرور الوقت. فالمعجزات هي تكاسل الآلهة، أو بالأصح، الكسل الذي ننسبه للآلهة عندما نقوم بمعجزة.

إن التفكير، والشعور، والرغبة تصبح كلها خليطا واحدا. والمعتقدات، والأشياء المتخيلة، والأشياء الحقيقية كلها مختلطة، مثل محتويات الأدراج التي سقطت على الأرض.

يوجد نوع واحد من السعادة الحزينة في الشعور بالتفاهة، خاصة إذا كان المريض سبق له التأثر بها عصبياً.

هناك خريف في عواطفنا وأفكارنا، أو بالأصح، بداية فصل الربيع باستثناء غياب أوراق الأشجار المتساقطة، والتي تبدو في الهواء وفي السماء مثل الخريف. فتعبنا هو السعادة. إننا نشعر بالابتعاد قليلاً عن الحياة وإن كنا لانزال فيها، كما لو كنا في شرفة منزل الحياة. ستصبح في كآبة دون التفكير بواقعية؛ فنحن نشعر دون أي عاطفة. فإرادتنا تنمو بهدوء، ولم نكن في حاجة لها. هذا عندما توجد ذكريات معينة، وآمال معينة وبعض الرغبات الغامضة التي تتسلق منحدر الشعور ببطء، مثل عابري السبيل التائهين الذين يُرون من فوق قمة الجبل ذكريات الأشياء العديمة الفائدة: مثل الآمال التي لم تتحقق بصفة خاصة، والرغبات التي لم تكن قوية في طبيعتها أو في مظهرها. إنها لم تكن قادرة أبداً على أن تكون بشكل حقيقي عندما يحتفظ اليوم بهذه الأحاسيس. على سبيل المثال، اليوم غائم رغم أننا في فصل الصيف، مع الرياح الخفيفة التي تشعرنا بالبرودة ولأنها ليست دافئة، ثم الحالة المزاجية فيما نفكر، ونشعر، ونعيش هذه الإنطباعات البارزة. فالذكريات والآمال والرغبات أصبحت الآن أكثر وضوحاً.

في هذه الحظة أشعر بغرابة شديدة؛ فأنا في شرفة الحياة. نعم، ولكن ليست بالضبط هذه الحياة، فأنا فوق الحياة، وأنظر لأسفل لرؤيتها. إنها تمتد أمامي وتنحدر في مناظر متنوعة من الانخفاضات، والأرض باتجاه دخان المنازل البيضاء للقرى الموجودة بالوادي.

إذا أغلقت عيني؛ سأظل أرى؛ لأنني لم أكن أرى حقاً. وإذا فتحتهم سأرى أكثر؛ لأنني لم أكن أرى حقاً في المكان الأول.

أنا لا شيء، ولكن حنين غامض، ليس للماضي ولا للمستقبل، ولكن للحاضر والمجهول الذي لا ينتهي. يوجد مصنفين للأشياء، أعني أولئك العلماء الذين لديهم العلم لمجرد التصنيف وعموماً لا أدرك ما الذي يكون قابلا للتصنيف من هذه الأشياء التي لا نستطيع تصنيفها، ولكن ما يذهلني حقاً أنهم

لا يدركون أن هناك أشياء مختفية في شقوق المعرفة، أشياء من الروح والوعي يمكن أيضاً تصنيفها. ربما لأنني أفكر كثيراً أو أحلم كثيراً، أو ربما لأسباب أخرى. لا أميز بين الواقع الموجود وعالم الأحلام الذي هو الواقع غير الموجود.وحتى في تأملاتي حول السماء والأرض، أدرجت الأشياء التي لا تُضاء بالشمس أو تم وطأها بالأقدام، وأيضاً عجائب السوائل من مخيلتي. خدعت نفسي بغروب الشمس الذي اخترعته، ولكن ما اخترعته مازال حياً في اختراعي. أبتهج في النسائم الخيالية، لدي روح طبقاً للفرضيات المختلفة، وكل هذه الفرضيات لها روحها الخاصة التي تُعطى إلي.

المشكلة الوحيدة هي أن الواقع غير قابل للتفسير بقدر ما هو على قيد الحياة. ما الذي أعرفه عن الاختلاف بين الشجرة والحلم؟ أستطيع لمس الشجرة وأعرف أني لدي حلم. حقاً ما كل هذا؟! ما كل هذا؟ هل هو أنا وحيداً في أوس المهجور، وهل يمكن أن تعيش متخيلاً دون أن تتوقف عن الذكاء.

لم أكن جالساً على مقعد بلا زراعين، ولكن أميل إلى الوراء في مقعد موريرا المريح وأتمتع بمقام عالٍ في غير وقته. ربما يكون هذا هو تأثير الجو المحيط بي حيث إنه أثر على سبيل التسلية. هذه هي أيام نجم الشعرى التي تجعلني متعبا، وأنام دون نوم لعدم وجود طاقة. وهو السبب في أنني أفكر بهذه الطريقة.

***

فاصلة حزينة

أنا متعب من الشارع، ولكن لا، لست متعبا منه؛ فالشارع هو كل الحياة. هناك حانة بالاتجاه المقابل، أستطيع رؤيتها إذا نظرت باتجاه كتفي الأيسر، وهناك صناديق متراكمة يمكن أن أراها أيضاً إذا نظرت على يساري، وفي المنتصف لا أستطيع أن أراه إلا إذا التفت تماماً. هنا صوت ثابت لمطرقة صانع الأحذية، في مدخل "أوس" للشركة الأفريقية.

لا أعرف مما الذي يوجد بالطوابق العليا؛ ففي الطابق الثالث يوجد منزل مفروش للإيجار، يقال عنه إنه غير أخلاقي، ولكن هذا هو الحال مع كل الأشياء، ومع الحياة.

تعبت من الشارع؟ التفكير فقط يجعلني متعبا. عندما أنظر إلى الشارع أو أشعر به لا أعتقد أنني ساقوم بعملي مع التراخي العظيم المختفي في زاوية بداخلي.

ليس لدي روح، ولا أحد هنا. إننا جميعاً نعمل في "أوس" الكبير. حيث الملايين يعيشون حياة جيدة، دائماً في البلاد الأجنبية أو غيرها، وهناك عمل مماثل، وأيضاً لم توجد روح. وكل الذي سيبقى واحد آخر أو شاعر آخر. إلا إذا بقيت عبارة من عباراتي، ربما تكون شيئاً واحداً كتبته، فهذا ربما يجعل الناس يقولون لي "حسناً أجدت."، مثل الأرقام التي أسجلها، وأنسخها بالكتاب الداخلي لحياتي.

أعتقد أنني سأكون دائماً محاسبا مساعدا في مستودع النسيج، وآمل بإخلاص مطلق أن يتم ترقيتي إلى رئيس حسابات. لفترة طويلة لم أكن متأكداً إذا كانت أياماً أم شهوار لم أسجل فيها أي انطباعات. لا أفكر، إذا أنا لم أكن موجوداً.

لم أكن قادراً على الكتابة لأنني لم أكن قادراً على أن أكون؛ فمن خلال النوم كنت شخصا آخرا، لأدرك أنني لا أتذكر نفسي، بما يعني أنني استيقظت.

أُصبت بنوبة إغماء، وانقطاع عن حياتي. لم أتذكر وجودي، وأن الذاكرة التي اعتدت عليها قد توقفت. لدي انطباع مشوش منذ فترة التوقف الغامضة وجزء من ذاكرتي يكافح عبثاً للوصول إلى الجزء الآخر. لا أستطيع جذب أجزاء نفسي لبعضها.

إذا كنت عشت خلال هذه الفترة نسيت أن أكون على علم بها. إنه لم يكن اليوم الماضي الذي شعرت فيه حقاً بالخريف، حيث إنه كان باردا.

ما النعاس الذي يحفظني من النوم؟ وما الذي يجعل الشخص المحبب لي يرفض أن يتحدث معي؟ وما الأفضل بالنسبة لشخص آخر في أن يتنفس بعمق الهواء البارد في فصل الربيع! كيف يكون أفضل وما الفضل في الحياة. لتكون قادراً على الأقل لتخيلها، بينما في المسافة الموجودة في الخيال تذكرت القصب الأخضر والأزرق منحنياً بطول ضفة النهر حيث لا يوجد أي تلميح للرياح.

***

مقتطفات من السيرة الذاتية

استغرقت في البداية في التأملات الخارقة للطبيعة، ثم انهمكت في الأفكار العلمية. وفي النهاية وجدتني مرتبطا بالمفاهيم الاجتماعية، لكنني لم أجد أي راحة أو طمأنينة في أي مرحلة من مراحل بحثي عن الحقيقة، لم أقرا الكثير في هذه المجالات، ولكن ما قرأته كان كافيا لإرهاقي بالعديد من النظريات المتناقضة، تتساوي جميعها في الاعتماد علي أسس منطقية محكمة، وتتساوي جميعها في إمكانية الحدوث كما أنها متوافقة مع مجموعة من الحقائق التي تعطي دائما الانطباع بأنها الحقائق الوحيدة. إذا أبعدت عينّي المرهقة عن الكتب، أو تشتت تفكيري بعيدا عما أفكر فيه وتحول إلى العالم الخارجي، عندها أرى شيئا واحدا فقط، يقتلع واحدة بعد الأخرى أي رغبة في المحاولة ويقنعني بعبثية كل القراءات والأفكار. كان ما رأيته هو التعقيد اللانهائي للأشياء، الآراء المطلقة، الإمكانية المطلقة لحدوث هذه الأفكار التي يمكن أن تكون ضرورية لتشكيل العلم.

اكتشفت بالتدريج الإحباط الناتج من اكتشاف لاشيء. لم أجد أي سبب أو منطق يحكم أي شيء ما عدا الشكوكية التي لا تسعي إلي أي منطق يفسر نفسه. لم أشعر يوما بالرغبة في العلاج من هذا. ولماذا أعالج من هذا؟ ماذا

يعني أن أكون "بصحة جيدة"؟ كيف أتأكد أن هذا الموقف يعني أنني مريض؟ وإذا كنت مريضا، من يقول أن المرض لم يكن أفضل أو أكثر منطقية أو أكثر صحة؟ و إذا كانت الصحة أفضل، ألم أمرض بسبب طبيعي؟ و ذا كان السبب طبيعيا، لماذا يتصرف ضد الطبيعة، التي أرادت بالتأكيد لغرض أو آخر ـإذا كان هناك أي غرضـــ أن أمرض؟

لم أجد أبدا أي حجج مقنعة لأي شيء ما عدا القصور الذاتي، و مع مرور الوقت بعنف وبحزن أصبحت أكثر وعيا بقصوري الذاتي واستسلامي. اكتشاف أشكال القصور الذاتي، والتماس الهروب من الصراعات الشخصية والمسؤوليات الاجتماعية، هذا هو الجوهر الذي نحت منه تمثال وجودي الخيالي.

تعبت من القراءة، وتوقفت عن ممارسة هذه أو تلك من أنماط الحياة الجمالية. تعلمت من القليل الذي قرأته أن استخلص فقط العوامل المفيدة للحلم. كما سعيت من القليل الذي رأيته وسمعته أن أطرح جانبا فقط ما يمكن أن يبدو داخلي كأفكار بعيدة ومشوهة. حاولت أن أجعل كل أفكاري وكل خبراتي اليومية تزودني بالمشاعر فقط. لقد جعلت لحياتي المعنى الجمالي. وقد جعلت هذا الجمال شخصيا بحتا وخاص بي فقط.

الخطوة التالية في تطوير متعتي الداخلية هي أن أنأي بنفسي عن كل الأحاسيس المتعلقة بالأشياء الاجتماعية. حصنت نفسي ضد الشعور بالسخافة. تعلمت أن أكون متبلد المشاعر تجاه إغراءات الغريزة.

قللت اتصالي بالآخرين إلي أقصى حد. فعلت ما بوسعي لأفقد كل اتصال بالحياة.... حتى أنني تخلصت في وقت ما من رغبتي في المجد، مثل شخص يشعر بالنعاس فيخلع ملابسه للذهاب إلي السرير.

بعد دراسة الخوارق للطبيعة والعلوم، دخلت في انشغال ذهني كان أكثر تهديدا لتوازني العصبي. قضيتُ ليالي مرعبة منحني الظهر علي مجلدات كتبها الغامضون والمتصوفة وهي كتب لم أكن أملك الصبر لقراءتها إلا بشكل متقطع مرتجف كل هذا أهمني لفترة طويلة. امتلأت أيامي المحمومة بتأملات مهلكة تعتمد علي المنطق الشيطاني لما وراء الطبيعة ـ السحر، والكيمياءـ دخلت في حالة نشاط زائفة وقاتلة نتجت عن الإحساس المؤلم ذي الطبيعة الروحية من الوجود دائما علي شفا اكتشاف سر خطير. فقدت نفسي في العوالم الهذيانية لما وراء الطبيعة، عوالم مليئة بقياسات متعارضة وشراك التفكير الشفاف، عوالم واسعة غامضة تظهر فيها ومضات للأشياء الخارقة للطبيعة تثير الغموض في الجماعات المتطرفة.

جعلتني هذه الأحاسيس أتقدم في السن. كما أرهقني هذا الكم الكبير من التفكير. أصبحت حياتي عبارة عن حمى تتعلق بما وراء الطبيعة. دائما أبحث عن المعاني الغامضة للأشياء. ألعب بنيران القياسات الخارقة للطبيعة، التي تقلل من قيمة [؟] نفسها عن طريق نبذ وضوح الفكرة التام و التركيبات العادية.

سقطت في حالة معقدة من اللاانضباط العقلي واللامبالاة عامة. إلي أين التجأت؟ انطباعي الشخصي أني لم ألجأ إلي أي مكان. لقد تخليت عن نفسي من أجل شيء لا أدري كنهه.

حددت رغباتي وجعلت تركيزي كله في شحذها وصقلها. حتى نصل إلي اللانهائية. أؤمن بإمكانية الوصول إليها ؛ فنحن بحاجة إلي ميناء راسخ، واحد فقط، نبدأ منه رحلتنا نحو المجهول.

إنني اليوم زاهد وفقا لعقيدتي أنا. يمكن لفنجان من القهوة، وسيجارة وأحلامي أن تحل تماما محل الكون و نجومه، محل العمل، محل الحب،

وربما أيضا محل الجمال و المجد. لا أريد في الواقع أي منبهات. لدي في روحي ما يكفيني من الأفيون.

ما هي أحلامي؟ لا أعرف. لقد أجبرت نفسي علي الوصول لنقطة حيث لم أعد متأكدا بماذا أفكر، أو أحلم، أو أتخيل. يبدو أنني أحلم دائما بعيدا جدا بأشياء غامضة غير محددة لا يمكن للآخرين رؤيتها.

ليس لدي أي نظريات حول الحياة. لا أعرفُ و لا أتساءل إن كانت جيدة أم سيئة. في رأي هي قاسية و حزينة، مع أحلام مبهجة تظهر هنا وهناك علي فترات متقطعة. لماذا يجب أن أهتم بما تعنيه بالنسبة للآخرين؟

حياة الآخرين تعنيني فقط في عالم الأحلام، حيث أعيش الحياة التي تبدو مناسبة لكل شخص.

ما زال التفكير نوع من التمثيل. فقط في حلم اليقظة الشفاف، حيث لا شيء عملي يعترضه و حتى الوعي الذاتي لدينا يصبح عالقا في الطين، هناك فقط، في هذه الحالة الدافئة الكئيبة من اللاوجود، عندها يمكننا فقط أن نصل إلي نكران الذات الزهدي الكامل.

أن نتوقف عن محاولة الفهم، أن نتوقف عن التحليل، أن نري أنفسنا كما نري الطبيعة، أن نراقب انطباعاتنا كما نراقب ساحة القتال ــــ هذه هي الحكمة الحقيقية.

أكثر من مرة، بينما أتجول في الشوارع في وقت متأخر بعد الظهر، أجدني فجأة وبعنف مغرما بالوجود التنظيمي العجيب للأشياء. ليست الأشياء الطبيعية هي ما يثير هذا الوعي القوي داخل روحي؛ إنما هو تخطيط

الشوارع، واللافتات، والناس في ملابسها وحديثها، ووظائفها، والصحف، والمنطق الذي يربط كل هذه الأشياء. أو ربما هي الحقيقة أن الشوارع المنظمة، اللافتات، الوظائف، والأشخاص، والمجتمع الموجود، كلها تتناسب مع بعضها البعض وتسير جنبا إلي جنب لتفتح طرقا في الحياة.

عندما أنظر جيدا للإنسان، أري أنه لا يعقل مثل كلب أو قطة، وأنه يتحدث ويخطط لنفسه في المجتمع من خلال أنواع مختلفة من اللاوعي، أدني بوضوح من أنواع اللاوعي التي تقود النمل أو النحل في حياتهم الاجتماعية. وفي لحظة كأنما أضاء أحدهم النور، بدا الذكاء الذي يخلق العالم واضحا لي وتدب فيه الحياو بصورة واضحة، بدا في وضوح وجود القوانين الفيزيائية المنطقية الراسخة.

في مثل هذه المناسبات أجدني أستدعي كلمات فيلسوف سكولاستي لا أتذكره، يقول: "الرب هو روح الحيوانات". هذه الجملة الرائعة كانت طريقة الكاتب في شرح الحقيقة التي تتبعها الغريزة في قيادة الحيوانات الدنيئة، التي لا تظهر أي ذكاء، أو تظهر الذكاء بصورته الأولية، ولكننا جميعا حيوانات دنيئة، حيث إن الحديث والتفكير هما غريزتين جديدتين، وهي أقل في الاعتماد عليها من غيرها علي نحو دقيق لأنها جديدة؛ لذلك فإن جملة الفيلسوف الجميلة الدقيقة لها تطبيق أوسع، وأنا أقول: " الرب هو روح كل شيء." .

لم أفهم أبدا كيف يمكن لأي شخص التوقف عن التفكير في الحقيقة الهائلة لنظام الساعة الكوني هذا، وأن ينفي نظرية صانع الساعات، التي لم يؤمن بها حتى فولتير. في ضوء بعض الأحداث التي انحرفت بوضوح عن الخطة يمكن أن أفهم كيف ينسب شخص ما بعض النقائص إلي هذا الذكاء العظيم. أفهم هذا، لكني لا أقبله. عند رؤية الشر الموجود في هذا العالم، يمكنني أيضا أن أفهم لماذا لا يقر المرء بالكرم المطلق للذكاء الخالق. ومرة أخري أنا

أفهم هذا، لكني لا أقبله. ولكن إنكار وجود هذا الذكاء، وهو الرب، يعلن عن نفسه عندما تحزنني واحدة من تلك البلاهات التي يبتلي بها بعض الرجال في واحدة من مناطق ذكائهم بينما يكونون أكثر ذكاء في مناطق أخرى ــ علي سبيل المثال، هؤلاء الذين يقعون في أخطاء في الجمع والطرح، أو أولئك الذين لا يستطيعون تذوق الموسيقي، والرسم، والشعر (أتحدث هنا عن الذكاء الذي يحكم الحس الجمالي).

لقد قلت أني لا أقبل فكرة نظرية صانع الساعات الشرير. أعارض نظرية صانع الساعات؛ لأن هذه المظاهر الخاصة بالحكومات والمنظمات في هذا العالم التي تبدو ناقصة أو تافهة يمكنها أن تثبت العكس، فقط لو أننا نعرف الخطة. عندما نري الخطة واضحة في كل شيء، نرى أيضا بعض الأشياء التي تبدو بوضوح بأنها لا معني لها، ولكن إن كان هناك سبب يحكم كل شيء، إذن ألا تتبع هذه الأشياء هذا السبب نفسه؟ عندما نرى السبب ولا نري الخطة الفعلية، كيف يمكن أن نقول أن بعض الأشياء تسير خارج الخطة، بينما لا نعرف ما هي؟ تماما مثلما يقوم شاعر مبدع بكتابة شعر لا وزن له ولا قافية، وكأنه يعارض فكرةالالتزام بالوزن والقافية (أي ناقد سيرى أنه شعر مختل)، هكذا يمكن للرب أن يخلق أمورا لا يمكن للعقل استيعابها وخارج نطاق المنطق البشري.

أعترف بأن نظرية صانع الساعات الشرير صعبة الدحض، و لكن هذا علي المستوي السطحي. يمكن للمرء أن يقول أنه بما أننا لا نعرف ما هي حقيقة الشر فعلا، عندها لا يمكننا أن نؤكد بشكل صحيح ما الشيء السيئ وما الشيء الجيد، لكن الألم سيئ بطبيعته وهذه حقيقة، حتى وإن كان فيه الخير لنا في النهاية، وهذا يكفي لإثبات وجود الشر في هذا العالم. ألم الأسنان كاف لنكفر بطيبة الخالق. يكمن العيب الأساسي بهذه الفرضية في جهلنا التام بخطة الرب، يتساوي مع هذا جهلنا بأي نوع من الأشخاص الأذكياء قد يكونه العقل المطلق. وجود الشر شيء، والسبب في هذا الوجود شيء آخر.

ربما يكون التمييز هنا دقيقا إلي حد التكلف، ولكنه صحيح. لا يمكن إنكار وجود الشر، لكني يمكني إنكار أن وجود الشر هو شر. أقر بأن المشكلة مستمرة؛ فقط لأن عيوبنا مستمرة.

إذا كان هناك شيء منحتنا إياه الحياة يجب أن نشكر الآلهة عليه بالإضافة إلى شكرهم علي نعمة الحياة نفسها وهي نعمة عدم المعرفة: عدم معرفة أنفسنا، وعدم معرفة الآخرين. إن الروح الإنسانية هي عبارة عن هاوية مظلمة وقذرة، هي بئر موجود على سطح الأرض لم يستخدم أبدا. لم يكن أي شخص ليحب نفسه، لو أنه يعرف نفسه علي حقيقتها، كانت أرواحنا لتموت بسبب الأنيميا لولا وجود الغرور الذي يخلقه هذا الجهل بالإضافة إلي الدماء. لا أحد يعرف الآخر، وهذا أفضل بكثير؛ لأنه لو عرف سيكتشف عدوه الغيبي الراسخ المتمثل في والدته، وزوجته، وابنه.

إننا نمضي في طريقنا؛ لأننا غرباء في أعماق أنفسنا. ماذا كان سوف يحدث للعديد من الأزواج السعداء لو كان باستطاعتهم رؤية أرواح الآخر، إذا كان بإمكانهم فعلا فهم بعضهم البعض، كما تقول الأفكار الرومانسية، بدون أن يدركوا الخطر وراء ما يقولونه (حتى و إن كان غير منطقي في النهاية)؟ كل علاقات الزواج يشوبها بعض العيوب؛ لأن كل طرف يخفي داخله، في ركن سري حيث تنتمي فيه الروح للشيطان، صورة باهتة للرجل المفضل لا تشبه الزوج في شيء، والتمثال الضبابي الشريف للمرأة والتي لا تعيش الزوجة وفقا له. أسعد الناس لا يدركون رغباتهم الباطلة، أما الأقل سعادة فهم يدركونها، لكنهم اختاروا أن يتجاهلوها، بعض الحركات السريعة العرضية أو الإشارات الجافة، علي مستوي غير مقصود من الكلمات والإشارات، تستدعي الشيطان المختفي، وحواء القديمة، والفارس والمرأة الجميلة.

إن الحياة التي نعيشها هي سوء قابل للتغيير، إنها وسيط سعيد بين النبل الذي لا وجود له و بين السعادة التي يستحيل وجودها. إننا سعداء بسبب

قدرتنا العقلية علي إنكار وجود الروح، حتى وإن كنا نفكر ونشعر. في الحفلات الراقصة التي هي حياتنا، نجدنا راضين بالإحساس الممتع للملابس، والتي تعد الشيء الوحيد المهم في الحفلة الراقصة. نحن عبيد الأضواء والألوان، نتحرك في الرقصات كما لو كانت حقيقة، و لا نكون حتى مدركين لأننا لا نرقص إلا إذا بقينا وحيدين، إننا عبيد الليالي الباردة المتغطرسة في الخارج، عبيد الجسد الفاني تحت الأسماء البالية التي تعيش أطول مما يعيش الجسد، عبيد لكل ما نتخيله يمثلنا في الأساس، ولكن في الواقع كل هذا مجرد محاكاة داخلية لما يفترض أنها الروح الحقيقية.

كل ما نفعله، ونقوله، ونفكر فيه أو نشعر به يرتدي نفس القناع والملابس. لا يهم كم عدد الملابس التي نخلعها، حيث إننا لن نصل أبدا لحالة التجرد، وهي ظاهرة تخص الروح وليس خلع الملابس. إننا نرتدي الملابس علي أرواحنا وأجسادنا، حيث تلتصق ملابسنا المزدوجة هذه بنا كما يلتصق الريش بالطائر، وهكذا نعيش سعداء أو تعساء ـ أو بدون معرفة كيف نعيش ـــ هذه الأوقات التي أعطتنا إياها الآلهة لنستمتع بها مثل الأطفال الذين يلعبون الألعاب الخطرة.

هذا الرجل أو ذاك، سواء كان طليق أو ملعون، يري فجأة ـ ولكن حتى هذا الرجل نادرا ما يري ـ أن كل ما نحن عليه هو ليس ما نحن عليه في حقيقة الأمر، وأننا نخدع أنفسنا حول ما هو حقيقي وأننا مخطئون حول ما نعتقد أنه صواب. هذا الرجل الذي رأي الكون مجردا في لمحة ضوء قام بخلق فلسفة أو باختراع عقيدة، فتنتشر الفلسفة ويذيع صيت العقيدة، وهؤلاء الذين آمنوا بالفلسفة وضعوها كرداء لا يرونه، أما أولئك الذين آمنوا بالعقيدة وضعوها كقناع سرعان ما نسونه.

إننا لا نعرف أنفسنا أو الآخرين؛ لذلك نتقدم في العمر مبتهجين، ونواصل الدوران في حلقة الرقص أو الحديث بين الفواصل ـ نحن البشر عابثين

وجادين ــ ننسجم مع أصوات النجوم في السيمفونية العظيمة، تحت نظرة منظمي العرض المتحفظة والمزدرية.

كل ما يعرفونه هو أننا ضحية الوهم الذي خلقوه لنا، ولكن ما السبب وراء هذا الوهم، ولماذا يوجد هذا الوهم أو غيره، ولماذا يعطوننا الوهم والذي يخدعهم مثلنا؟ بلا شك أن هذا الأمر غير معروف حتى بالنسبة لهم.

دائما ما كنت أشعر بمقت مادي للأشياء الغامضة: المؤامرات، والمفاوضات، والمجتمعات السرية والعلوم الغامضة. وأكثر ما يضايقني بشكل خاص هما آخر شيئين ـ حيث يدعي بعض الأشخاص أنهم هم فقط من يعرفون الأسرار العظيمة التي تأسس عليها العالم عن طريق تفاهمهم مع الأرباب والأنبياء والآلهة.

لا يمكنني تصديق إدعاءاتهم، رغم أني أعتقد أن آخرين لديهم المقدرة على فعل شيء، ولكن ألا يوجد سبب، لماذا كل هؤلاء الناس؟ ربما ليسوا مجانين أو موهومين، الحقيقة أنه يوجد الكثير منهم لم يثبت أي شيء؛ لأنهم يعانو من العديد من الهلاوس.

إن ما يسبب لي الصدمة حقا هو سحرة وزعماء المجهول عندما يكتبون لنقل أسرارهم الغامضة أو الإعلان عنها فيكون كل ما يكتبونه رديء. مما يشعرني بالغباء حيث يكون المرء قادرا علي السيطرة علي الشيطان ولا يكون قادرا علي إجادة اللغة البرتغالية. لماذا يمكن أن يكون التعامل مع الشياطين أسهل من التعامل مع قواعد النحو؟ إذا كان من الممكن من خلال التمارين الطويلة من التركيز وقوة الإرادة يمكنه أن يحصل علي ما يزعمون أنه رؤية فلكية، لماذا لا يستطيع نفس الشخص ـ باستخدام خبرات تركيز أقل وقوة إرادة ـ لماذا لا يكون لديه رؤية في الإعراب؟ ماذا يوجد في تعاليم وشعائر هذه الفنون السحرية ما يمنع أنصارها من الكتابة، لن أقول

بوضوح لأن الصعوبة ربما تكون جزء من قانون الغموض، لكن علي الأقل الكتابة بلباقة وطلاقة، هي يمكن أن تحتفظ ببقائها في ظل هذا الغموض؟ لماذا يجب أن تضيع طاقة الروح كلها في دراسة لغة الآلهة، دون أن تبقى ولو حصة صغيرة لدارسة اللون والإيقاع الخاص بلغة البشر؟

لا يمكنني أن أثق برجل دين غير واقعي. بالنسبة لي، إنهم يشبهون أولئك الشعراء غريبي الأطوار الذين لا يستطيعون الكتابة مثل الآخرين. أقبل كونهم غريبي الأطوار، لكني أريدهم أن يظهروا أن سبب غرابتهم كونهم متفوقين عن المألوف وليس لأنهم غير قادرين عليه.

هناك الكثير من علماء الرياضيات العظماء الذين يمكن أن يخطئوا في عملية الجمع، ولكن ما أتحدث عنه هنا هو الجهل، وليس الخطأ. يمكن أن أقبل أن يجمع عالم رياضيات اثنين زائد اثنين ليكون المجموع خمسة؛ فهذا يمكن أن يحدث مع أي شخص في لحظة تشتت، لكن ما لا أقبله هو أنه لا يعرف ما هي عملية الجمع أو كيف تتم. وهذه هي حالة الغالبية الساحقة من رجال الدين الغامضين.

يمكن أن يكون الفكر عظيما، لكن تنقصه ينقصه القدرة على التعبير عنه، وعندما يفتقد تلك فإنه يكون أقل تأثيرا علي الآخرين. كالقوة العسكرية بلا براعة تعد مجرد كتلة ضخمة.

كونك قريبا من المسيح لن يكون ذلك مبررا لارتكاب الأخطاء إذا كان أحدهم يكتب جيدا فقط عندما يكون سكيرا، عندها سأقول له: واصل الشرب. وإذا قال أن هذا يضر بكبده، سأجيبه: وما هو كبدك؟ هو شيء ميت، يعيش طالما أنت علي قيد الحياة، بينما قصائدك التي تكتبها تعيش للأبد.

إنني أستمتع بالحديث. أو بالأحرى أستمتع بصياغة الكلمات؛ فالكلمات بالنسبة لي هي أجسام حقيقية أو ملموسة، هي أصوات مرئية، ورغبات مجسدة. ربما لأن الرغبات الحقيقية لا تعنيني علي الإطلاق، لا بشكل عقلي ولا في أحلامي، تحولت الرغبات داخلي إلي القدرة علي خلق إيقاعات حرفية، وملاحظة هذه الإيقاعات في كلام الآخرين. إنني أرتجف كلما تحدث شخص ما بطريقة جيدة. بعض الصفحات التي كتبها فيلو و تشاتبريند تجعل كياني كله يرتجف بكل خلاياه، تجعلني أهذي في رجفة صامتة بسعادة يصعب التعامل معها. حتى بعض الصفحات التي كتبها Vieira فيرا، بتركيبها النحوي ضعيف الإتقان، تجعلني أرتجف كورقة في مهب الريح، يتملكني انفعال مستسلم مثل شيء يرتجف.

مثل كل شخص يكون متقد العاطفة، أشعر بسعادة لا توصف في أن أفقد نفسي، في أن أختبر إثارة الاستسلام بكل ذرة في كياني. وهكذا، فأحيانا أكتب دون الرغبة في التفكير، وكأني في حلم يقظة، وأترك الكلمات تحتضني بين ذراعيها كطفل صغير. تكون الكلمات جملا لا معني لها، فأشعر بها تتدفق بنعومة مثل الماء، مثل نهر مهمل تكون موجاته مختلطة وغير واضحة، بينما موجات أخرى تكون جذابة، ثم تأتي موجات أخري، وموجات أخرى. هكذا تنبض الكلمات والصور بالتعبير، فتعبر في داخلي مثل مواكب باهرة مزينة بخطوط الحرير الباهتة يتألق فيها الخيال مثل ضوء القمر مرقش ولا نهائي.

لا أنتحب علي أي شيء تجلبه الحياة أو تسلبه بعيدا، ولكن هناك صفحات من النثر جعلتني أبكي. أتذكر بوضوح وكأني أراه أمامي الآن، تلك الليلة عندما كنت طفلا حينما قرأت المقتطفات الأدبية لأول مرة، فقرأت كلمات فيرا في " الملك سليمان" : "بني سليمان قصرا ..." وقرأت حتى النهاية، وأنا أرتجف وأشعر بالحيرة، ثم انهمرت من عيني دموع مبهجة ـ وهي دموع لا يمكن لأي بهجة في العالم أن تجعلني أبكيها ولا يمكن لأي حزن في

الحياة أن يجعلني أذرفها. تلك الحركة المقدسة للغتنا الشفافة الفخمة، تلك التعبيرات عن الأفكار في كلمات محتومة، تشبه المياه التي تتدفق بسبب وجود منحدر، تلك المعجزة الصوتية التي تبدو فيها الأصوات بألوان خيالية ــ كل هذه الأشياء تستحوذ عليّ بالفطرة مثل انفعال سياسي جارف. وعندها بكيت، وأنا مازلت أبكي عندما تذكرتها اليوم، ليس بدافع الحنين لوقت طفولتي، الذي لا أفتقده، ولكن بسبب الحنين إلى الانفعال الذي غمرني في تلك اللحظة، بسبب الندم من كل قلبي أنني لن أستطيع قراءة هذه الحقيقة الرائعة مرة أخرى لأول مرة.

ليس لدي أي أراء اجتماعية أو سياسية، ومع ذلك هناك طريقة تجعلني وطني. وطني هو البرتغال. لن يزعجني علي الإطلاق أن يتم غزوها أو احتلالها، طالما أنهم يتركوني وشأني، لكني أكره بشدة، فقط الكراهية التي أشعر بها، ليس أولئك الذين يكتبون البرتغالية الرديئة، ولا أولئك الذين تكون قواعد النحو لديهم بها أخطاء، ولا أولئك الذين يستخدمون الحروف الصوتية بدلا من الهجاء الاشتقاقي، ولكني أكره الصفحة نفسها المكتوبة بشكل سيء، كما لو كانت شخصا، أكره النحو الخاطئ تماما كما لو كان شخص يستحق الجلد بالسياط، أكره استبدال حرف (i) بحرف (y) مثل البصق الذي يثير اشمئزازي مباشرة بصرف النظر عمن قام به.

أجل، لأن الهجاء أيضا أعتبره شخص. تكون الكلمة كاملة عندما ترى وتسمع. والمسرحية التي تحاكي نقل حروف اللغة اليونانية إلي اللغة الرومانية تجعل الحروف بالنسبة لي ترتدي ثوب ملكيا حقيقيا، فيجعلها تبدو مثل سيدة نبيلة أو ملكة.

يكمن للفن أن يجعل الآخرين يشعرون بما نشعر به، في تحريرهم من أنفسهم عن طريق تقديم شخصيتنا الخاصة إليهم، ولكن يتعذر توصيل الجوهر الحقيقي لما أشعر به بشكل كامل، وكلما زاد عمق ما أشعر به،

كلما زاد الصعوبة في توصيله. من أجل نقل ما أشعر به إلى شخص آخر، يجب علي ترجمة ما أشعر به إلي لغته ـ فأقول أشياء تبدو كما لو أنها ما أشعر به، وهكذا عندما يقرأها سيشعر بالضبط بما أشعر به. هذا الشخص لا يفترضه الفن أن يكون هذا الشخص أو ذاك، ولكن أن يكون كل شخص (بمعني أن يكون هذا الشخص معروفا بين كل الناس)، ما يجب أن أفعله أخيرا هو أن أحول مشاعري إلي شعور إنساني مثالي، حتى وإن كان هذا يعني أن أحرف الطبيعة الحقيقية لما أشعر به.

إن الأشياء المجردة تكون صعبة الاستيعاب؛ لأنها لا تستحوذ علي انتباه القارئ بسهولة، لذلك سوف استخدم مثال بسيط لأجعل من أشيائي المجردة أشياء ملموسة. دعنا نفترض، لسبب أو لآخر (قد يكون هذا السبب هو أنني تعبت من مسك الدفاتر أو أني أشعر بالملل لأني لا أجد ما افعله)، أن شعور غامض بالحزن من الحياة يغمرني، شعور داخلي بالقلق يجعلني عصبي و متوتر. إذا حاولت أن أترجم هذه المشاعر بكلمات ملائمة تماما، عندها كلما اقتربت الكلمات من المشاعر كلما زادت من تصوير مشاعري الخاصة الشخصية، و عندها سوف تكون إمكانية توصيلها للآخرين أقل . وإذا لم تتمكن من توصيلها للآخرين، سوف يكون من الحكمة و الأسهل أن أشعر بها دون أن أكتبها.

لكن دعنا نفترض أنني أريد توصيلها للآخرين، فأجعلها قطعة فنية، هذا لأن الفن هو وسيلة ننقل بها للآخرين التوافق الذي نشعر به معهم، بدونه لن يكون هناك تواصل ولا حاجة لنا به. بحثت عن المشاعر الإنسانية العادية التي تحمل لون وروح وشكل المشاعر التي أشعر بها الآن في هذه اللحظة بدلا من السبب الشخصي فوق مستوي البشر الذي أشعر به كماسك للدفاتر مرهق أو رجل ملول من لشبونة. وتوصلت أخيرا إلي أن المشاعر العادية التي تحمل نفس الصفات العادية في الأرواح العادية وتشبه مشاعري هي مشاعر حنين المرء إلى الطفولة الضائعة.

إنني الآن أملك مفتاح الباب المؤدي إلي فكرتي الرئيسية. كتبت وانتحبت علي طفولتي الضائعة، حيث خضت في تفاصيل مؤثرة عن الأشخاص والأثاث الذي كان موجودا في بيتنا القديم في الريف. استعدت السعادة في عدم وجود حقوق أو مسئوليات، وسعادة الشعور بالحرية؛ لأني حتى هذه اللحظة مازلت لا أعرف كيف أفكر أو أشعر. إذا قمت بكتابة هذه الذكرى جيدا وجعلتها مؤثرة بشكل مثير للذهن عندها ستبعث في القارئ نفس الشعور بالضبط الذي كنت أشعر به والذي لا علاقة له بالطفولة.

هل كذبت؟ لا، لقد فهمت. ذلك الكذب، ما عدا الكذب الطفولي العفوي الذي يأتي نتيجة الرغبة في أن نكون حالمين، هو مجرد اعتراف بالوجود الحقيقي للأشخاص والحاجة إلي تكييف هذا الوجود مع وجودنا نحن والذي لا يمكن أن يتكيف مع وجودهم. الكذب ببساطة هو لغة الروح المثالية. مثلما نستخدم الكلمات، التي هي أصوات مترابطة بطريقة مضحكة، لنترجم إلي اللغة الحقيقة التحولات الأكثر خصوصية ورقة التي تحدث في أفكارنا ومشاعرنا (التي لن تستطيع الكلمات وحدها أن تترجمها)، فنحن أيضا نستخدم الكذب والخيال لتعزيز الفهم بين أنفسنا، وهو شيء شخصي ومتحفظ ـ لا يمكن للحقيقة أن تبلغه.

يكذب الفن لأنه اجتماعي. يوجد نوعان رائعان من الفنون: أحدهما يتحدث إلى أرواحنا الأكثر عمقا، والآخر يتحدث إلى أرواحنا المتيقظة. الأول هو الشعر والثاني هو الرواية. يبدأ النوع الأول في الكذب في بناءه، بينما يبدأ النوع الثاني في الكذب في غرضه. الأول يدعي إخبارنا الحقيقة عن طريق سطور تلتزم أوزانا صارمة وهو الأمر الذي يأتي مخالفا لطبيعة الحديث، بينما يدعي الثاني إخبارنا الحقيقة عن طريق وسائل للحقيقة كلنا يعرف أنها لم توجد أبدا.

إن تظاهرت معناه أنك تحب. متى رأيت ابتسامة خلابة أو نظرة ذات معني، بصرف النظر عن صاحب الابتسامة أو النظرة، أجدني أبحث بدقة عن الروح وراء الابتسامة أو النظرة لأكتشف أي سياسي يريد أن يشتري أصواتنا وأي مومس تريدنا أن نشتريها، لكن السياسي الذي يشترينا يحب علي الأقل فعل شرائنا، تماما كما تحب المومس أن نشتريها. سواء أحببت هذا أم لا، لكن لا يمكننا الهروب هذه الأخوة العالمية. جميعنا نحب بعضنا البعض، والكذب هو القبلة التي نتبادلها.

كل المشاعر التي تحدث بداخلي تكون سطحية، لكنها صادقة. لطالما كنت ممثلا، وأنا مصمم علي هذا. متى أحببت، كنت أتظاهر بالحب، أتظاهر به حتى أمام نفسي.

غمرني اليوم شعور سخيف، ولكنه صحيح. لقد أدركت، في لمحة داخلية، أنني لا أحد، لا أحد علي الإطلاق. ما رأيته في هذه اللمحة كانت مدينة هي عبارة عن أرض قاحلة، ولم يكشف هذا الضوء الشرير الذي أراني نفسي عن أي سماء فوقي. قبل أن يوجد الكون، حرمت أنا من قدرتي علي الوجود. إذا كنت قد تجسدت من جديد، فقد كان هذا بدون نفسي، بدوني أنا.

إنني ضواحي مدينة لا وجود لها، تفسير طويل ممل لكتاب لم يكتب أبدا. أنا لا أحد. لا أحد على الإطلاق. لا أعرف كيف شعر، كيف أفكر، كيف أريد. إنني شخصية في رواية لم تكتب، نسمة في الهواء، تلاشيت رغم أني لم أوجد من قبل، إنني موجود وسط أحلام شخص ما لا يعرف كيف يكمل وجودي.

إنني دائما أفكر، دائما أشعر، لكن لا يوجد منطق في تفكيري، ولا مشاعر في ما أشعر به. أسقط من الباب السحري المرتفع عبر الفراغ اللانهائي علي منحدر خاو لا متناهي بلا هدف. روحي عبارة عن دوامة سوداء، دوار ضخم يدور في الفراغ، المحيط اللامتناهي يتسارع في ثقب موجود في

اللاشيء. وفي هذه المياه التي هي أكثر اضطرابا من المياه الحقيقية تطفو صور لكل ما سمعته ورأيته في العالم ـــ منازل، ووجوه، وكتب، وصناديق، ومقطوعات موسيقية ومقاطع من كل الأصوات تتحرك كلها في دوامة منحوسة وعميقة جدا.

وفي وسط كل هذه الحيرة، أكون أنا، ما أنا عليه في الحقيقة، مركز موجود فقط في قلب الجحيم: أنا اللاشيء الذي يدور حوله كل شيء، وجدت فقط حتى يكون بإمكانها الدوران، كنت المركز فقط لأن كل دائرة تحتاج واحدا. أنا، ما أنا عليه في الحقيقة، عبارة عن بئر بدون جدران، لكني أشعر بلزوجة البئر، أنا مركز كل شيء ولا شيء حولي.

إنها ليست الشياطين (علي الأقل لها وجه بشري)، ولكنها الجحيم نفسها التي تبدو أنها تضحك بداخلي، إنها أصوات الجنون لعالم ميت، الجثة المتحركة للفضاء المادي، نهاية كل العوالم التي تطير مع الرياح، بلا شكل واضح وبشكل سرمدي، دون رب قد خلقها، دون نفسها حتى، تدور بصعوبة في الظلام المطلق باعتبارها الحقيقة الوحيدة الممكنة، باعتبارها كل شيء.

لو أني فقط أعرف كيف أفكر! لو أني فقط أعرف كيف أشعر!
لقد ماتت أمي مبكرا جدا بالنسبة لي حتى أني لم أعرفها...

كثيرا ما أجدني عرضه للإحساس بالملل، فمن الغريب حتى هذه اللحظة أني لم أفكر بجد في معنى الملل. تقف روحي اليوم في البرزخ حيث لا تفتنني الحياة ولا أي شيء آخر، ولأني لم أفعل هذا من قبل فقد قررت أن أحلل طبيعة الملل من خلال أفكاري الانطباعية، رغم أن أي تحليل سأصل إليه سيكون بطبيعة الحال زائفا.

لا أعرف إن كان الملل هو المكافئ اليقظ لغيبوبة المتشردين النائمة، أو أنه شيء ما أكثر نبلا. من خلال تجربتي الشخصية يظهر الملل تكرارا بشكل

لا يمكن التنبؤ به ولا يتبع نمطا ثابتا. يمكنني أن أقضي يوما واحدا كاملا في كسل دون أن أشعر بالملل، أو يمكن أن يخيم عليّ فجأة مثل غيمة في السماء في منتصف انهماكي في العمل. على حد علمي، لا يرتبط الملل بحالتي سواء كنت بصحة جيدة أم لا، ولا يمكن أن تظهر نتيجة مشاكل تسكن في نفسي المرئية المادية.

أكون مثل الطفل الذي يلون الشكل الخارجي لصورة فيطمسها، لكنها بالنسبة لي ليس أكثر من ضجيج لكلمات يتردد صداها في قبو العقل، عندما نقول أن القلق الغيبي متنكر، أو أنه الاسم المستعار للتحرر الذكي من الوهم، أو أنه الشعر الصامت لروح ملولة تجلس بجانب نافذة التي تطل علي الحياة ـــ أن نقول هذا أو شيء مشابه فنحن بهذا نعطي الملل لونا آخر.

الملل... هو أن تفكر بدون تفكير، لكن مع الشعور بإرهاق التفكير؛ أن تشعر بدون شعور، لكن مع الشعور بقلق المشاعر؛ أن تنأي بنفسك دون أن تفعل، لكن مع الشعور بالغثيان الذي يجعلك تفعل ـ كل هذا يمكن أن يكون شكل من أشكال الملل لكنه ليس الملل نفسه، لكنها في أفضل الحالات مجرد إعادة صياغة أو ترجمه له. بالنسبة لمشاعرنا الحالية، يبدو الأمر كما لو أن الجسر المتحرك الموجود فوق الخندق الذي يحيط بقلعة روحنا قد ارتفع، وبهذا يمكننا فقط أن ننظر إلي الأراضي المحيطة بالقلعة، دون أن نكون قادرين علي أن نطأها بأقدامنا حتى. هناك شيئ ما بداخلنا يعزلنا عن أنفسنا، ويكون هذا الجزء المنعزل عنا راكدا مثلنا تماما، مثل مجرى مائي قذر يحيط بعزلتنا الذاتية.

الملل... هو أن تعاني دون معاناة، أن تريد دون رغبة، أن تفكر دون منطق... إنه يشبه الوقوع تحت تأثير روح شريرة، أن يكون مسحورا بلا شيء علي الإطلاق. يمكن للسحرة والساحرات أن يصنعوا صورا لنا وإخضاعها لأنواع من العذاب، فيمكنهم أن يتسببوا في انعكاس هذه العذابات عن

طريق التحول الفلكي. بترجمة هذه الصورة، يمكنني أن أقول أن الملل الذي أشعر به يشبه الانعكاسات الشيطانية للأعمال السحرية للروح الشريرة التي تنطبق لا علي صورتي وإنما علي ظلها. علي ظل روحي الداخلي، علي الجزء الخارجي من روحي الداخلية، حيث تلصق الأوراق والإبر. أشبه الرجل الذي باع ظله،* أو، بمعني أصح، أنا الظل الذي بيع.

الملل... أنا أعمل بجد. أنا أنجز ما قد يطلق عليه أساتذة الأخلاق واجبي الاجتماعي. أنا أنجز هذا الواجب، أو القدر، بدون الكثير من الجهد و أيضا بدون عجز كبير، ولكن أحيانا تغرق روحي في لحظة قصور ذاتي مريرة في منتصف وقت العمل، أو في منتصف فترة راحتي التي يقول عنها نفس الأخلاقيين أنها من حقي و يجب علي الاستمتاع بها، فأشعر بالتعب لا من العمل ولا من الراحة، ولكن من نفسي.

لماذا من نفسي، إذا لم أكن أفكر في نفسي؟ من أي شيء آخر، إذا كنت لا أفكر في أي شيء؟ غموض الكون الذي هبط علي في فترة عملي أو في فترة راحتي؟ لماذا أعظم من قدر لست واثقا من هويته حتى؟ إنه شعور بالخواء، إنه الجوع دون شهية، إنه في نبل الشعور الذي نشعر به في دماغنا ومعدتنا المادية عندما نسرف في التدخين أو نصاب بعسر هضم.

الملل... لنتعمق أكثر، ربما هو سخط الروح؛ لأننا لم نعطيها عقيدة، خيبة الأمل التي يشعر بها طفل حزين (وهو ما نحن عليه في داخلنا) لأننا لم نشتري له اللعبة المقدسة. ربما هو عدم الاطمئنان الذي يشعر به شخص بحاجة إلي يد المساعدة وهو على الطريق المظلم للمشاعر العويصة حيث لا يشعر بأي شيء أكثر من الظلام الصامت الذي يسببه عدم قدرتنا علي التفكير، والطريق الخالي الذي يسببه عدم قدرتنا علي الشعور...

الملل... أولئك الذين لديهم آلهة لا يشعرون بالملل. الملل يعني عدم وجود الأساطير. حتى الشك يبدو مستحيلا بالنسبة للأشخاص الذين لا عقائد لهم، حتى مذهبهم الشكوكي يفتقد القوة للجدال. نعم، الملل هو افتقاد الروح لقدرتها علي خداع نفسها، إنه افتقاد العقل لسلم لا وجود له يمكنه من خلاله أن يصعد بثبات نحو الحقيقة.

إنني أعرف، بالقياس، ما هو الشعور بالامتلاء. أعرفه عن طريق أحاسيسي لا عن طريق معدتي. هناك أيام تبالغ فيها أحاسيسي في الأكل فيصبح جسمي ثقيلا، وتصبح إيماءاتي سخيفة، وأشعر أن جسمي لا تتحرك فيه عضلة واحدة.

في هذه الأوقات، التي تشبه الشوكة في الظهر، يبدو أن جزء ضئيل من خيالاتي المتلاشية ينبثق دائما من حالات سكوني المتواصلة، فأضع خططا مبنية علي الجهل، وأبني صروحا أساسها الفرضيات الجديلة، وأكون منبهرا بما لم يوجد أبدا.

في هذه الأوقات الغريبة، تكون معنوياتي بالإضافة إلي حياتي المادية مجرد ملحقات لما أنا عليه. لقد نسيت ليس فقط نظرية الواجب، ولكن فكرة الوجود أيضا، وشعرت بتعب جسدي من الكون بأسره. لقد قضيت علي ما أعرفه وما حلمت به عن طريق النوم بقوة جعلت عيناني تتألمان. أجل، لقد عرف في هذه الأوقات عن نفسي أكثر من أي وقت مضي، إنني كل غفوة ينامها كل معدم يرقد تحت الأشجار في عالم العدم.

تغويني فكرة السفر كما لو كانت شخصا آخر، كما لو أنها الفكرة المثالية لإغواء شخص ما ليس أنا. كل المشاهد الواسعة لهذا العالم تتعارض مع خيالي المتيقظ مثل الملل النابض بالحياة؛ حيث تتبعت رغبتي مثل شخص تعب من الإيماءات، كما يقضي الملل المسبق للمناظر الثابتة علي زهرة قلبي

الواهن مثل الرياح القاسية.

ما ينطبق علي الرحلات، ينطبق علي الكتب، وما ينطبق علي الكتب، ينطبق علي كل شيء آخر... أحلم بحياة واسعة المعرفة يجتمع فيها بهدوء كل القدماء والمحدثين، حياة يمكنني فيها أن أجدد مشاعري عن طريق مشاعر الآخرين، وأملأ نفسي بأفكار متناقضة تعتمد علي التناقضات بين المتأملين وأولئك الذين يفكرون (وهم الغالبية العظمي من الكتاب)، لكن فكرة القراءة تلاشت تماما بمجرد أن التقطت كتابا، فعل القراءة المادي قضي تماما علي الرغبة في القراءة. وبنفس الطريقة، فإن فكرة السفر تتلاشى بمجرد أن أقترب من محطة سفر أو ميناء للرحيل. ثم عدت إلي أكثر شيئين عديمي القيمة- مثلي تماما- إنني متأكد منهما: حياتي اليومية كعابر سبيل مجهول، وأحلامي الأرقة المتيقظة.

إن ما ينطبق على الكتب، ينطبق على أي شيء آخر... بمجرد أن يظهر شيء ما يمكن أن يقطع موكب أيامي الصامت، أرفع عيني وبهما رفض كئيب للفتاة البائسة التي تنتمي إليّ والتي كان من الممكن أن تكون فاتنة لو أنها فقط تعلمت الغناء.

عندما جئت إلي لشبونة للمرة الأولي، اعتدت أن أسمع، من الشقة التي تعلو شقتنا، صوت السلم الموسيقي يعزف علي بيانو، صوت العزف الرتيب لفتاة لم أراها أبدا في الواقع. اليوم أدركت أن هذا العزف مازال مستمرا في أعماق روحي وقد تسلل إليها عن طريق بعض الطرق الغامضة، فأسمعه بوضوح إذا انفتح الباب السفلي، يُعزف مرارا وتكرارا بواسطة الفتاة التي أصبحت الآن شخص آخر ربما امرأة ناضجة أو ماتت ودفنت في مكان أبيض حيث ترفرف حوله أشجار السرو المخضرة بحزن.

لم أعد ذلك الطفل الذي كنته حينئذ، ولكن صوت العزف مازال موجودا في ذاكرتي كما كان في الحقيقة؛ لذلك كلما استيقظ من المكان الذي يتظاهر بالنوم فيه، يكون له نفس حركات الأصابع البطيئة، والإيقاع الرتيب. عندما أشعر أو أفكر به، يغمرني حزن غامض وقلق.

إنني لا أنعي طفولتي الضائعة، أنا أنتحب لأن كل شيء آخر، بما فيه طفولتي (أنا)، قد ضاع. لا أعني هنا ما يمر بواقعية من أيامي، ولكن الوقت الذي يمضي بشكل مجرد هو ما يعذب عقلي الفيزيائي بالإضافة إلي التكرار القاسي لأصوات البيانو القادمة من الأعلى، غامضة جدا وبعيدة جدا. إنه السر العظيم لكل شيء لا يدوم والذي يطرق باستمرار أشياء ليست موسيقي فعلا، لكنها مجرد حنين لما في أعماق الذاكرة البعيدة.

استحضرت في ذهني، بدون إدراك، صورة لغرفة معيشة لم أرها أبدا، حيث تجلس تلميذة لم أقابلها أبدا مازالت تعزف حتى اليوم، الإصبع تلو الإصبع بحذر، الموسيقي المتطابقة الأبدية لما هو ميت بالفعل. أري، أري أكثر وأكثر، أعيد بناء نفسي من جديد بما أراه، وقد تكون بشكل زائف عن طريق تأملاتي غير الواثقة أثاث الشقة العلوية، والتي أشعر بالحنين إليها اليوم كما لم أشعر بالأمس.

مع ذلك فقد شككت أن كل هذا ينتمي لشخص آخر، أن الحنين الذي أشعر به لا يخصني في الواقع وليس مجردا في الواقع، ولكنها مشاعر اعترض سبيلها طرف ثالث غير معروف الهوية، هو من تنتمي له هذه المشاعر التي تكون ــ كما يمكن أن يقول فيرا Vieira* ــ مشاعر حرفية بينما هي في داخلي أدبية. المشاعر الحدسية هي ما يحزنني ويعذبني، وأما الحنين الذي يجعل عيني تفيض بالدمع، فأراه وأشعر به عن طريق الخيال والتصور.
بكل القسوة التي تأتي من أعماق العالم، مع استمرار العزف على المفاتيح بغموض، يستمر عزف طالبة البيانو مرارا وتكرارا، لأعلي ولأسفل العمود

الفقري المادي لذاكرتي. إنها الشوارع القديمة وأشخاص آخرون، الشوارع نفسها التي أصبحت اليوم مختلفة، إنهم الأشخاص الميتون يتحدثون إليّ عن طريق شفافية غيابهم، إنها الندم علي ما فعلته أو ما لم أفعله، إنها موجات الأنهار في المساء، الضوضاء القادمة من الأسفل في البناية الهادئة.

أشعر بالصرخات داخل عقلي. أريد أن أوقف وأكسر وأحطم آلة تسجيل الأصوات البغيضة التي تستمر بعزف عذاب غير ملموس داخلي، حيث لا تنتمي. أريد من روحي، التي تشبه عربة استعارها آخرون، أن تتركني وتمضي بدوني. أصاب بالجنون لأني مضطر إلي سماع هذا. وفي النهاية، داخل عقلي سريع التأثر البغيض، في جلدي الرقيق، وفي أعصابي مفرطة الحساسية، أكون أنا المفاتيح الموجودة في المعزوفة، يا له من بيانو مريع وشخصي لذاكرتنا. ودائما، دائما، كأنما في جزء من عقلي قد أصبح مستقلا، يستمر العزف ويستمر ويستمر، فوقي وتحتي، في أول بناية سكنتها عندما جئت إلي لشبونة.

إنه الموت الأخير لكابتن نيمو. وقريبا سأموت أنا أيضا. في هذه اللحظة سلبت من روحي كل قدرة علي التحمل.

تعتبر حاسة الشم طريقة غريبة للرؤية. فهي تستدعي مشاهد عاطفية، يرسمها جميعا اللاوعي فجأة. لقد مررت بهذه التجربة كثيرا. أسير في الشارع. فلا أري شيئا، أو بمعني أصح، أري ما يراه كل شخص آخر. أعرف أني أسير في الشارع ولا أعرف أنه يوجد للشارع جانبان يتألفان من المباني مختلفة الأشكال التي بناها البشر. أسير في الشارع. رائحة الخبز في المخبز ورائحته الحلوة تصيبني بالغثيان، فتستيقظ طفولتي في مكان بعيد، ويظهر مخبز آخر في هذه الأرض الخيالية حيث يوجد كل شيء آخر كنا نملكه ورحل. أسير في الشارع. وفجأة أشم رائحة الفاكهة علي الرف المائل في دكان بائع الخضر، فأري معها حياتي القصيرة في الريف _لا أذكر متى ولا أين_

وأشجارها الممتدة في الخلفية والسلام الموجود فيما يمكن أن أسميه هو فقط بقلب طفولتي. أسير في الشارع. وعلي نحو غير متوقع أجدني أفقد توازني مع رائحة الصناديق الخشبية من المكان الذي تصنع فيه: عزيزي كيساريو Cesário !*[1] لقد ظهرت أمامي فشعرت أخيرا بالسعادة، لأني قد عدت بذاكرتي إلي الحقيقة الوحيدة وهي الأدب.

حررنا الفن، عن طرق الوهم، من قذارة وجودنا. عندما نشعر بالأخطاء والعذابات التي يعانيها هاملت أمير الدنمرك، فنحن لا نشعر بأخطائنا ومعاناتنا، التي هي كريهة لأنها خاصة بنا وكريهة لأنها كريهة.

الحب، النوم، العقاقير، والمسكرات تعتبر كلها أشكال أولية للفن، أو بالأحرى، هي وسائل لإحداث نفس التأثير الذي يحدثه الفن. ولكن مع الحب، والنوم، والعقاقير تأتي علينا لحظات نتحرر فيها من الوهم. يسبب الحب القلق أو خيبة الأمل. أما النوم فإننا نستيقظ منه، وعندما نكون نيام فنحن لا نعيش. وندفع في مقابل العقاقير تدمير أجسامنا التي تسعي العقاقير إلي إثارتها، ولكن في الفن لا يوجد تحرر من الوهم؛ لأن الوهم مقبول من البداية. لا يستيقظ المرء من الفن؛ لأننا نحلم، لكننا لا ننام فيه. كما أننا لا ندفع ضريبة أو غرامة مقابل استمتاعنا بالفن.

إن المتعة التي نحصل عليها من الفن تكون عن طريق شعور لا يخصنا؛ لذلك لا يجب علينا أن ندفع مقابل الحصول عليه ولا أن نندم عليه فيما بعد.

وأعني بالفن كل شيء يبهجنا دون أن يكون خاص بنا، بمعني الأثر الذي يبقي من كل شيء يمر، أو ابتسامة موجهة لخص آخر، أو غروب الشمس،

١- واحدة من أكبر المآسي في حياتي أنني بالفعل قد قرأت رواية أوراق بيكويك The Pickwick Papers. (لا يمكنني أن أعود بالزمن لأقرأها للمرة الأولى.)

أو قصيدة، أو العالم الخارجي.

أن تمتلك معناه أن تخسر. أن تشعر بدون أن تمتلك معناه أن تصون أو تحمي؛ لأنه يعني أن تستخلص من جوهر الأشياء؛ فما هو جدير بالمعرفة ليس الحب نفسه، ولكن ما يحيط به...

إن قمع الحب يلقي الضوء علي طبيعته أكثر مما يفعل ممارسة الحب بالفعل. الطهر يمكن أن يكون المفتاح لمعرفة أعمق. أن تمتلك معناه أن تُمتلك، وبالتالي أن تخسر نفسك. الفكرة وحدها تستطيع أن تسبر غور الحقيقة دون أن تنهار.

***

المسيح هو إحدى صور العاطفة

في معبد الآلهة يوجد غرفة لكل الأرباب التي تشترك في إقصاء بعضها البعض؛ حيث لكل واحد منهم عرشه ونفوذه. يمكن لكل واحد منهم أن يكون كل شيء، حيث لا توجد أي حدود هنا أو هناك، ولا حتى المنطقية منها، كما يتيح لنا تجمع العديد من الخالدين أن نستمتع بالتعايش بين أنواع السرمدية المختلفة وأنواع الخلود المتنوعة.

لا شيء مؤكد في التاريخ. فتوجد فترات من النظام حيث يكون كل شيء وضيعا، وفترات من الفوضى حيث يكون كل شيء نبيلا. تزخر العصور المنحطة بالحيوية الروحية، بينما تزخر العصور العظيمة بالخمول العقلي. كل شيء مختلط ومشوش، وتوجد الحقيقة فقط بقدر ما هي مفترضة.

لقد دُفنت الكثير من الأفكار النبيلة تحت أكوام من الروث، وذهبت الكثير من الرغبات المخلصة مع السيل!

إن الأرباب والرجال يتساوون جميعهم عندي في الارتباك العنيف نتيجة القدر غير المتوقع. أراهم في أحلامي يسيرون في تلك الغرفة الغامضة في

الطابق الرابع، وهم لا يعنون بالنسبة لي أكثر ما يعنونه بالنسبة لمن آمنوا بهم من قبل. فتجد الأصنام الأفريقية الخبيثة واسعة العيون، والآلهة من الحيوانات الموجودة في الأراضي البدائية، والرموز المصرية المجسدة، والآلهة الإغريقية الملهمة، والأرباب الرومانية القاسية، مثراس إله النور والعاطفة، يسوع إله الخير؛ كلها أشكال متعددة ومتنوعة من نفس الإله، أرباب مقدسة جديدة للمدن الجديدة، تتحد جميعها لتكون المسيرة الجنائزية، سواء كانت رحلة حج أو دفن، من الخطأ والوهم. يسيرون جميعهم وتسير خلفهم الأحلام التي هي مجرد ظلال فارغة تسقط علي الأرض، ولكن أسوأ ما يفترضه الحالمون مغروس هناك بقوة: وهي المفاهيم المثيرة للشفقة التي لا جسد لها ولا روح ـ الحرية، والإنسانية، والسعادة، والمستقبل الأفضل، والعلم الاجتماعي ـ تمضي قدما في الظلام المهيب مثل أوراق الشجر التي يجرها ذيل ثوب ملكي سرقه الشحاذون.

وقع الثائرون في خطأ جسيم وخطير عندما ميزوا بين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة، بين صفوة المجتمع وعامة الناس، بين الحاكمين والمحكومين. الفرق الوحيد يقع بين أولئك الذين تكيفوا وأولئك الذين لم يستطيعوا التكييف؛ والبقية يمثلون الأدب، الأدب السيئ. يمكن للشحاذ إذا تكييف أن يصبح ملكا، ولكنه إن فعل ذلك سيفقد فضيلة الشحاذة. سيعبر الحدود، فيفقد استقلاليته.

إن هذه الأفكار تسليني في هذا المكتب الضيق الذي تطل نوافذه المتسخة علي شارع كئيب. هذه الأفكار تسليني، وبصحبتي رفاقي الذين شكلوا وعي هذا العالم ـ الكاتب المسرحي المتهور ويليام شكسبير، جون ميلتون المعلم، دانتي أليجيري المتسكع، إن كان مسموح بالإشارة إليه، الرب يسوع، الذي لم يكن أي شيء في هذا العالم، حيث ارتاب التاريخ في وجوده. طبقة خختلفة تماما من الرجال تتكون من الرجال أمثال مستشار الحكومة Jo-hann Wolfgang von Goethe، السيناتور فيكتور هوجو، رئيس الحكومة

"لينين"، ورئيس الحكومة "موسوليني"...

نحن الذين نقبع في الظلام، مثل عامل التوصيل والحلاق، نحن من نشكل الإنسانية. يوجد في هذا الجانب الملوك ذوي النفوذ، والأباطرة ذوي المجد، والعباقرة ذوي العبير، القديسين ذوي الهالات المقدسة، والقادة ذوي السيادة، والعاهرات، والأنبياء، والأغنياء... ونوجد في الجانب الآخر ـ عامل التوصيل في الزاوية، والكاتب المسرحي المتهور ويليام شكسبير، والحلاق مع نكاته، والمدرس جون ميلتون، العامل في الدكان، دانتي أليجيري المتسكع، أولئك الذين ننسي موتهم أو نقدسه بينما ننسي حياتهم بدون اعتبار لها.

تبدأ داخلنا حكومة العالم. ليس الصادق هو من يحكم العالم، ولا المنافق أيضا؛ إنهم أولئك الذين يخلقون داخلهم صدق حقيقي بوسائل اصطناعية وذاتية. هذا الصدق هو ما يجعلهم أقوياء، كما أنه يتفوق علي صدق الآخرين الأقل زيفا. المطلب الأول الأساسي ليكون المرء رجل دولة هو أن يكون خبيرا في خداع نفسه. فقط الشعراء والفلاسفة يرون العالم كما هو في الحقيقة؛ لأنهم الوحيدون الذين يستطيعون الحياة دون أوهام. ولكي تري بوضوح معناه فعليك ألا تتظاهر.

يعتبر التعبير الرأي قلة تهذيب، حتى عندما يكون نفاقا. تعتبر كل لحظة نفاق صعبة. لا توجد عقول متحررة صادقة. ولهذا السبب لا توجد عقول متحررة.

هناك حيث كل شيء ضعيف، غامض، ولا مبرر له. رأيت هناك مظاهرا عظيمة للشفقة التي بدت أنها تكشف عن أعماق أرواح تشعر بحزن مأساوي، ولكني اكتشفت أن هذه المظاهر لم تدم أكثر من اللحظات التي قيلت فيها، كما لاحظت ـ عادة ألاحظ هذا مع فهمي للصمت ـ أن هذه المظاهر بدأت من شيء ما مشابه للشفقة، ضاع بسرعة كما لاحظته بسرعة،

أو بمعني آخر، إنه بدأ كخمر علي مائدة أرواح حانية. لطالما كان هناك دائما علاقة مباشرة بين المشاعر الخيرة المعبر عنها وبين كمية الخمر المستهلكة، وكم من إيماءة عظيمة عانت من كأس مليئة أو من ظمأ للإطناب.

كل هؤلاء الأفراد قد باعوا أرواحهم لشيطان من قاع الجحيم، شيطان يتوق إلي القذارة والتفاهة. إنهم يعيشون حياة السكارى الخاوية الكسولة، ويموتون ببطء علي وسائد الكلمات، وفي مستنقع من العقارب التي يكون سمها مجرد هراء.

أكثر الأشياء الغريبة الخاصة بكل هؤلاء الرجال هو افتقادهم الكامل والتام للأهمية، بكل ما تحمله الكلمة من معان. البعض كتب للصحف الرئيسية ونجح في ألا يوجد. والبعض الآخر ظهر بشهرة في السجلات المهنية ونجح في ألا يفعل أي شيء في الحياة. وآخرون كانوا شعراء بهدف الشهرة، ولكن نفس الغبار المليء بالرماد غطي علي وجوههم الحمقاء، وكانوا جميعا مقبرة لأشخاص محنطين، يجلسون واضعين أيديهم علي أردافهم كما لو كانوا أحياء.

خلال هذا الوقت القصير الذي أمضيته راكدا في منفي المهارة الذهنية، استرجعت ذكري بعض اللحظات القليلة الطيبة والممتعة بحق، بالإضافة إلي ذكرى الكثير من اللحظات السخيفة والتعيسة، ذكرى بعض الأشخاص برزت من العدم، ذكرى بعض الإشارات الموجهة لنادلة ما صادف أن تكون في وقت عملها ــ باختصار ملل جسماني مثير للغثيان وذكرى لنكتة مضحكة أو اثنتين. يوجد عدد قليل من المسنين مع نكاتهم العتيقة يغتابون مثل الآخرين ونفس الأشخاص.

لم أشعر يوما بمثل هذا التعاطف تجاه الشخصيات غير المهمة في الشهرة العامة كما شعرت به عندما رأيتهم يحطون من قدرهم بوجود هؤلاء

الأشخاص غير المهمين الذين يحسدونهم علي شهرتهم الرائعة. لقد فهمت لماذا المنبوذون من المجد ينتصرون؛ لأنهم ينتصرون فيما يتعلق بهؤلاء الرجال وليس فيما يتعلق بالإنسانية.

إن الشياطين المساكين بجوعهم الذي لا يشبع، سواء كان جوع للطعام، جوع للشهرة، أو الجوع لمتع الحياة، أي شخص قد يسمعهم للمرة الأولى سيتخيل أنه يستمع إلي مرشدي نابليون أو معلمي شكسبير.

البعض ينتصر في الحب، والبعض ينتصر في السياسة، والبعض ينتصر في الفن. يمكنن للمجموعة الأولى أن تكتب قصة؛ لأنه يمكن أن يكون المرء ناجحا جدا في الحب بدون أن يكون هناك معرفة عامة بما حدث. بالطبع، عند سماع أحد الرجال يعدد مبارياته الجنسية، تبدأ شكوكنا ربما بعد الانتصار السابع. هؤلاء الذين يغرمون بالسيدات الارستقراطيات أو المشهورات، ويبدو أن هذه هي الحال في كل الحالات تقريبا، ينهبون العديد من الكونتيسات حتى أن صحيفة انتصاراتهم يمكن أن تحطم وقار وهدوء الجدات الارستقراطيات للنساء الصغيرات النبيلات.

يتخصص البعض في الصراع الجسدي، مثل قتل أبطال الملاكمة في أوروبا في حالة مرح صاخب ليلي في زاوية شارع شيادو Chiado*. البعض لديهم تأثير علي كل الوزراء في كل الوزارات، وهؤلاء هم الأشخاص التي تكون مطالبهم علي الأقل مقبولة.

البعض هم ساديون مرعبون، وهناك آخرون لوطيون متأصلون، ومازال آخرون يعترفون بصوت عال حزين أنهم يتعاملون بوحشية مع النساء، حيث تعاملوا معهم طوال حياتهم بالسوط. هؤلاء يتركون دائما شخصا آخرا يدفع ثمن قهوتهم.

البعض هم شعراء

لا أعرف ترياقا لهذا السيل من الظلال أفضل من المعرفة المباشرة بالحياة الإنسانية العادية ــ في طبيعتها التجارية علي سبيل المثال كما هو معروض في شارع "روا دوس دورادورس". تعودت أن أعود من بيت الدمى المجنون هذا براحة إلي الوجود الحقيقي للمشرف عليّ موريرا يرتدي ملابسه بشكل سيء وغير متناسق، ولكن علي أي حال فهو رجل، هو شيء لم ينجح أي من هؤلاء الآخرين في الوصول إليه.

يعيش كثير من الرجال تلقائيا حياة خيالية غريبة. يقول أوسكار وايلد:" إن معظم الناس هم أشخاص آخرون."* وقد كان علي حق؛ فالبعض يقضي حياته سعيا وراء شيئا ما لا يريده، وآخرون يسعون وراء شيء ما يريدونه، لكنه غير نافع لهم؛ وهناك آخرون يفقدون أنفسهم، ولكن معظم الرجال يشعرون بالسعادة ويستمتعون بحياتهم بدون سبب. عادة لا ينتحب الرجل كثيرا، وعندما يشكو، فهذا هو الأدب الذي ينتجه.

إن التشاؤمية مذهب ليس قابلا للتطبيق كصيغة ديمقراطية. هؤلاء الذين ينتحبون علي محن الحياة يبقون في عزلة؛ فهم ينتحبون فقط علي محنهم الخاصة. ليس لليوباردي أو أندرو دي كينتال محبوبة؟ إذا فقد أصبح الكون عذابا. أيحب فيجني شخص غير مناسب؟ إذا فقد أصبح العالم سجنا. أيحلم تشاتبريند بالمستحيل؟ إذا فقد أصبحت الحياة الإنسانية مضجرة. هل الوظيفة مغطاة بالبثور؟ إذا فالأرض مغطاة بالبثور. يدوس الناس علي مسمار القدم لصديق حزين؟ وا حسرتاه علي قدميه، الشموس والنجوم!

تبقى الإنسانية غير مبالية لكل هذا، فتواصل الأكل والحب، تنتحب فقط على ما يستحق النحيب، ولأقصر مدة ممكنة، علي سبيل المثال، علي وفاة ابن قريبا ما ينسى إلا في يوم مولده، أو علي خسارة المال، والتي تسبب النحيب فقط حتى تظهر أموال أخرى أو حتى يعتاد المرء علي خسارته.

تستعيد إرادة الحياة نفسها وتستمر. الموتى يدفنون. وننسى خسارتنا. لقد رحل اليوم إلي مسقط رأسه، من الواضح أن هذا الرحيل للأبد. إنني أعني الشخص المعروف بساعي المكتب، الذي أعتبره أنا جزء من هذه الشركة الإنسانية، وبالتالي جزء مني ومن عالمي. لقد رحل اليوم. جرينا في الرواق بغير اتفاق نحو بعضنا البعض بسبب المفاجأة المتوقعة لوداعنا، أجاب عناقي له بخجل، وقد سيطرت علي نفسي بشكل كاف حتى لا أبكي، كما أرادت عيناي المتقدة داخل قلبي ــ رغما عني ــ أن تفعل.

أيا كان ما بيننا فقد أصبح جزء منا؛ لأنه يخصنا، حتى وإن كان مجرد وجود عرضي في روتين حياتنا اليومية أو فيما نراه. الرجل الذي غادر اليوم إلي بلدة في "جاليسيان" لم أسمع عنها أبدا لم يكن بالنسبة لي هو ساعي المكتب؛ وإنما جزء حيوي من جوهر حياتي؛ لأنه مرئي ولأنه إنسان. لقد شعرت اليوم بالتضاؤل. لم أعد أنا نفس الشخص. لقد رحل اليوم ساعي المكتب.

كل شيء يحدث في المكان الذي نعيش فيه يحدث داخلنا. كل شيء ينقطع عما نراه ينقطع عنا. كل شيء حدث، إذا رأيناه عندما يحدث، فهو يؤخذ منا عندما يرحل. لقد رحل اليوم ساعي المكتب.

لقد أصبحت أكثر إرهاقا، أكبر سنا، وأقل رغبة في الحياة. جلست إلي المكتب المرتفع أواصل عملي من النقطة التي توقفت عندها أمس، ولكن مأساة اليوم الغامضة قاطعت عملية مسك الدفاتر الأوتوماتيكية، حيث حركت أفكارا سيطرت عليها بالقوة. كانت الطريقة الوحيدة لمواصلة العمل هي القصور الذاتي الفعلي، وكأنني خادمي الخاص. لقد رحل اليوم ساعي المكتب.

أجل، غدا أو في أي يوم آخر، أو عندما يدق الجرس معلنا وفاتي أو رحيلي، سأكون أنا أيضا شخص لم يعد موجودا بعد الآن، مثل آلة نسخ قديمة تحمل

بعيدا لتوضع في الخزانة أسفل الدرج. أجل، غدا أو عندما يقرر القدر، ستأتي نهاية الشخص الموجود داخلي الذي يتظاهر أنه أنا. هل سأذهب إلي مسقط رأسي؟ لا أعرف إلي أين سأذهب. مأساة اليوم ظاهرة لأنها تعبر عن غياب، جديرة بالاهتمام لأنها لا تستحق الاهتمام. يا إلهي، يا إلهي، لقد رحل اليوم ساعي المكتب!

أيتها الليلة التي تدعي فيها النجوم الضياء، أيتها الليلة التي تبقى وحيدة في الكون المتسع، اجعليني، بجسدي وروحي، جزء من جسدك، حتى يمكنني ـ عندما أصبح مجرد ظلام ـ أن أفقد نفسي وأصبح ليلة أنا كذلك، دون أي أحلام تلمع داخلي كالنجوم، ولا أي شمس آمل أن تشرق في المستقبل.

في البداية، بدا وكأنه صوت يصنع صوتا آخر، في الفراغ الليلي للأشياء. ثم أصبح عواء خفيض يصاحبه صوت صرير لافتات الشارع المتأرجحة. بعد ذلك أصبح صوت الفراغ صرخة، ثم زئيرا، كان كل شيء يرتجف، لا شيء يتحرك، ثم كان الصمت خوفا من كل هذا، مثل فزع صامت رأي فزعا آخر عندما مر الفزع الأول.

ثم كان لا شيء سوي الرياح، فقط الرياح، ثم لاحظتُ وأنا نائم كيف اهتزت الأبواب في إطاراتها، وكيف قاوم الزجاج في النوافذ الرياح بصوت عالٍ.

إنني لم أنم. لقد تبادلت وجودي. استمرت بعض اللمحات الضئيلة من الوعي. شعرتُ بثقل النوم لكني لم أغب عن الوعي. إنني لم أوجد. الرياح... لقد استيقظت ثم عدت مرة أخرى إلي النوم رغم أني لم أكن قد نمت. هناك خلفية لصوت عالٍ وغامض أشعر معه أني غريب عن نفسي. ابتهجت بحذر بسبب إمكانية النوم. لقد نمت بالفعل، ولكني لا أعرف إن كنت نائما. فيما بدا لي أن هناك نوم دائم وصوت لنهاية كل شيء، صوت الرياح في الظلام،

وإذا استمعت بدقة، إنه صوت رئتي وقلبي.

بعد أن تلاشت آخر النجوم في السماء صباحا وصارت لا شيء، وأصبح النسيم أقل برودة في الضوء الأصفر المحمر الذي يسقط علي العديد من السحب المنخفضة، نجحت أخيرا في سحب جسمي ـ المنهك دون سبب ـ من السرير الذي تأملت فيه الكون في حالة أرق.

مشيتُ إلي النافذة بعينين متقدتين؛ لأنهما بقيتا مفتوحتين طوال الليل. انعكس الضوء الذي يسقط على الأسطح المزدحمة ملقيا ظلالا متنوعة ذات لون أصفر باهت. تأملت في كل شيء بغباء رائع جراء عدم النوم. بدا اللون الأصفر باهتا وضئيلا مقارنة بالظلال الضخمة للمباني الطويلة. بعيدا ناحية الغرب، حيث أنظر، بدا الأفق بلون أبيض مخضر.

إنني أعلم أن هذا اليوم سيحزنني تماما عندما لا أستطيع أن أفهم شيئا. أعلم أن كل شيء سأفعله اليوم سيتأثر ليس بالنوم الذي لم أحصل عليه، ولكن بالأرق الذي حصلتُ عليه. أعرف أن كياني سيشعر بأنه يسير وهو نائم أكثر من المعتاد، ليس فقط لأني لم أنم، ولكني لأني لم أستطع النوم.

هناك أيام تكون بمثابة فلسفات، أيام تقدم تفسيرات للحياة، أيام تكون بمثابة حواشٍ هامشية ـ مليئة بالملاحظات النقدية ـ الموجودة في كتاب قدرنا الكوني. هذا اليوم يبدو واحدا من هذه الأيام. لدي انطباع مضحك أن عيني المرهقة وعقلي الفارغ هما من يكتبان حروف تفسيري العميق الذي لا قيمة له مثل قلم رصاص تافه.

الحرية هي إمكانية البقاء في عزلة. أنت حر إذا استطعت الاستغناء عن الناس، إذا لم تكن بحاجة إلي اللجوء إليهم من أجل المال، والصحبة، والحب، والشهرة، أو الفضول، وهي أشياء لا تزدهر في الصمت أو الوحدة. إذا لم

تستطع العيش وحيدا، فقد ولدت عبدا. يمكنك أن تحصل علي كل امتيازات العقل والروح، وفي هذه الحالة ستكون عبدا متميزا، أو خادما ذكيا، ولكنك لست حرا. لا تستطيع أن توقف هذا الأمر باعتباره مأساتك الخاصة؛ لأن ولادتك هي مأساة القدر وحده. إنك سيء الحظ إذا كانت الحياة نفسها قد اضطهدتك لدرجة أنها أجبرتك علي أن تولد عبدا.

أن يولد المرء حرا لهي أعظم الامتيازات التي تجعل ناسكا متواضعا متفوقا على الملوك أو الأرباب، الذين يكتفون بذاتهم عن طريق قوتهم لا عن طريق ازدرائها.

الموت هو الحرية؛ لأنك عندما تموت لا تكون بحاجة إلي أحد. عن طريق الموت يتحرر العبد الحقير بالقوة من متعه، من آلامه، من حياته الشهوانية المستمرة. يتحرر الملك من أملاكه التي لم يرد التخلي عنها. النساء اللاتي ينشرون الحب يتحررون من الانتصارات التي يقدرنها. يتحرر الرجال الذين يقومون بالفتوحات من انتصاراتهم التي قدرت حياتهم لها من قبل.

يعظم الموت من أجسادنا الحقيرة السخيفة ويلبسها ملابسا لم تعرفها من قبل. يحرر الموت المرء، حتى وإن لم يكن راغبا في الحرية. عندما يموت المرء لا يكون عبدا بعده، حتى وإن انتحب فقدان عبوديته. مثل الملك الذي يكون أعظم مجده هو لقبه الملكي والذي يمكن أن يكون كرجل مثير للسخرية، لكنه كملك متفوق، لذلك يمكن أن يتشوه المرء إلي أقصي حد عندما يموت لكنه مازال أرفع مقاما؛ لأن الموت قد حرره.

تعبت، فأغلقت مصراعي النافذة، ابتعدت عن العالم، فحصلت علي دقائق قليلة من الحرية. سأعود غدا مرة أخرى لأصبح عبدا، ولكن الآن وحيدا لا أحتاج أحدا، قلق فقط بخصوص بعض الأصوات أو الأشياء التي يمكن أن تزعجني، لدي حريتي القليلة، ودقائق تفوقي.

عدت لأجلس في كرسيّ، ناسيا الحياة التي تضطهدني. لاشيء يؤلمني ما عدا أني شعرت بالألم.

دعونا لا نلمس الحياة بأطراف أصابعنا.
دعونا لا نحب حتى في داخل عقولنا.
ربما لن نعرف شعور قبلة امرأة، ولا حتى في أحلامنا.

مثل حرفيين مهرة لكل ما هو مَرَضٍ، دعونا نتفوق في تعليم الآخرين كيف يتحررون من كل الأوهام. مثل مشاهدين للحياة، دعونا ننظر عبر كل الجدران، مع الإرهاق المسبق من معرفتنا أننا لن نري شيئا جديدا أو جميلا.

دعونا مثل ناسجي اليأس، ننسج الأكفان فقط ـ الأكفان البيضاء للأحلام التي لم نحلم بها أبدا، الأكفان السوداء للأيام التي متنا فيها، الأكفان الرمادية للأفكار التي حلمنا بها بالكاد، والأكفان الملكية البنفسجية لمشاعرنا عديمة القيمة.

فوق التلال، وفي الوديان، وعلي الشواطئ المستنقعات، هناك يوجد الصيادون الذين يصطادون الذئاب، والغزلان، والبط البري. دعونا نكرههم، ليس لأهم يقتلون، ولكن لأنهم يستمتعون بحياتهم (ونحن لا نفعل).

لتتكون تعبيرات وجوهنا من ابتسامة حزينة، مثل شخص علي وشك البكاء، ونظرة بعيدة، مثل شخص ما لا يريد أن يري، والازدراء في كل قسماتها، مثل شخص ما يزدري الحياة ويعيش فقط ليزدريها.

ليكون ازدرائنا لأولئك الذين يعملون ويكافحون، ولتكن كراهيتنا لأولئك الذين لديهم أمل وثقة.

إنني مقتنع تقريبا بأنني لم أكن أبدا مستيقظا. لست واثقا إذا لم أكن أحلم عندما أعيش، وأعيش عندما أحلم، أو لو كان الحلم والحياة بالنسبة لي أشياء متداخلة ومختلطة تشكل مجتمعة نفسي الواعية.

أحيانا أكون منغمسا في الحياة ولدي فكرة واضحة عن نفسي باعتباري الرجل القادم، عندها ينزعج عقلي بشعور غريب من الشك؛ بدأت أتساءل إن كنت موجود، ربما لست حلم شخص آخر. يمكنني أن أتخيل، بحيوية روحية، أنني ربما أكون شخصية في رواية، أتحرك في إطار الحقيقة التي شكلتها حكاية سردية معقدة، في موجات أسلوبها الطويلة.

لقد لاحظت مرارا أن بعض الشخصيات الخيالية لها وجود في حياتنا بطريقة لم يحققها الأصدقاء والمعارف الذين يتحدثون ويستمعون إلينا في الحياة المرئية الحقيقية. يجعلني هذا الأمر أتعجب مما إذا كان كل شيء في هذا العالم في نهايته ما هو إلا سلسلة مترابطة من الأحلام والروايات، مثل صناديق صغيرة داخل صناديق أكبر وهذه بدورها موجودة في صناديق أكبر، كل شيء هو قصة مكونة من مجموعة من القصص، مثل ألف ليلة و ليلة، التي تحدث في ليلة خيالية لا تنتهي أبدا.

إذا فكرت، يبدو كل شيء بالنسبة لي سخيفا؛ إذا شعرت، يبدو كل شيء غريب؛ إذا رغبت، شيء ما بداخلي هو ما يرغب. متى كان هناك فعل ما بداخلي، متأكد من أنني لست المسئول عنه. إذا حلمت، يبدو الأمر كما لو كنت أُكتَب. إذا شعرت، يبدو الأمر كما لو كنت أرسم. إذا رغبت، يبدو الأمر كما لو أني وضعت في عربة، مثل شحنة مطلوب توصيلها، وأنني أواصل التحرك متخيلا أنها حركاتي نحو غرض لا أريده حتى أصل إليه.

يا له من أمر مربك! من الأفضل بكثير أن ترى بدلا من أن تفكر، أن تقرأ بدلا من أن تكتب! ما أراه يمكن أن يخدعني، لكني لا أعتبره خاصا بي. ما

أقرأه قد يحزنني، لكني لست مضطرا إلي الإحساس بالندم لأني كتبته. كل شيء يكون مؤلما عندما نفكر فيه كمفكرين واعيين، كموجودات متأملة وصل وعيها إلي المرحلة التالية التي نعرف عندها أننا نعرف! علي الرغم من روعة هذا اليوم، إلا أنه لا يسعني إلا أن أفكر بهذه الطريقة. أفكر أم أشعر؟ أم نوع ثالث في هذه المرحلةsets in the back.؟ الملل من الغموض والفوضى، المراوح المغلقة، إرهاق الاضطرار للعيش...

إننا نمشي، مازلنا شبابا، تحت الأشجار الطويلة وحفيف الغابة الناعم. يصنع ضوء القمر البحرات من المناطق منزوعة الأشجار التي تمتد أمام أنظارنا بطول الطريق الذي يمتد بدون هدف، أما الشواطئ متشابكة الأغصان كانت أكثر ظلاما من الليل نفسه. يمر النسيم بين الغابات متنهدا بين الأشجار. تحدثنا عن الأشياء المستحيلة، وكانت أصواتنا جزء من الليل، والقمر والغابة. سمعنا أصواتنا كما لو كانت تنتمي لآخرين.

لم تكن الغابة المظلمة غامضة تماما. تحركت خطانا عبر دروب نعرفها بالفطرة، عبر الظلال المرقطة، وضوء القمر البارد القاسي. تحدثنا عن الأشياء المستحيلة، وكان المنظر الطبيعي بأكمله للحياة الحقيقية بنفس الاستحالة.

إننا نعبد الكمال؛ لأننا لا نستطيع الوصول إليه، إننا إن حصلنا عليه، عندها سوف ننبذه بعيدا. الكمال ليس بشريا؛ لأن البشرية ليست كاملة.

إننا نخفي كرها للفردوس. تشبه أمنياتنا تلك التي يملكها البائس الفقير الذي يأمل أن يجد الريف في الجنة. ليست السعادة المجردة أو المعجزات الخاصة بالكمال هي من يمكن أن يسحر الروح الشاعرة، ولكنها المنازل والتلال، الجزر الخضراء في البحار الزرقاء، الطرقات المشجرة، والساعات الهادئة التي نقضيها في مزارع أسلافنا، حتى وإن لم نكن قد حصلنا علي هذه الأشياء من قبل. إذا لم توجد أرض في الجنة، من الأفضل ألا توجد جنة.

من الأفضل أن يصبح كل شيء لا شيء وأن تصل الرواية التي لا حبكة لها إلي نهايتها.

حتى تصل إلي الكمال فهذا يتطلب فتور غريب، وعندها سوف تفقد القلب البشري الذي يجعلك تحب الكمال.

إننا نعبد في رهبة الباعث إلي الكمال عند الفنانين العظماء. نحب اقترابهم من الكمال، ولكننا نحبه لأنه مجرد اقتراب. يا لها من مأساة عندما لا نؤمن بالكمال البشري! ويا لها من مأساة عندما نؤمن به!

لو كنت أنا من كتب مسرحية "الملك لير"، لعذبني الندم لبقية حياتي. هذا لأن شهرة المسرحية المفرطة عظَّمتْ إلي حد كبير من عيوبها، عيوبها الرهيبة، وهي الأشياء الصغيرة جدا التي تقف بين المشاهد وبين إمكانية بلوغها الكمال. ليست هي الشمس التي تشوهها بعض البقع، لكنها تمثال إغريقي مكسور. كل ما يتعلق بهذا العمل مليء بالأخطاء، بوجهات النظر الخاطئة، الجهل، دلائل الذوق السيئ، مواطن الضعف، والأخطاء غير المقصودة. أن تكتب عملا أدبيا رائعا ضخما كافٍ ليكون عظيما وكاملا ليكون رفيع المستوي هي مهمة لم يملك أحد أبدا الحظ ولا القدرة المقدسة ليحققها. ما لا يمكن أن يتحقق من انفجار واحد يعاني من عدم الاتساق مع أرواحنا.

إن هذا التفكير جعل خيالي يغرق في حالة من الندم، والحقيقة المؤلمة أنني أبدا لن أتمكن من إنجاز شيء يكون جيدا ومفيدا للجمال. الطريقة الوحيدة لتحقق الكمال هو أن تكون إلها. جهودنا العظيمة تستغرق وقتا؛ هذا الوقت الذي تستغرقه يجد طريقه عبر مراحل متنوعة من أرواحنا، كل مرحلة من مراحل الروح تكون مختلفة عن غيرها، تلطخ شخصية العمل بهويتها الخاصة. كل ما يمكن أن نكون متأكدين منه ونحن نكتب هو أننا

نكتب بشكل سيء؛ حيث أن الأعمال العظيمة والكاملة هي فقط مل لم نحلم بالوصول إليه.

لتصغ إليَ بهدوء، وبأذن العطف. استمع بانتباه ثم أخبرني إن لم يكن الحلم أفضل من الحياة...

إن العمل الجاد لا يحقق الربح أبدا. المجهود لا يقود إلي أي مكان. فقط الامتناع هو الشيء المهيب والرائع؛ لأنه الوحيد الذي يدرك أن ما تحقق رديء، وأن العمل الذي ننتجه ما هو إلا ظل غريب للعمل الذي حلمنا به.

كم أحب أن أسجل، في كلمات تكتب علي ورق لتقرأ بصوت وعالٍ وتسمع، المحادثات التي تدور بين شخصيات المسرحيات التي أتخيلها! تسير الأحداث في هذه المسرحيات بلا عيوب والمحادثات خالية من العيوب، ولكن الكلمات الخيالية التي تصف الأحداث داخلي ليست بهذه الدقة حتى أستطيع أن أنقلها بشكل مادي، حتى جوهر هذه المحادثات ليس مكونا من كلمات حقيقة يمكنني أن أستمع إليها عن قرب وأنسخها علي الورق.

أحب بعض الشعراء الغنائيين علي وجه التحديد لأنهم ليسوا شعراء ملحميين أو مسرحيين؛ لأنهم يحملون بالفطرة الحكمة التي تجعلهم لا يريدون أكثر من التعبير عن اللحظات التي يشعرون أو يحلمون بها بقوة. ما يمكن أن يكتب دون وعي هو المقياس الدقيق للكمال الممكن تحقيقه. لا ترضيني أي مسرحية كتبها شكسبير مثلما تفعل واحدة من قصائد هايني. يتميز شعر بالكمال، بينما كل دراما شكسبير،أو أي شخص أخر، تكون غير كاملة. أن تكون قادرا علي إنشاء عمل كامل، معناه أن تؤلف شيء ما يشبه الجسم البشري في التوافق الكامل بين كل أجزاءه، ويكون نابض بالحياة، حياة تكون منسجمة ومتوافقة، حياة توحد السمات المتفرقة لأجزائه

المتنوعة!

أنت يا من تسمعني، لكنك بالكاد تصغي إليّ ليس لديك أي فكرة عن المأساة المتعلقة بهذا الأمر! أن تفقد الأب أو الأم، ألا تحقق أي مجد أو سعادة، ألا يكون لديك صديق ولا حبيب ــ كل هذا يمكن احتماله، ولكن ما لا يمكن تحمله هو أن تحلم بشيء جميل لا يمكن تحقيقه بالقول أو بالفعل.

عدت لأجلس في مكاني، فأصبحت أنتمي إلي هذه الحياة عن بعد، أمليت علي قصوري الذاتي بطلاقة الجمل التي لن أكتبها أبدا، ووصفت بوضوح في خيالي المناظر الطبيعية التي لن أصفها أبدا! صغت جملا كاملة بدون كلمة واحدة في غير موضعها. الحبكات الدرامية بتفاصيلها تدور داخل عقلي، أشعر في كل كلمة بالإيقاع الحرفي والموزون لقصائد عظيمة، وبحماس متفجر يتبعني كخادم خفي في الظلال، ولكن إن نهضت من الكرسي، حيث تراخت عليّ هذه الأحاسيس الحقيقية تقريبا، وذهبت لأجلس إلي المنضدة لأسجلهم، عندها تهرب الكلمات، و تموت الدراما، و يتلاشي الترابط الحيوي بين الهمهمات الإيقاعية، تاركة خلفها فقط لحظات حنين بعيدة، بقية ضئيلة من أشعة الشمس علي الجبال البعيدة، الرياح التي تحرك الأوراق في البرية، صلة قرابة لم يُكشف عنها أبدا، لحظات اللهو التي يستمتع بها الناس، المرأة التي نتوقع أن تستدير لتنظر إلينا لكنها أبدا لم توجد.

كل مشروع يمكن تخيله. يحكم الإلياذة التي ألفتها منطق إنشائي يربط بين قصائدها الغنائية بطريقة لم يكن هومر ليحققها أبدا. الكمال المحكم الذي حققته في شعري الذي لم اكتبه جعل دقة فيرجيل يبدو مهملا وقوة ميلتون غير محكمة. وقد تجاوزت قصصي الرمزية الساخرة كل ما كتبه سويفت في الدقة الرمزية بين أجزائها المترابطة بصرامة. كم من هوراس كنتهم!

كلما نهضت بعيدا عن الكرسي حيث لم أحلم بهذه الأشياء بشكل كامل، عندها أشعر بمأساة مزدوجة عندما أدرك أنها عديمة القيمة وأنها ليست حلما نقيا، وأن شيئا منها مازال عالقا على العتبة المجردة بين تفكيري وبين وجودهم.

لقد كنت عبقريا فيما هو أكثر من الحلم وأقل من الحياة. هذه هي مأساتي. لقد كنت مثل العداء الذي خاض السباق حتى سقط على الأرض قبل خط النهاية مباشرة.

لو كان في الفن منصب المحسن، عندها كانت هذه لتكون وظيفتي في الحياة، على الأقل في حياتي كفنان.

أن تبدأ بإبداع شخص آخر، وأن تعمل فقط علي تحسينه... ربما كُتبتْ الإلياذة بهذه الطريقة.

أي شيء سوي الحاجة إلي الصراع مع الإبداع الأصلي!

كم أحسد هؤلاء الذين يكتبون الروايات، هؤلاء الذين يبدءون الرواية ويكتبوها وينهونها! يمكنني أن أتخيل الرواية فصلا بعد فصل، أحيانا أتخيل الجمل الفعلية للحوارات والتفسير السردي فيما بينها، ولكنني غير قادر على تحويل هذه الأحلام إلى كلام مكتوب علي الورق.

كل شكل من أشكال الفعل زائف، من الحرب وحتى النقاش العقلي؛ وكل تنازل هو أيضا زائف. لو أني فقط أستطيع أن لا أفعل وألا أتنازل عن الفعل! سيكون هذا هو حلمي المتوج للمجد، وصولجان الصمت لعظمتي.

إنني لا أعاني. احتقر نفسي. الازدراء الذي اشعر به تجاه معاناة الآخرين أشعر به أيضا تجاه معاناتي الخاصة. وهكذا تتحطم كل معاناتي تحت أقدام

ازدرائي، ولكن هذا يجعلني أعاني أكثر؛ لأن تقدير الإنسان لمعاناته الخاصة يعطيها مظهرا جذابا مثل شمس الفخر. المعاناة الشديدة تعطي الشخص الذي يعاني الوهم بأنه الشخص المختار للألم. وهكذا.

***

فصل إضافي في الألم

مثل شخص تجفل عيناه بمجرد رؤية الشمس المشرقة الطبيعية عندما ترفعها بعد التحديق في الكتاب لفترة طويلة، هكذا، عندما رفعت عيني عن النظر إلي نفسي، آلمني وآذاني رؤية الوضوح الشديد والاستقلالية للعالم الخارجي، رؤية وجود الآخرين، لتنظيم الأجزاء وعلاقاتها في الفضاء.

لقد تعثرت قدماي عند الإحساس الحقيقي بالآخرين. العداء بين أرواحهم وروحي دفعني بقوة واعترض طريقي. انزلقت وتعثرت فوق وبين صوت كلماتهم الغريبة في أذنيّ، صوت أقدامهم القاسي والواضح علي الأرضية الحقيقية، حركاتهم الموجودة فعلا، طرقهم المتعددة والمعقدة ليكونوا أشخاص ليسوا إلا مجرد تنويع لشخصيتي أنا.

وبمجرد أن دفعت بنفسي بين هذه الأرواح، شعرت فجأة بالعجز والفراغ، كما لو كان يجب أن أموت، ولكني عشت، شعرت أني طيف متألم وباهت، يمكن لأول نسمة أن تطرحه أرضا وأن يحوله أول تواصل مادي إلي غبار. ثم تساءلت: هل يستحق الأمر الجهد الذي بذلته لعزل نفسي والسمو بها؟ هل يستحق الأمر تحويل حياتي إلي محنة طويلة ممتدة لأجل مجدي المصلوب؟ وحتى لو كان الأمر يستحق، إلا أني غرقت في هذه اللحظات في الإحساس بأنه لم يكن يستحق وأنه لن يستحق أبدا.

النقود، الأطفال، لحظات الجنون.
لا تُحسد الثروة أبدا إلا لغرض أفلاطوني. الثروة هي الحرية.
النقود جميلة، لأنها تحررنا.

واحدة من الأشياء التي تجثم علي صدري مثل هلاك وشيك الحدوث هو رغبتي في أن أموت في "بكين"، ولكني لست قادرا علي هذا.

من يشتروا الأشياء عديمة القيمة هم أكثر حكمة مما هو شائع عنهم ــ إنهم يشترون الأحلام الصغيرة. إنهم يصبحون أطفالا عندما يمتلكون الأشياء. عندما يخضع الأشخاص ذوي النقود إلى سحر هذه الأغراض الصغيرة عديمة القيمة، فهم يملكونها مثل فرحة الطفل الذي يجمع أصداف البحر علي الشاطئ ــ وهي الصورة التي تصف أفضل ما يكون سعادة الطفل. إنه يجمع الأصداف على الشاطئ! بالنسبة لطفل لا يوجد اثنتين متشابهتين إطلاقا. يغلبه النوم وهو ممسك بأجمل صدفتين بين يديه، وعندما تضيع أو يحرم منهما، فهو ينتحب مثل إله سُرق منه عالم خلقه توا.

حب السخف والتناقض هما السعادة الجسدية* للتعساء. تماما مثلما يتحدث الرجال الطبيعيون بالهراء أو يقومون بصفع الآخرين علي قفاهم بتأثير المرح والنشاط، كذلك أولئك غير القادرين على المرح والحماسة يقومون بالانقلابات في أرائهم ويمثلون بطريقتهم الخاصة الباردة الأعمال الحياتية الدافئة. فالبرهان غير المباشر يعد واحدا من مشروباتي المفضلة.

كل شيء سخيف. هناك واحد من الرجال يقضي حياته يجمع المال ويدخره، على الرغم من أنه ليس لديه أطفال ليترك المال لهم، ولا يأمل أن تؤجل له السماء قدرا يفوق حدود البشر. هناك رجل آخر يكافح من أجل الحصول على شهرة بعد وفاته دون أن يؤمن في وجود حياة أخرى قد تجعله على علم بهذه الشهرة. أما بعض الرجال الآخرين فيرهقون أنفسهم سعيا وراء أشياء لا يبالون بها في الواقع.

يمكن أن يقرأ الفرد من أجل أن يتعلم، بلا فائدة. رجل أخر يستمتع بحياته حتى يعيش، بلا فائدة.

كنت مستقلا الترام، وكالعادة كنت أراقب عن قرب كل التفاصيل التي تخص الأشخاص من حولي. هذه التفاصيل بالنسبة لي يمكن أن تكون أغراض، وأصوات، وعبارات. علي سبيل المثال ثوب الفتاة التي تقف أمامي، أحلله إلى القماش المصنوع منه الثوب والعمل المبذول في إنتاجه، بهذه الطريقة فأنا أري الثوب وليس مجرد القماش، كما يحلل تفحصي الدقيق للثوب التطريز الرقيق الذي يزين ياقة الثوب إلى الخيط الحريري الذي استخدم في التطريز والعمل الذي بذل في التطريز. وعلي الفور يظهر واضحا أمامي كما لو كان كتابا لعلم الاقتصاد الأساسي، والمصانع، والوظائف: المصنع الذي صنع فيه القماش؛ المصنع حيث غزلت خيوط الحرير القاتمة حتى تزين ما حول الرقبة بشكل مزخرف؛ أقسام المصنع المتنوعة، والآلات، والعمال، والخياطات. اخترقت بعيني داخل نفسي المكاتب حيث رأيت المدراء يحاولون البقاء هادئين، كما شاهدت كل شيء يتم تسجيله في سجلات الحسابات، ولكن هذا ليس كل شيء: لقد رأيت ما وراء كل هذا، فرأيت الحياة الخاصة لأولئك الذين يعيشون وجودهم الاجتماعي في هذه المصانع والمكاتب. انفتح العالم كله أمام عيني فقط لأني رأيت أمامي ــ علي مؤخرة عنق داكنة البشرة يحمل الجانب الآخر منها وجه لا أعرفه ــ تطريزا غير منتظم بلون أخضر داكن يزين ثوبا ذا لون أخضر فاتح. كل الوجود الاجتماعي البشري يقع أمام عينيّ.

شعرت وراء هذا بقصص الحب، و الأسرار، والأرواح لكل من اجتهد حتى ترتدي المرأة التي تقف أمامي في الترام تطريز مبتذل متعرج من خيوط الحرير ذات لون أخضر داكن فوق قماش ذي لون أخضر فاتح.

شعرت بالدوار. أخذتني مقاعد الترام المصنوعة من القش القاسي محكم النسج إلي أماكن بعيدة وتكاثرت في شكل صناعات. هبطتُ من الترام شاعرا بالدوار والإنهاك. لقد عشت للتو كل ما تعنيه الحياة.

في كل مرة أذهب إلي مكان ما يتحول الأمر إلي رحلة طويلة. رحلة بالقطار إلي "كاسكياس" ترهقني كما لو كنت في هذا الوقت القصير قد سافرت عبر المناطق الحضرية والريفية لأربع أو خمس بلدان.

أتخيل نفسي وقد عشت في كل منزل مررت به، في كل شاليه، وفي كل كوخ منعزل أبيض بفعل الجير والنسيان. أكون سعيدا في البداية، ثم أشعر بالملل، ثم بالسأم. يحدث كل هذا في لحظات، وبمجرد أن أترك واحدا من هذه المنازل، أشعر بالحنين للوقت الذي عشته هناك يغمرني. وهكذا تصبح كل رحلة أقوم بها حصاد مؤلم وسعيد من لحظات المرح الرائعة، ولحظات الملل الشديد، وعدد لا حصر له من لحظات الحنين الزائفة.

بينما أمر بهذه البيوت، والفيلات، والشاليهات، أعيش أيضا الحياة اليومية لكل من يسكن في هذه الأماكن، أعيشها كلها وفي وقت واحد. فأكون الأب، والأم، والأبناء، وأبناء العم، والخادمة وابن عمها، أعيشهم كلهم معا وفي وقت واحد. يعود الفضل في ذلك إلي موهبتي الخاصة في الشعور بأحاسيس متعددة ومختلفة في نفس الوقت، في أن أعيش حياة العديد من الأشخاص في وقت واحد، سواء علي المستوي الخارجي حيث أراهم، أو علي المستوي الداخلي حيث أشعر بهم.

لقد خلقت العديد من الشخصيات بداخلي. أقوم بخلق الشخصيات باستمرار. وكل حلم من أحلامي، بمجرد أن أبدأه، يتجسد علي الفور في شخص آخر، والذي يصبح حينها الشخص الذي يحلم وليس أنا.

لقد بالغت في إخراج ما بداخلي حتى أنه لم يعد لدي وجود هناك ماعدا الوجود الخارجي. أنا المسرح الخالي الذي يمثل عليه العديد من الممثلين العديد من المسرحيات.

حلم ثلاثي

شعرت بالرجفة في الحلم الذي حلمته علي سطح المركب: حيث شعرت بهاجس بارد يمر عبر روح أميري الحالم. اجتاح جو الغرفة المرئي صمت منذر بالخطر مثل نسيم شاحب. تحول الأمر كله إلي لمعان مؤلم ومزعج لضوء القمر علي سطح المحيط الذي لم يعد يهيج، لكنه مازال يتموج. رغم أنه لا يمكنني سماعها، لكن من الواضح أنه توجد أشجار سرو بالقرب من قصر الأمير.

اندفع سيف البرق الأول بغموض إلي الخلف. ضوء القمر الساطع علي البحر المرتفع هو لون ضوء القمر، وما يعنيه هذا هو أن قصر الأمير الذي لم أزره من قبل قد أصبح أطلالا في الماضي البعيد.

بينما تقترب السفينة بصوت كئيب، تلونت الغرفة بلون ازرق داكن، لكن الأمير لم يمت ولم يؤسر، ولكنني لم أعرف ماذا حدث له. أي شيء بارد ومجهول قد آل إليه مصيره الآن؟

الطريقة الوحيدة لتحصل علي مشاعر جديدة هي أن تصنع روحا جديدة. لا يجدي أن تحاول الشعور بأشياء جديدة، ولا يمكنك أن تشعر بطريقة جديدة بدون تغيير روحك؛ لأن الأشياء هي ما نشعر به والطريقة الوحيدة لهذه الأشياء حتى تكون جديدة، يمكننا الشعور بالأشياء الجديدة. لكي يمكنك تغيير نفسك يجب أن تسعى بنفسك لهذا التغيير

منذ لحظة ولادتنا وحتى لحظة وفاتنا تتغير أرواحنا ببطء مثل أجسامنا. جد طريقة تجعل التغير أسرع، حتى وإن كانت أجسامنا تتغير بسرعة بسبب الإصابة ببعض الأمراض أو عند الشفاء منها.

لا يجب علينا أن نحط من قيمة أنفسنا لشرح المحاضرات، مخافة أن يقول البعض أننا لدينا أراء أو نتنازل للحديث إلي العامة. ليحاول العامة

قراءتنا إن أرادوا.

لقد اكتشفت أني دائما منتبه ودائما أفكر في شيئين في نفس الوقت. أعتقد أن كل شخص كذلك. بعض الانطباعات تكون غامضة جدا حتى أننا لا ندرك أنها لدينا إلا في وقت متأخر؛ لأننا نتذكرها فيما بعد. أعتقد أن هذه الانطباعات تشكل جزء ــ ربما الجزء الداخلي ــ من الانتباه المزدوج الذي نملكه جميعا. في حالتي أنا الحقيقتان اللتان تستحوذان علي انتباهي تكونا بنفس القوة. هذا هو ما يشكل إبداعي. هذا هو ربما ما يشكل مأساتي، ويجعلها مضحكة.

أجلس منحنيا علي دفتر الحسابات، أقوم بتسجيل القيود التي تخبرنا بالتاريخ عديم القيمة لشركة مغمورة، بينما وفي نفس الوقت تتابع أفكاري في الطريق الذي تسلكه سفينة لا وجود لها عبر معالم الشرق الخيالي. بالنسبة لي، كلا الشيئين مرئيين بنفس الدرجة ومتميز عن الآخر بنفس الدرجة: الصفحات المسطرة التي أسجل فيها بدقة الملحمة التجارية لشركة، وسطح السفينة الذي ألاحظ عليه بدقة ــ وراء النقش المسطر لمفاصل ألواح الأرضية المطلية بالقطران ــ صفوف المقاعد الطويلة تمتد عليها أقدام المسافرين يسترخون خلال الرحلة.

بينما أغمس قلمي في المحبرة، انفتح باب غرفة المدخنين ــ تقريبا علي يمين المكان الذي أشعر أنني موجود فيه ــ ليكشف عن وجه غريب. أدار ظهره لي وسار باتجاه الآخرين. كانت مشيته بطيئة وقدماه لا يخبران بالكثير عنه. إنه انجليزي. بدأت في إدخال قيد جديد. حاولت أن أكتشف إن كنت مخطئا أم لا. حساب المركيز يجب أن يكون مدين وليس دائن.

هذا العالم مكان ملائم لأولئك الذين لا يشعرون. الشرط الأساسي حتى تكون رجلا عمليا هو غياب المشاعر. المطلب الرئيس لممارسة الحياة بشكل

عملي هو الإرادة؛ لأنها السبيل الوحيد للأفعال. شيئان بإمكانهما إعاقة الفعل وهما المشاعر والتفكير التحليلي، هذا الأخير يعني التفكير بعاطفة فقط. كل الأفعال بطبيعة الحال هي التغيير الأساسي الذي تحدثه شخصيتنا تجاه العالم الخارجي، ولأن هذا العالم الخارجي يتشكل في المقام الأول وبشكل كبير من البشر، يعني هذا أن هذا التغيير الذي تحدثه شخصيتنا بشكل رئيسي عبارة عن اختراق طريق الآخرين، وإعاقتهم، وإيذائهم، وهزيمتهم، وهذا يعتمد علي الشكل الذي تتخذه أفعالنا.

أن تقوم بفعل يتطلب إحداث خلل معين في تخيل شخصيات الآخرين، أفراحهم، ومعاناتهم. التعاطف يقود إلي العجز. رجل الأفعال يعتبر العالم الخارجي مكونا بشكل حصري من أمور جامدة ـ سواء كانت جامدة في الحقيقة، مثل الحجر الذي يمشي عليه أو يركله بعيدا عن طريقه، أو كان جامد مثل إنسان لا يمكنه مقاومته وبالتالي يمكن أن يكون حجرا أيضا لأنه يمكنه أن يمشي فوقه أو يركله بعيدا عن طريقه.

أفضل مثال للرجل العملي هو الخبير الاستراتيجي العسكري، حيث يكون أقصي تركيز عنده علي الفعل مرتبطا بأقصى أهمية له. الحياة كلها عبارة عن حرب، والكفاح هو أساس الحياة. فالخبير الاستراتيجي هو رجل يلعب بالأرواح مثل لاعب الشطرنج الذي يلعب بقطع الشطرنج. ماذا كان ليحدث للخبير الاستراتيجي إن فكر كيف أن كل حركة من حركاته ستجلب الحزن إلي الآلاف من البيوت والبؤس إلي ثلاثة آلاف من القلوب؟ ماذا كان سيحدث لهذا العالم إن كنا من الآدميين؟ لم تكن لتوجد حضارة لو أن الإنسان يشعر فعلا؟ فالفن يقدم الحماية للمشاعر التي يكون الفعل مجبورا علي نسيانها. الفن هو سندريلا.

كل رجل فعل يكون بشكل أساسي مرح ومتفائل؛ لأن هؤلاء الذين لا يشعرون يكونون سعداء. يمكنك أن تميز الرجل العملي بأنه لا يكون منحرف

المزاج أبدا. الرجل الذي يعمل علي الرغم من أنه منحرف المزاج يمكن أن يكون مساعدا للرجل العملي. يمكنه أن يكون ماسكا دفاترا في النظام العام الضخم للحياة، كما حدث معي في حياتي العملية، لكنه لا يمكن أن يكون قائد علي أشياء أو أشخاص. القيادة تتطلب عدم الشعور. أي شخص يحكم يكون سعيد؛ لأن الحزن يتطلب أن يشعر المرء.

أبرم اليوم مديري سينيور فاسكس صفقة دمرت حياة رجل مريض وعائلته، بينما يتفاوض لإبرام الصفقة نسي تماما وجود هذا الرجل، ما عدا أنه طرف تجاري معارض. بعد إتمام الصفقة، انتابته المشاعر. فقط بعد إتمام الصفقة وإلا لم تكن الصفقة لتتم. قال لي: " أنا أشعر بالأسف تجاه هذا الصديق. سوف ينتهي به الحال للعدم." ثم أشعل سيجارة وأضاف: "حسنا إن كان يريد أي شيء منى." ـ يقصد نوعا من الصدقة ـ "لن أنسي أبدا أنني يجب أن أشكره علي صفقة تجارية جيدة و آلاف قليلة من العملة.".

إن سينيور فاسكس ليس محتالا، إنما هو رجل أفعال. الخاسر في هذه اللعبة يمكنه أن يعتمد علي إحسان مديري في المستقبل؛ لأنه رجل كريم.

إن سنيور فاسكس مثل كل رجال الأفعال سواء كانوا رجال أعمال، أو رجال صناعة، أو سياسيون، أو قادة عسكريون، أو كُتّاب دينين أواجتماعيين، أو شعراء عظام، أو فنانين عظام، أو نساء جميلات أو أطفال هؤلاء هم من يفعلون ما يريدونه. الشخص الذي يزدري هو الشخص الذي لا يشعر. الشخص الذي ينجح هو الشخص الذي يفكر فقط فيما هو مطلوب للنجاح. الجزء الباقي من الإنسانية ـ وهم الفوضويون، والحساسون، والخياليون، والضعفاء ـ ليسوا أكثر من ستارة المسرح الخلفية التي يقوم ممثلو المسرح بالتمثيل أمامها حتى ينتهي عرض الدمى المتحركة، ليسوا أكثر من مجرد رقعة شطرنج الباردة الجامدة التي تتحرك القطع فوقها حتى يضعها اللاعب العظيم في مكانها المألوف، الذي يلهو مع نفسه بشخصية

مزدوجة، يلعب ضد نفسه ودائما يشعر بالتسلية.

***

الإيمان هو غريزة الفعل

عادتي المهلكة في إنكار كل شيء، خاصة الأشياء الغريزية، ونزعتي الطبيعية إلي النفاق تبطل العقبات التي تواجه تطبيقي المستمر لمنهجي.

ما أفعله بشكل أساسي هو تحويل الأشخاص الآخرين إلي أحلامي. أتبني آراءهم، والتي أطورها عن طريق عقلي وحدسي حتى أجعلها خاصة بي (عندما لا يكون لدي أي أراء، يمكنني أن أتبني أرائهم بالإضافة لأراء أي شخص آخر.) وأطابقها مع ذوقي، محولا شخصياتهم إلي أشياء تكون متآلفة مع أحلامي.

إنني أفضل الأحلام علي الحياة الحقيقية إلي حد كبير حتى أني قادر، في لقاءاتي الحرفية، النوع الوحيد الذي أملكه، على مواصلة الحلم وعلي متابعة الطريق المرن لشخصيتي الفوضوية باستمرار، عن طريق أراء الآخرين ومشاعرهم.

بعض الأشخاص الآخرين يعتبرون قنوات أو مجاري مياه تتدفق فيها مياه المحيط حسب رغبتهم، ولمعان هذه المياه تحت ضوء الشمس يظهر بوضوح مسلكهم الملتوي أكثر مما يفعل جفاف هذه المسالك الخاوية.

يظهر لي أحيانا نتيجة تحليلاتي المتسرعة أنني عالة علي الآخرين، ولكن ما يحدث فعلا هو أنني أجبرهم علي أن يكونوا عالة علي مشاعري اللاحقة. تسكن حياتي أصداف شخصياتهم. أنسخ أثار أقدامهم علي طين روحي، أستغرق فيها بعمق في وعي حتى أنني في النهاية أستولي علي خطواتهم وأمشي في طريقهم أكثر مما يفعلون هم.

بسبب عادتي في تقسيم نفسي، وتتبع عملتين عقليتين مختلفتين في الوقت نفسه، تكون حالتي عادة أنني أكيف نفسي بوضوح وبشدة مع ما يشعر به الآخرون، وفي نفس الوقت أقوم بتحليل موضوعي دقيق لأنفسهم المجهولة، بماذا يفكرون وما كينونتهم. وهكذا في أحلامي، بدون أي شيء قد يقاطع حلم يقظتي، لا أعيش فقط الجوهر المقطر لمشاعرهم التي تكون في بعض الأحيان ميتة، ولكني أيضا أكتشف وأصنف الروابط المعقدة بين طاقاتهم العقلية والروحية المتنوعة، والتي ترقد عادة في سكون داخل أرواحهم.

بينما يحدث كل هذا، لا تغيب عن ملاحظتي ملامح وجوههم، وملابسهم، وإيماءاتهم. أنا أعيش أحلامهم، طبيعتهم الغريزية، أجسامهم في كل أوضاعها كل هذا في نفس الوقت. في تشتت مندفع وموحد تتوحد* نفسي داخلهم، وفي كل لحظة من محادثتنا أخلق وأكون العديد من الأنفس ـ واعية وغير واعية، محللة وقابلة للتحليل ـ تتصل جميعها كما في المروحة المنبسطة.

إنني أنتمي إلي جيل ورث إنكار العقيدة المسيحية وخلق داخل نفسه إنكار لكل العقائد الأخرى. مازال آباؤنا يمتلكون الدافع للإيمان الذي نقلوه من المسيحية إلي أنواع أخرى من الوهم. البعض كانوا أبطالا في المساواة الاجتماعية، آخرون كانوا مفتونون تماما بالجمال، البعض مازالوا يؤمنون بالعلم و إنجازاته، وهناك البعض الذين أصبحوا أكثر مسيحية، فلجأوا إلي المشارق والمغارب المتنوعة بحثا عن أشكال دينية جديدة حتى يسلوا وعيهم الخاوي المختلف والذي بالكاد يحيا.

خسرنا كل هذا. لقد ولدنا دون أي نوع من أنواع العزاء هذه. كل حضارة تتبع طريق معين للديانة التي تمثلها؛ لأنها إن تحولت إلي ديانات أخرى فسوف تخسر الطريق الذي تملكه، وتخسرهم جميعا في النهاية. لقد فقدنا الطريق، وفقدنا معه كل شيء آخر. وهكذا تُركنا، كل رجل لنفسه، للشعور المهجور لأنفسنا علي قيد الحياة. ربما يبدو أن السفينة هي شيء الغرض

منه هو الإبحار، ولكن لا، الغرض منها هو الوصول إلي الميناء. وجدنا أنفسنا نبحر دون أي فكرة عن الميناء الذي ينبغي الوصول إليه؛ لذلك استخرجنا نسخة مؤلمة من مبدأ البحار المغامر:* الحياة لا تهم، فقط الإبحار مهم.

بدون الأوهام، نعيش بالأحلام، وهي الأوهام لأولئك الذين لا يملكون أوهاما. أن نعتمد في حياتنا علي أنفسنا الداخلية فقد قلل هذا منا؛ لأن الرجل الكامل هو الشخص الذي لا يعرف نفسه. بدون إيمان، لا يكون لدينا أمل، وبدون أمل، لن يكون لدينا حياة حقيقية. عندما لا يكون هناك أي فكرة عن المستقبل، فلن يكون لدينا أيضا أي فكرة عن الحاضر، هذا لأن الحاضر بالنسبة لرجل الأفعال ليس سوي تمهيد للمستقبل. القدرة علي الكفاح داخلنا قد أجهضت؛ لأننا ولدنا دون روح الكفاح.

بعضنا ركن إلي السعي وراء المألوف، نسعى بازدراء إلي كسب عيشنا اليومي بدون أن نكدح من اجله علي الإطلاق، بدون أن نقوم بجهد واع، بدون شرف الإنجاز.

إن الآخرين منا، وهم أكثر سموا في مشاعرهم، وينتمون إلي حالة اجتماعية ومجتمع وضيع، لا يريدون ولا يرغبون في أي شيء، ويحاولون أن يلوذوا إلي محنة النسيان التام للحزن الناتج ببساطة عن وجودهم ـ وهو أمر مستحيل بالنسبة لأولئك الذين لا يملكون الوعي بالأصل المقدس، مثل حامل الصليب.

مازال هناك آخرون، منشغلون بالجانب الخارجي من الروح، يكرسون انفسهم لعبادة الفوضي والارتباك، معتقدين أنهم يعيشون كلما سمعوا أنفسهم، مفترضين أنهم يحبون كلما لمسوا الأشكال الظاهرية للحب. الحياة مؤلمة لأننا علي وعي بأننا علي قيد الحياة؛ أما الموت فلا يخيفنا؛ لأننا فقدنا الفكرة العاملة الطبيعية عن ماهية الموت.

ولكن هؤلاء الذين شكلوا السباق المهلك، الحد الروحي للساعة المميتة، فهم لا يملكون الشجاعة الكافية للإنكار الحقيقي والحماية. ما عشناه كان إنكار، وسخط، وحزن، ولكننا عشناه داخلنا، بدون أن نتحرك، حبيسين إلي الأبد، علي الأقل بالطريقة التي عشناها، داخل أربعة جدران مرسومة لحجرتنا وداخل الحوائط الحجرية الأربع لعجزنا عن التصرف.

***

جمال الإحباط

لأننا لا نستطيع استخلاص الجمال من الحياة، دعونا علي الأقل نستخلص الجمال من عدم قدرتنا على استخلاص الجمال من الحياة. دعونا نحول فشلنا إلى انتصار، إلي شيء ما إيجابي وعظيم، ونمنحه المقالات، والعظمة والقبول في عقولنا.

إن لم تعطنا الحياة سوى زنزانة في سجن، دعونا علي الأقل نزينها بأفضل ما يمكننا فعله ــ عن طريق ظلال أحلامنا، وأشكالها الملونة التي تنقش نسياننا علي سطح الجدران المتحجر.

مثل كل حالم، لقد شعرت دوما أن دعوتي هي الإبداع؛ لأني لم أكن أبدا قادرا علي القيام بأي مجهود أو تحقيق أي عزم، فقد أصبح الإبداع يعني لي دائما أن أحلم، أن أريد و أن أرغب، أما الفعل فيعني أن أحلم بالأفعال التي أتمني أن أقوم بها.

إنني أسمي عجزي عن العيش عبقرية، وألبس جبني بأحسن الملابس فأسميه تهذيبا. أضع نفسي ــ مثل إله يلمع بذهب زائف ــ علي مذبح من الورق المقوي الذي تم طلاؤه ليبدو مثل الرخام، لكنني لم أنجح في خداع نفسي.

تصيبني الحياة باللامبالاة. وجودي كله عبارة عن أقبية رطبة ومقابر قاتمة. إنني نتاج هزيمة كارثية لجيشي الأخير الذي كانيؤيد الإمبراطورية الأخيرة. نعم، أشعر كما لو كنتُ في نهاية حضارة حاكمة قديمة. أنا، يا من اعتدتُ على قيادة آخرين، أصبحتُ وحيدا ومنبوذا الآن. أنا، يا من كان لدي مستشارين يوجهونني دائما، بلا صديق أو موجّه الآن.

شيء ما داخلي يتسول دائما الشفقة، وينعي نفسه كإله ميتو الذي دُمرت كل هياكله عندما فاقت موجة البرابرة الشباب ذو البشرة البيضاء الحدود والحياة، ويطلب معرفة ما الذي فعلته الامبراطورية بالسعادة.

أخشى دائما حديث الآخرين عني. لقد فشلتُ في كل شيء. لم أكن أجرؤ على التفكير في أن أكون إنسانا ذو شأن؛ بل لم أكن أحلم بالتفكير بأن أكون إنسانا ذو شأن، فحتى في أحلامي - في الحالة الحالمة التي تنتابني بصفتي مجرد حالم - أدركتُ أنني غير صالح للحياة.

لا يوجد شعور في العالم يمكنه رفع رأسي من على الوسادة حيث سمحت لنفسي أن يغمرها اليأس، غير قادرة على التعامل مع جسدي أو مع فكرة أنني على قيد الحياة، أو حتى مع فكرة الحياة المجردة.

إنني لا أتحدث لغة أي واقع، وأترنّح بين أمور الحياة كرجل مريض تعافى أخيرا بعد أن ظل لشهور طريح الفراش. فقط في السرير أشعر وكأنني جزء من الحياة الطبيعية. تسرني إصابتي بالحمى، فهي تناسب تماما حالة رقودي. أرتجف كشمعة في مهب الريح وأصاب بالدوار. فقط في هواء الغرف المغلقة المكتوم يمكنني تنفس طبيعية حياتي.

لا يفوتني حتى نسيم المحيط. استسلمتُ لوهب روحي لحياة الأديرة وإلى كونها لا تزيد بالنسبة لي عن رقعة فسيحة خريفية جدباء، ذات وميض من

الحياة، كما لو كان ذلك آتيا من ضوء ينتهي في ظلام البرك المعتم، بلا طاقة أو لون سوى اللون البنفسجي الرائع في المنفي الذي يظهر عندما تختفي الشمس وراء التلال...

ليس لدي أي متعة حقيقية أخرى بخلاف تحليل ألمي، ولا أي فرحة حسية أخرى بخلاف التدفق الرهيب للمشاعر حينما تنهار وتفسد -خطى خفيفة في الظلال القاتمة- ونحن حتى لا نلتفت لنعرف من تتبع؛ أغان خافتة من على بعد، لا نحاول تمييز كلماتها، ل يهدهدنا أكثر غموض ما يقولون وسر المكان الذي يأتون منه؛ أسرار مبهمة لمياه عديمة الطعم، والمساحات الليلية ذات أبعاد سماوية؛ أجراس عربات بعيدة، ومن يدري من أين تعود أو ماهية الضحك والابتهاج الذي تحويه، فهي بعيدة من هنا،عربات ناعسة، يسودها سبات بعد الظهر الثقيل الذي يفسح فيه الصيف المجال للخريف...

لقد ذبلت الزهور في الحديقة وأصبحت زهورا أخرى – أقدم وأكثر نبلا، وأصبح لونها الأصفر الباهت متناسبا أكثر مع الغموض والصمت والعزلة. فقاعات الماء على سطح البرك لها مكانها في الأحلام. ونقيق الضفادع أيضا!

أتبع الطريق الذي تقودني إليه أحلامي التي تجعل الصور خطوات تقود إلى صور أخرى؛ أكشف في كل فرصة - كالمروحة – الاستعارة وأجعلها صورة كبيرة وواضحة روحيا.أصمم حياتي كسترة ضيقة جدا. أختبئ بين الأشجار، بعيدا عن الطرق. أفقد نفسي. ولبضع لحظات عابرة أستطيع نسيان تذوقي للحياة، أستطيع دفن فكرة ضوء النهار والصخب، كما أستطيع، بوعي، القضاء على مشاعري على نحو سخيف وبناء إمبراطورية وسط أطلال مؤلمة، ولكنها أيضا ذات مدخل مهيب، والذي يقود وسط لافتات النصر والطبول في النهاية إلى مدينة رائعة حيث لا أبكي على شيء ولا أرغب بشيء، لا أسأل أحدا - ولا حتى نفسي - على لا شيء سوى الحق في الوجود.

إنني أنا من يبرز من أسطح البرك السقيمة التي خلقتها في أحلامي. إنني أنا شحوب القمر الذي أتصوره على المناظر الطبيعية المشجرة. إنني أنا ضجر سماء الخريف الراكدة التي أتذكرها، ولكن لم أرها أبدا. كافة جوانب حياتي الميتة، كل أحلامي المروعة، وكل ما أمتلكه والذي لم يكن ملكي يضطهدني في زرقة سمائي الداخلية، في التموجات المرئية لأنهار روحي، في الصفاء الفسيح المضطرب للقمح في السهول التي أراها، ولكن لا أراها.

فنجان من القهوة، قليل من التبغ الذي تتخللني رائحته عندما أدخنه، عيناي نصف المغلقة في غرفة نصف مظلمة - هذه، وأحلامي هي كل ما أريد من الحياة. ألا يبدو ذلك لي قليل جدا؟ لا أدري. كيف ينبغي لي أن أعرف ما القليل وما الكثير؟

أوه! بعد ظهر الصيف بالخارج، كيف أرغب في أن أكون مختلفا تماما... أفتح النافذة. كل شيء بالخارج لطيفا، لكنه يعذبني كألم غير محدود، كشعور غامض من عدم الرضا. وشيء أخير يعذبني، يؤلمني، يمزق روحي إلى أشلاء. فأنا، في هذه اللحظة وعند هذه النافذة، أفكر في هذه الأشياء الحزينة واللطيفة، والتي يجب أن تكون جذابة، صورة جمالية، كصورة في لوحة - ولست أنا حتى ذلك...

دع اللحظة تمر وتُنسى... دع الليل يأتي، دعه يغلف كل شيء، دعه يغمر كل شيء ولا يمشي أبدا. لتكن هذه الروح قبري إلى الأبد ولتصبح ظلاما تاما، وربما لن أستطيع العيش ثانية دون مشاعر ورغبات.

***

فن الحلم الحقيقي (١)

تأكد، في المقام الأول، أنك لا تحترم شيئا، لا تؤمن بشي، لا شيء، ولكن بينما تظهر عدم الاحترام، يجب أن تتمسك برغبة احترام شيء ما؛ بينما تحتقر ما لا تحب، يجب أن تحتفظ بالشوق المؤلم بأن تحب شخصا ما، وبينما تزدري

الحياة، يجب أن تحتفظ بفكرة أن الحياة والتعلق بها شيئا رائعا. وبعد القيام بذلك، تكون وقد وضعت أسس صرح أحلامك.

تذكّر أنك تشرع في أسمى مهمة. الحلم هو العثور على أنفسنا. ستكون كولومبوس روحك. ستبدأ رحلة اكتشاف المناظر الطبيعية الخاصة بك. تأكد من أنك على الطريق الصحيح وأن أدواتك لا يمكن أن تضلك.

فن الحلم صعب؛ لأنه فن السلبية والذي نركز فيه مجهوداتنا لتجنب كل مجهود. إذا كان هناك فن للنوم، فسيكون بلا شك مماثلا إلى حد ما.

لاحظ أن فن الحلم ليس فن توجيه أحلامنا. فالتوجيه هو التصرف، والحالم الحقيقي يستسلم لنفسه، يصبح ملكا لنفسه.

تجنب جميع المحفزات المادية. في البداية ستغريك ممارسة العادة السرية واحتساء الكحوليات وتدخين الأفيون.... هذا هو المجهود والسعي. لتكون حالما جيدا، عليك ألا تكون سوى حالم. يتم شراء الأفيون والمورفين من الصيدليات - كيف يمكنك أن تتوقع أن تحلم من خلالهم؟ الاستمناء شيء مادي - كيف يمكنك أن تتوقع... والآن إذا كنت تحلم بالاستمناء، سيكون هذا جديدا وجيدا. إذا كنت تحلم بتدخين الأفيون أو تعاطي المورفين وأن تصبح ثملا من فكرة الأفيون أو مورفين أحلامك، إذن فأنت تستحق الإشادة: أنت تسير بدقة على درب الحالمين.

فكّر دائما في نفسك كحزين وأكثر بؤسا مما أنت عليه. ليس هناك ضرر في ذلك. إنه حتى بمثابة نوع من السلم الخادع لعالم الأحلام.

***

فن الحلم الحقيقي (٢)

أجّل كل شيء. لا تفعل اليوم ما يمكنك تركه للغد.* في الواقع، إنك لا تحتاج إلى القيام بأي شيء على الإطلاق، غدا أو اليوم. لا تفكّر أبدا فيما

كنت تنوي القيام به. لا تفعله. عش حياتك. لا تجعلها هي من تعيشك. على صواب أو على خطأ، سعيد أم حزين، كن ذاتك. لا يمكنك القيام بذلك إلا عن طريق الحلم، لأن حياتك الحقيقية، حياتك البشرية، هي الشيءالذي لا ينتمي إليك ولكن للآخرين. يجب أن تستبدل حياتك بالحلم، التركيز فقط وتماما على الحلم. في جميع أعمال حياتك الحقيقية، منذ الولادة إلى الممات، أنت لا تعمل -بل تُعمل؛ أنت لا تعيش - أنت فقط تُعاش. كُن الكائن الخرافي الغامض بالنسبة للآخرين. اعزل نفسك في برجك العاجي، ولكن دون أن تصفق الباب. برجك العاجي هو أنت، وإذا أخبرك شخص ما بأن هذا غير صحيح ومناف للعقل، لا تصدقه، ولكن لا تصدق ما أقوله أيضا؛ لأن المرء لا ينبغي أن يصدق أي شيء.

ازدري كل شيء، ولكن بالطريقة الذي لا يزعجك بها ازدراءك. لا تعتقد أنك متفوق لأنك تزدري؛ فهذا هو مفتاح فن الازدراء النبيل.

***

فن الحلم الحقيقي (٣)

بحكم الحلم بكل شيء، سيزيد كل شيء في الحياة من معاناتك... هذه هي المحنة التي سيكون عليك تحمُّلها.

***

فن الحلم الحقيقي للعقول الغيبية

إن سبب كل شيء سهل هو أن كل شيء بالنسبة عبارة عن حلم. أقرر أن أحلم بشيء وأحلم به. أحيانا أخلق بداخلي فيلسوفا يشرح الفلسفات بشكل منهجي بينما أنا، الفارس الشاب، أغازل ابنته، أي الأرواح أنا، خارج نافذة منزلها.

إنني محدود، بطبيعة الحال، بما أعرفه. لا يمكنني أن أخلق بداخلي عالم رياضيات، ولكنني سعيد بما لدي، والذي يسمح بالفعل بالتركيبات الفطرية

والأحلام التي لا تعد ولا تحصى. وربما، من خلال الحلم، أحقق أكثر من ذلك. وعلى الرغم من أن هذا لا يستحق العناء حقا إلا أنني راض تماما.

لا أدري ما هي أفكاري أو مشاعري أو شخصيتي ... عندما أشعر بشيء، أشعر به فقط بغموض، في الشخص المتخيل لكائن ما أو أي شيء آخر يظهر بداخلي. استبدلتُ ذاتي بأحلامي. كل شخص هو مجرد حلمه الخاص، ولكنني حتى لست كذلك.

لا تقرأ كتابا أبدا لنهايته، لا بالتسلسل ولا بالتخطي.

لم أعرف أبدا ماهية ما شعرتُ به. كلما تحدّث الناس لي عن العاطفة كذا وكذا ووصفوها، كنتُ أشعر دائما أنهم يصفون شيئا ما في روحي، ولكن عندما كنتُ أفكر في الأمر لاحقا، كان الشك ينتابني دائما. لم أعرف أبدا إذا كان ما أشعر به هو حقا أنا أم هو فقطما أعتقد أنه أنا؛ فأنا شخصية مسرحياتي.

لا طائل من المجهود، ولكنه يسلي. السبب عقيم، ولكنه مسلي. الحب مزعج، ولكن ربما يكون من الأفضل ألا تخوض تلك التجربة. ومع ذلك، فالحلم بديل لكل شيء. في الأحلام يمكن أن يكون لدي انطباع المجهود دون القيام به حقا. أستطيع أن أدخل معارك دون التعرض لخطر الخوف أو الإصابة. أستطيع أن أعقل دون هدف الوصول إلى بعض الحقائق، والتي لن أصل إليها على أي حال، دون محاولة حل بعض المشاكل والتي أعلم أنني لن أحلها أبدا. أستطيع أن أحب دون الخوف من الرفض أو الخداع، ودون أن أشعر بالملل. يمكنني أن أغير حبيبتي وستبقى دائما هي نفسها. وإذا وددتُ أن أتعرض للخداع أو الرفض بازدراء، يمكنني أن أحدِث ذلك، ودائما بالطريقة التي أريدها، ودائما بالطريقة التي تسعدني. في الأحلام يمكنني أن أواجه أسوأ المخاوف وأصعب العذابات وأعظم الانتصارات. يمكنني أن أواجه كل ذلك كما لو كان يحدث في الحياة؛ إنه يعتمد فقط على قدرتي

على أن أجعل حلميحيا، حادا، وحقيقي. يتطلب ذلك الدراسة والصبر الداخلي. هناك طرق مختلفة للحلم. إحداها هي الاستسلام التام لأحلامك دون محاولة جعلها واضحة وحادا وأن تدع نفسك تسير في الشفق الضبابي للمشاعر التي تثيرها تلك الأحلام. هذا هو شكل دوني ومزعج للحلم؛ لأنه رتيب ولا يتغير أبدا. شكل مختلف ألا وهو الحلم الواضح والموجه، ولكن المجهود المبذول فيه للتوجيه يجعل الحلم اصطناعي بدرجة واضحة للغاية. الفنان البارع - وهذا تصنيفي كحالم- يبذل فقط المجهود الذي يجعل من حلمه كذا وكذا كما يرغب، كما يتفق مع هواه، ويتكشف أمامه تماما كما كان يرغب، ولكن لا يمكن تصوره أبدا لأن المجهود العقلي سينهكه. أريد أن أحلم بنفسي كملك. قررتُ فجأة أن هذا ما أرغب فيه، أن أرى نفسي ملكا على بلد ما. أي بلد وأي نوع، هذا ما سيخبرني به الحلم. لقد انتصرتُ كثيرا على أحلامي لدرجة أنها حققت ليدائما وبشكل غير متوقع ما أريده. من خلال التركيز بشكل أكثر حدة، يمكنني أن أتقن مشاهد الحياة التي تتبدى لي فقط كانطباعات غامضة. سأعجز تماما عن تصوير مختلف العصور الوسطى لعصور متنوعة على أراض متنوعة التي رأيتها في أحلامي بوعي. عجبتُ من ثراء الخيال الذي لم أتصور أنني أملكه. سمحتُ لأحلامي أن تمضي في طريقها ... أصبحت نقية لدرجة جعلتها تتجاوز توقعاتي دائما. إنها دائما أكثر جمالا مما أردت، ولكن الحالم الأكثر تقدما فقط هو من يمكنه أن يأمل في الوصول إلى هذه النقطة. لقد أمضيتُ سنوات في السعي لهذا، واليوم أحققه بدون مجهود.

أفضل طريقة لبدء الحلم هي خلال الكتب. الروايات مفيدة بصفة خاصة للمبتدئين. الخطوة الأولى هي أن تتعلم كيف تترك نفسك بشكل غير كامل للقراءة، أن تعيش تماما مع شخصيات الرواية. وستعرف أنك تحرز تقدما عندما عائلتك.

لا أخجل من الاعتراف بأن هذه هي الطريقة التي بدأت بها. والغريب

أن الروايات البوليسية هي ما قرأته بصورة غريزية. لم أتمكن أبدا من قراءة الروايات الرومانسية ببراعة، ولكن هذا يعود لأسباب شخصية، فلم أمل أبدا إلى العاطفة حتى في أحلامي. دع كل فرد يحصد ميوله الخاصة. دعونا لا ننسى أن الحلم هو استكشاف أنفسنا. ينبغي على الأرواح الحسية، عندما تقرأ، أن تختار عكس ما أقرأ.

عندما يواجه الحالم الإحساس الجسدي - عندما تترك رواية عن الحروب والصراعات والمعارك جسده منهكا حقا وساقيه مرهقة– سيكون حينئذ قد اجتاز المرحلة الأولى من الحلم. في حالة الروح الحسية، يجب أن يكون قادرا- دون ممارسة العادة السرية إلا في مخيلته – على تجربة القذف في اللحظة المناسبة خلال الرواية. بعد ذلك، يجب أن يحاول الحالم نقل كل ذلك إلى المساحة العقلية. يجب أن يتم الشعور بالقذف الذي تم الحلم به، والذي اخترته كأكثر الأمثلة عنفا ولفتا للنظر، دون أن يحدث في الواقع. سيكون الإرهاق أكبر، ولكن المتعة ستكون كبيرة بشكل لا يقارن.

في المرحلة الثالثة سيصبح كل شعور شيئا عقليا، وهذا سيزيد من شعور اللذة والإرهاق أيضا، ولكن لن يعد الجسد يشعر بشيء؛ فبدلا من الأطراف المنهكة، ستكون أذهاننا وإرادتنا وعواطفنا هي الفاترة والواهنة... وعندما تصل إلى هذا الحد، إذن فقد حان الوقت إلى المرحلة الأسمى من الحلم.

المرحلة الثانية هي تأليف روايات لتسليتك الخاصة. وينبغي أن يتم اختبار هذا فقط عندما يصبح الحلم متصورا عقليا بإتقان، كما هو موضح أعلاه. عدا ذلك، فإن الجهد المبذول لجعل الرواية حقيقية سيعيق الأداء التأمل.

المرحلة الثالثة: بمجرد أن يصبح خيالنا مدربا، سيصيغ الأحلام من تلقاء نفسه متى أردنا.

عند هذه النقطة سيكون هناك بالكاد أي إرهاق ذهني. سيكون فناء الشخصية كليا. سنكون مجرد رماد موهوب مع الروح، ولكن بلا شكل – ولا حتى على شكل الماء الذي يتخذ شكل الإناء الذي يحمله.

ومع تأسيس ذلك بشكل تام، يمكن لمسرحيات كاملة ومستقلة أن تتكشف بداخلنا سطرا تلو الآخر. وربما لن نمتلك الطاقة لكتابتها، ولكن ذلك لن يكون ضروريا. سنكون قادرين على فعل ذلك بشكل غير مباشر؛ يمكننا تخيّل شاعرايكتب بداخلنا بطريقة ما بينما يكتب شاعر آخر بطريقة مختلفة. أستطيع، بعد أن أتقنتُ تلك المهارة إلى درجة كبيرة، الكتابة بطرق مختلفة لا تعد ولا تحصى، وجميعها أصلية. أعلى مرحلة من الحلم هي القدرة، بعد خلق مشهدا يحتوي على شخصيات مختلفة والذين نعيش حياتهم جميعا في نفس الوقت، على التفاعل والاشتراك مع كافة تلك الأرواح. يؤدي ذلك إلى درجة لا تصدق من تبدد الشخصية وتحوّل الروح إلى رماد. وأعترف أنه من الصعب عدم الشعور بإرهاق عام طوال مجرى حياة المرء، ولكن يا له من انتصار! هذا هو الزهد النهائي فقط. إنه زهد بدون إيمان، وبدون إله. فأنا الإله.

***

الشلال

يعلم الأطفال أن الدمية ليست شيئا حقيقيا، لكنهم يتعاملون معها كما لو كانت كذلك، إلى حد البكاء بحزن إذا انكسرت. فن الأطفال لا يمكن تحققه. كم هو مبارك ذلك السن المخدوع! عندما تُنتفي الحياة بعدم وجود الجنس، ويُنتفي انتفي الواقع بفعل اللعب والأشياء غير الحقيقية التي تحل محل تلك الحقيقية!

لو كان بإمكاني فقط العودة إلى الطفولة وأن أظل هكذا إلى الأبد، غافلا عن القيم التي يربطها الرجال بالأشياء والعلاقات التي يقيمونها بينها! عندما كنتُ صغيرا، كنتُ غالبا ما أضع جنود اللعبة على رؤوسهم. وأي

حجة منطقية مقنعة يمكنها أن تثبت لي أن الجنود الحقيقيين لا ينبغي أن يسيرون ورؤوسهم إلى أسفل؟

لا تزيد قيمة الذهب عن الزجاج بالنسبة للطفل. وهل قيمة الذهب حقا أكبر؟ يشعر الطفل بغموض بسخافة الغضب والعواطف والمخاوف التي يراها منقوشة في ملامح الكبار. أوليست كل مخاوفنا وأحقادنا وأهوائنا عبثا وسخافة؟

كم هو رائع حدس الأطفال السخيف! الرؤية الحقيقية للأشياء التي نلبسها دائما ثوب التقاليد، مهما نراها واضحة، بل نطمسها دائما بأفكارنا، مهما ننظر إليها بشكل مباشر! قد لا يكون الرب طفلا هائلا؟ ألا يبدو الكون بأكمله وكأنه لعبة أو مزحة طفل مزعج؟ أمر غير واقعي.

وبسخرية، صرفتُ النظر عن هذه الفكرة، والآن فقط، عندما رأيتها من على بُعد، أدركتُ كيف هي مروعة. (من يقول أنها ليست صحيحة؟) لم أعد أقو على الوقوف على قدمي من شدة الرعب، فتبعثرتُ شظايا من الغموض والرعب المشتت... استيقظتُ لأتأكد من أنني على قيد الحياة

***

النصب التذكاري

لم تضع أرملة أو ابن على قيد الحياة مزمارا في فمه ليودع شارون. لن نعرف أبدا بأي عيون استطاع عبور نهر "الاستيكس" ورأى انعكاس وجهه - المحجوب لنا إلى الأبد - تسع مرات في مياه الجحيم. اسم ظله، والذي يتجول الآن على ضفاف الأنهار القاتمة، بالنسبة لنا ليس سوى ظل آخر.

توفي من أجل بلاده، دون أن يعرف كيف أو لماذا. حازت تضحيته على مجد النسيان. ضحى بحياته وروحه بحماس: بدافع الغريزة، وليس الواجب؛ لأنه كان يحب بلاده، وليس لأنه كان واعيا بذلك. دافع عنها كرجل يدافع

عن والدته، والذي يعتبر ابنها بالولادة وليس المنطق. وحيث أنه وفيا لسر البدائية، لم يفكر أو يرغب في وفاته، لكنه عاشها بصورة غريزية، كما عاش حياته. الظل الذي يعيش الآن هو شقيق الظلال التي سقطت في "ثيرمو بيلاي" والتي تدين بأجسادها إلى العهد الذي أُخذ عند ولادتهم.

توفي من أجل بلاده بالطريقة التي تشرق بها الشمس يوميا. كان بالفعل، بحكم طبيعته، مثالا لما يمكن أن يفعله به الموت.

لم يسقط نيابة عن إيمان متعصب، كما لم يقتل في الصراع الحقير لبعض المثل الكبرى. لم تكن تشوبه شائبة الإيمان أو الإنسانية، ولم يمت دفاعا عن فكرة سياسية أو مستقبل الإنسانية أو دين جديد. فلم يكن لديه إيمان بالعالم الآخر والذي استطاع خداع محمد سريع التصديق وأتباع المسيح؛ لقد رأى الموت يأتي دون أمل للحياة فيه؛ رأى الحياة تتركه دون أمل في حياة أفضل.

مضى بطبيعة الحال، مثل الرياح واليوم، وأخذ معه الروح التي جعلته مختلفا. انغمس في الظلال بالطريقة التي يسير بها المرء خلالها عندما يصل إلى الباب. توفي من أجل بلاده، والشيء الوحيد الماكث فوقنا والذي نستطيع معرفته وفهمه. لم تنعكس صورة جنة المسلمين والمسيحيين ولا حتى النسيان المتسام للبوذيين في عينيه عندما سطع اسم حياته الدنيوية في أعماقهم.

إذا كُنا لا نعرف من هو، فهو لا يعرف نفسه. لقد قام بواجبه دون أن يعرف ما قام به، واسترشد بما يجعل الأزهار تتفتح وموت الأوراق جميل. ليس للحياة غرض أفضل، وليس الموت مكافأة أفضل.

والآن، وفقا لما تسمح به الآلهة، يزور المناطق المظلمة ويمر برثاء نهري

"كوكيتس" و"فليجيثون" ويسمع في الليل التدفق البطيء لتيار "ليثيان" الغاضب.

مجهول مثل الغريزة التي قتلته. لم يعتقد أنه سيموت من أجل بلاده، ومات من أجلها. لم يقرر القيام بواجبه، لقد أداه فقط. وحيث أن روحه لا تحمل أي اسم، فالصواب هو ألا نسأل ما الاسم الذي دافع عن جسده. لقد كان برتغاليا، ولكن ذاك الاسم أو الآخر ليس برتغاليا، وهكذا يكون برتغاليا عالميا. مكانه ليس بجانب مبدعي البرتغال الذين لديهم مكانة مختلفة ووعيا مختلفا. لا ينتمي إلى صحبة أنصاف الآلهة لدينا الذين تجاوزت جرأتهم الطرق البحرية ووضعوا في متناول أيدينا أراض أكثر مما كُنا نستطيع امتلاكها.

لا تدع تمثالا أو حجرا يخلد ذكرى هذه الروح والتي كانت تمثلنا جميعا؛ فحيث أنه كان الشعب بأكمله، فقبره يجب أن يكون الأرض بأكملها. يجب أن ندفنه في ذاكرته، ويكون مثاله هو فقط شاهد قبره.

***

إعلان الفرق

إن أمور المدينة والدولة لا تملك سلطانا علينا. لا يهم أن الوزراء وحاشيتهم يسيئون التعامل مع أمور الأمة بلا حياء. كل هذا يحدث في الخارج، كالطين في يوم ممطر. ليس بوسعنا فعل شيء تجاه ذلك، على الرغم من أن هذه الأمور لديها الكثير مما يتعلق بنا.

إننا بالمثل لا نبال بالاضطرابات الكبيرة مثل الحروب والأزمات في جميع أنحاء العالم. طالما أنها لا تأتي إلى بلدنا، لا نبالي بأي باب تطرقه. يبدو أن هذا الموقف يستند إلى احتقار الآخرين بشكل عميق، ولكن أساسه الحقيقي هو مجرد رأي متشكك لأنفسنا.

لا نمتاز بالحنان أو الخير. ولا لأننا عكس ذلك، ولكن لأننا لسنا طريقة أو

أخرى. الحنان هو شكل من أشكال الرقة التي تنتمي إلى النفوس الخام. تهمنا كظاهرة تحدث لأشخاص آخرين ممن لديهم طرق أخرى للتفكير. نلاحظ دون موافقة أو اعتراض. مهنتنا هي ألا نكون شيئا.

سنكون فوضويين إذا كنا قد ولدنا في الطبقات التي تطلق على نفسها الطبقات المعدمة، أو في أي من الطبقات الأخرى التي يمكن للمرء الصعود أو الهبوط منها. ولكننا عموما أفرادا وُلدنا في الفجوات بين الطبقات والانقسامات الاجتماعية - نكاد نكون دائما في تلك المسافة المتدنية بين الارستقراطية والطبقة الوسطى العليا، المكانة الاجتماعية للعباقرة والمجانين الذين يمكن التعامل معهم.

إن العمل يربكنا، جزئيا بسبب عدم أهليتنا الجسدية، ولكن أساسا لأنه ينتهك حساسيتنا الأخلاقية. نفكر فيه. نتعامل بحساسية مع الفنون الغامضة والسرية. ومع ذلك فإننا لسنا بمشعوذين. لم نولد بذلك النوع من الإرادة، ناهيك عن الصبر على تعليم وتطوير مثل هذه الإرادة لتصبح أداة مثالية للساحر أو المنوم المغناطيسي. ولكننا نتعاطف مع التنجيم، لا سيما لأنه يميل إلى التعبير عن نفسه بطرق عديدة لا يفهمها من يقرأ بل وحتى من يعتقد أنه يفهمها. موقفه الغامض متفوق على نحو متكبر. وبالإضافة إلى ذلك، إنه مصدر غني بالأحاسيس المبهمة والمرعبة: يرقات نجمية، الكائنات الغريبة ذات الأجساد الغريبة والتي يتم استحضارها في المعابد من خلال الطقوس السحرية والمشاركات غير المادية التي تحوم حول كافة حواسنا غير المحسوسة، في الصمت الفيزيائي للصوت الداخلي - كل هذا يعزينا في الظلمة والضيق من خلال تربيت يده المرعبة اللزجة، لكننا لا نتعاطف مع السحرة عندما يتصرفون كرسل وأبطال للإنسانية؛ هذا يجردهم من غموضهم. السبب الصحيح الوحيد الذي يدفع الساحر للعمل في العالم النجمي هو مبتغى جمالا، وليس لغرض خدمة الآخرين الماكر.

وفي معظم الأحيان وعلى حين غرة نخفي تعاطفا موروثا نحو السحر

الأسود، نحو الأشكال المحرمة للعلوم الغيبية، ونحو آلهة القوة التي باعت نفسها للإدانة والتناسخ المنحط. عيون نفوسنا الضعيفة المترددة خسرت نفسها - ككلبة في الحرارة - في نظرية الدرجات المعكوسة، في طقوس فاسدة، وفي المنحنى المشؤوم للتسلسل الهرمي الجهنمي.

شئنا أم أبينا، يمارس الشيطان تأثيره علينا كما يفعل الذكور مع الإناث. لقد جرح ثعبان الإدراك المادي ما حول قلوبنا كما جرح ما حول صولجان "هرمس" الذي يرمز للرب الذي يتصل بعطارد إله التفاهم.

يتمنى منّا من ليسوا مثليون جنسيا أن يكون لدينا الشجاعة لنكون كذلك. فنفورنا من العمل لا يمكن أن يساعدنا. فاتتنا غايتنا في الحياة شأننا شأن ربات البيوت وسيدات القصور الخاملات بسبب الخلط الجنسي في تجسيدنا الحالي. ورغم أننا لا نؤمن بذلك على الإطلاق، فالعمل يشبه صنعنا للنكهات من دماء السخرية.

لا شيء من هذا ينبع من الخسّة، ولكنه الضعف. في السر، نعشق ما هو سيء، ليس لأنه سيء، ولكن لأنه أقوى وأكثر حدة مما هو جيد، وكل ما هو قوي وحاد يكون جذّابا للأعصاب التي كان ينبغي أن تنتمي إلى المرأة. لا يمكن تطبيق قول " ارتكب الخطيئة دون خوف " علينا، فليس لدينا قوة، ولا حتى قوة الإدراك، وهي القوة الوحيدة التي نستطيع أن ندعي امتلاكها. التفكير في ارتكاب الآثام بقوة - وهذا هو أقصى ما يمكننا القيام به مع هذا القول المأثور الخطير، ولكن حتى هذا ليس ممكنا دائما، فحياتنا الداخلية لها واقعها الخاص والتي نجده في بعض الأحيان مؤلما لمجرد أنه حقيقة. إن وجود قوانين تنظم تجمعات الأفكار، جنبا إلى جنب مع جميع العمليات العقلية الأخرى، لهو شيء مهين لافتقادنا المتأصل للانضباط.

الحسد الإلهي

كلما أستشعر إحساسا مقبولا في صحبة الآخرين، أحسد جزئية الإحساس التي يمتلكونها. يفاجئني، كما يفاجئني الابتذال، أنهم ينبغي أن يشعروا بنفس الإحساس الذي أشعر به، وأنهم يجب أن يخترقوا روحي من خلال روحهم الحساسة المتوائمة.

كيف يمكنني أن أفتخر بالمناظر الطبيعية التي أستبصرها، عندما تموت هناك الحقيقة المؤلمة بأن شخصا آخر استبصرها بلا شك لنفس الأسباب؟ في أوقات أخرى وفي أيام أخرى، سيكون التأكد أو لفت الانتباه إلى تلك الاختلافات مواساة متحذلقة غير جديرة بي. أعلم جيدا أن تلك الاختلافات تافهة وأن أشخاصا آخرين، ممن يمتلكون نفس روح الاستبصار، قد رأوا المشهد بطريقة ليست متطابقة، ولكن مماثلة لطريقتي.

لهذا السبب أسعى باستمرار لتغيير ما أرى، وبهذه الطريقة أجعله بلا شك خاصا بي - تغيير مظهر الجبالولكن مع جعلها في كل مرة جميلة، وجميلة بالضبط بنفس الطريقة؛ لاستبدال أشجارا وزهورا معينة بأخرى والتي تطابقها إلى حد كبير وعلى نحو مختلف؛ لرؤية ألوان أخرى والتي تخلق انعكاسا متطابقا في الغروب. بهذه الطريقة أخلق، وذلك بفضل خبرتي وعادتي للرؤية التلقائية عندما أنظر إلى الشيء، نسخة داخلية للعالم الخارجي، ولكن هذا هو أدنى مستوى لاستبدال ما هو مرئي. ففي أفضل وأشد لحظات الحلم، أغير وأخلق الكثير.

أجعل المشهد يعكس صورتي كالموسيقى ويثير صورا مرئية لمتعة المشاهدة الخاصة بي - نشوة مميزة ويصعب تحقيقها، حيث أن عامل الاستدعاء له نفس نظام المشاعر التي يثيرها. حققتُ أكبر انتصار لي من هذا النوع عندما نظرتُ، خلال لحظة من الضوء الخافت، إلى ميدان "كاي دو سودريه" ورأيتُه بوضوح أجراس غريبة عالقة كقبعات سخيفة عند حواف قراميد

الأسقف. تبددت اللحظة لي تماما كقطعة تركض ببطء نحو مكان بعيد، وهي تشعر بحسد بالغ نحو الواقع...

***

مسيرة الجنازة

ما الذي يمكن للمرء أن يفعله كي يعكر صفو أو يغير العالم؟ أليس هناك دائما، لكل رجل ذي قيمة، رجل آخر ذو قيمة مماثلة؟

ما خلقته للبشرية، أيا كانت ماهيته، يقع تحت رحمة هدوء الأرض. مهما تركت للأجيال القادمة يكون مميزا اللغاية لدرجة أن أحدا لن يفهمه سواك، أوسينتمي فقط لجيلك، ولن تفهمه أجيال المستقبل، أو سيتحدث لجميع الأجيال، ولكن لن تفهمه الهاوية النهائية التي ستسقط فيها جميع الأجيال.

لسنا سوى نوافذ، نقوم بإشارات وسط الظلال، في حين يقبع الغموض وراءنا....

إننا جميعا بشر، لنا مدة معينة، لن تطول أو تقصر أبدا. البعض يموتون حالما يأتيهم الموت في حين يعيش البعض الآخر لبعض الوقت في ذاكرة أولئك الذين يعرفونهم ويحبونهم؛ البعض الآخر يبقى على قيد الحياة في ذاكرة الأمة التي ولدتهم؛ ولا يزال آخرون يدخلون في ذاكرة الحضارة التي كانوا جزءا منها؛ وقليلون للغاية قادرون على مد النزعات المعارضة للحضارات المختلفة، ولكن جميعنا محاطون بهاوية الزمن والتي سينتهي بنا المطاف فيها؛ فجوع الهاوية سيبتلعنا جميعا.....

إن الصمود هو مجرد رغبة، والخلود وهم. الموت هو ما نحن عليه وما نعيشه. ولدنا موتى، نحيا إلى حد شبيه بالموت، ونكون موتى بالفعل عندما ندخل الموت. أيا كان ما يعيش، يعيش لأنه يتغير؛ ويتغير لأنه يمضي؛ ولأنه يمضي، يموت. أيا كان ما يعيش يتحوّل باستمرار إلى شيء آخر. فالحياة هكذا

هي عبارة عن فاصل زمني، وصلة، وعلاقة، ولكن علاقة بين ما مضى وما سوف يمضي، فاصل زمني ميت بين الموت والموت....الإدراك، والخيال الشارد للسطح. الحياة المادية إمّا حلم نقي أومجرد مجموعة من الذرات الغافلة، وهكذا يعتبر جوهر الحياة وهما، مظهرا، والذي يكون إمّا كائنا نقيا أو بلا كينونة، والوهم أو المظهربلا كينونة يجب أن ينتمي إلى العدم. الحياة هي الموت.

كم سيذهب سعينا للخلق تحت سحر وهم عدم الموت سدى! نقول "القصيدة الخالدة" أو "الكلمات التي لن تموت أبدا."، ولكن التهدئة المادية للأرض لن تحمل فقط الأحياء الذين يغطون أرجائها، ولكن أيضا..... ليس بوسع هوميروس أو ميلتون القيام بأكثرمما يفعله العابث بالأرض.

***

مسيرة جنازة لودفيج الثاني، ملك بافاريا

اليوم، يتلكأ الموت أكثر من أي وقت مضى، جاء ليروج لبضاعته على أعتاب منزلي. وأبطأ من أي وقت مضى، فضت سجاد وحرير وكتان نسيانها وعزاءها أمامي. ابتسمت بارتياح بشأن الأشياء التي كشفتها، غير آبهة بأنني رأيت ابتسامتها، ولكن بمجرد أن شعرت بإغراء الشراء، قالت أن تلك الأشياء ليست للبيع؛ فهي لم تأت لتشعل رغبتي في الأشياء التي أظهرتها، ولكن من خلال تلك الأشياء، أرادت أن تجعلني أريدها. قالت أن السجاد من النوع الذي أنعم عليها بقصرها البعيد؛ والحرير هو نفس الحرير الذي يتم ارتداءه في قلعتها المظلمة وحتى كتان أفضل مما أظهرته لي يكسي نقوشا مأواها في الجحيم.

حلّت بلطف الروابط التي تربطني بمنزلي الأصلي غير المزين. قالت: "أتستبدل؟ لن تتاح الفرصة مرة أخرى، لذا لما تريد مدفأة؟ ليس على طاولتك خبز، فما فائدتها؟ حياتك ليس بها صديق أو رفيق، فلما تفتنك حياتك؟".

قالت: "أنا بديل البرد، خبز الطاولات الفارغة، الرفيق المخلص لمن يعانون من الوحدة وسوء الفهم. المجد المفقود في هذا العالم هو فخر نطاقي الأسود. في مملكتي، الحب لا يرهق، فلا يوجد اشتياق لامتلاكه، كما لا يعاني من إحباط عدم امتلاكه أبدا. تستقر يدي برفق على شعر أولئك الذين يفكرون، وينسون؛ أولئك الذين انتظروا عبثا يتكئون على صدري، وفي النهاية تنتابهم الثقة."

"الحب الذي تشعر به النفوس نحوي خال من العاطفة المستهلِكة، من الغيرة التي تُحيّر، من النسيان الذي يشوه. أن تحبني هو هدوء ليلة صيف، عندما ينام المتسولين في الهواء الطلق ويبدون كالصخور على جانب الطريق. لا تطلق شفتي أغاني كصفارات الإنذار أو أي لحن مماثل للحن الأشجار والنوافير، ولكن صمتي يرحب كالموسيقى الخافتة، وهدوئي يسكّن كخدار النسيم."

"ما الذي يربطك بالحياة؟ الحب لا يتبعك والمجد لا يسعى إليك والسلطة لا تجدك. المنزل الذي ورثته في حالة خراب. الأراضي التي حصلت عليها فقدت بالفعل ثمارها الأولى بسبب الصقيع، وأذبلت الشمس بشاراتها. لم تجد المياه أبدا في بئر مزرعتك. وقبل حتى أن تراها، فسدت الأوراق في بركك، وغطت الأعشاب المسارات والممرات التي لم تخطوها قدميك أبدا." .

"ولكن في نطاقي، حيث لا يسود سوى الليل، سيكون هناك ما يواسيك، فآمالك لن تتوقف؛ وستستطيع النسيان.".

وبيّنت لي عدم جدوى الأمل في أيام أفضل عندما لا يولد المرء بروح يمكنها أن تعرف أياما أفضل. بيّنت ليكيف أن الحلم لا يواسي أبدا، فالحياة تؤلمنا أكثر عندما نستيقظ. بيّنت لي كيف أن النوم لا يعني الراحة، لأن الأوهام وظلال الأشياء وأشباح الإشارات والرغبات الجهيضة والمشردون من حطام

سفينة الحياة يلازمونه.

وبينما تتحدث، كانت تطوي ببطء - ببطء أكثر من ذي قبل - سجادها الذي خلب عيني وحريرها الذي اشتهته روحي والكتان الذي يكسو نقوش مأواها الذي كانت تسقط دموعي عليه بالفعل.

"لماذا تحاول أن تكون مثل الآخرين إذا كنت مُدانا بكونك نفسك؟ لما تضحك حينما تكون سعادتك الحقيقية غير صحيحة عندما تضحك، حيث أنها ولدت وهي تنسى من أنت؟ لما تبكي إذا كنت تشعر أنها بلا جدوى، وإذا كنت تبكي ليس لأن الدموع تواسيك، ولكن لأنه يحزنك كونها لا تفعل ذلك؟"

"إذا كنت سعيدا حينما تضحك، إذن عندما تضحك فقد انتصرت؛ إذا كنت سعيدا، لأنك لا تذكر من أنت، إذن فكّر كيف ستكون أسعد بكثيرعندما تكون معي، فلن تتذكر أي شيء! إذا استندت إلى تلك المناسبات النادرة التي نمت فيها دون أن تحلم، إذن فكّر كيف ستنعم بالراحة في سريري، حيث لن تر أحلاما أبدا! إذا كنت في بعض الأحيان تشعر بالفخر لأنك عندما ترى الجمال تنسى نفسك وتنسى الحياة، إذن فكّر كيف ستشعر بفخر أكبر في قصري الذي يتمتع جماله الليلي بانسجام دائم ولا يشيخ أو يفسد أبدا؛ في قاعاتي، لا تهز الرياح الستائر ولا يغطي الغبار الكراسي ولا يتلاشى أي ضوء ببطء من على المخمل والحرير ولا يصفر مرور الوقت بياض الجدران الشاغر!"

"تعال إلى رد فعلي الذي لن يتغير أبدا، وحبي الذي لا نهاية له! اشرب من كأسي الذي لا ينضب الرحيق السامي عديم الرائحة أو المرارة، والذي لا يصيب بالغثيان ولا يسكر! انظر من نافذة قلعتي وتأمل، ليس ضوء القمر والبحر، واللذين يعدان أشياء جميلة وبالتالي أشياء ناقصة، ولكن الليل

الواسع الأمومي، الروعة الكاملة للهاوية العميقة!"

"بين ذراعي ستنسى حتى الطريق المؤلم الذي جلبك إلهما. على صدري لن تشعر حتى بالحب الذي دفعك للمجيء والسعي إليه. اجلس بجانبي على عرشي وستكون للأبد الإمبراطور السفلي للغموض والكأس المقدسة، ستتعايش مع الآلهة وجميع المصائر، ولن تكون شيئا مثلهم، لن يكون لديك دنيا أو آخرة، ولن تحتاج إلى المزيد أو ما تفتقر إليه، ولا حتى ما يكفيك."

"سأكون زوجتك الأم، شقيقتك التوأم التي تعافت بعد طول انتظار. ومع كل القلق الذي تزوجني، مع كل ما سعيت إليه في نفسك عبثا والموكل إليّ الآن، أنت نفسك ستضل الطريق فيممتلكاتي الغامضة، في وجودي الحالف كذبا، في صدري حيثتخمد الأشياء، في صدري حيث تغرق النفوس، في صدري حيث تنتهي الآلهة."

ملك الانفصال والتنازل، إمبراطور الموت والحطام، الحلم الحي الذي يتجول بشكل رائع بين أطلال ونفايات العالم! ملك اليأس وسط الروائع، الملك الحزين للقصور التي لا ترضي، سيد المواكب والعروض التي لا تنجح أبدا في إلغاء الحياة!

لقد نهض الملك من المقابر، أتى في الليل على ضوء القمر ليروي قصة حياتك لمن هم على قيد الحياة، صف الزنابق الملكية التي فقدت أوراقها. الملك الراعي للحرس، فارس تائه بسبب الاضطرابات التي تسير على الطرق المقمرة دون مجد ودون حتى سيدة تخدمها، إله في الغابات وعلى المنحدرات، صورة ظلية صامتة ذات قناع مغلق، يمر من خلال الوديان ويُساء فهمه في القرى ويُسخر منه في البلدان ويُهمل في المدن!

الملك المكرّس من قبل إلهة الموت ليكون لها، شاحبا وغريبا، منسيا وغير

معترف به، حاكما وسط المخمل البالي والرخام الملطخ على عرشه في حدود الممكن، محاطا بظلال بلاطه غير الواقعي ومحميا من قِبل وهم جيشه الغامض الخالي من الجنود.

أحضر الكؤوس والصحون الكبيرة والأكاليل، أنتم يا جميع الوصفاء والفتيات والخدم! أحضروهم للوليمة التي ستستضيفها إلهة الموت! أحضروهم وتعالوا وأنتم تتشحون بالسواد ورؤوسكم يتوّجها الآس. أحضروا اليبروح في الكؤوس، على صحونكم، واصنعوا أكاليلكم من البنفسج، من كل الزهور التي تثير الحزن. سيتناول الملك الطعام مع إلهة الموت في قصرها القديم المجاور للبحيرة، العالي في الجبال والبعيد عن الحياة والمعزول عن العالم. لتكن الأوركسترا التي تتدرب من أجل الوليمة مكوّنة من آلات غريبة، وليعجّل صوتها الوحيد بالدموع. ليكن الخدم متشحين بملابس غير زاهية ذات ألوان غير معروفة؛ دعهم يكونون كرماء، ولكن بسطاء في نفس الوقت، كنعوش الأبطال. وقبل أن تبدأ الوليمة، دع موكب العصور الوسطى الجنائزي الطويل ذا الرداء الأرجواني الباهت يتنزه في طقوس صامتة بشكل رائع على ممرات الحدائق الشاسعة المصطفة بالأشجار، كالجمال وهو يمر خلال كابوس.

***

الموت هو انتصار الحياة

بالموت نعيش؛ لأننا موجودون اليوم فقط لأننا متنا بالأمس. بالموت نأمل؛ لأننا يمكننا أن نؤمن بالغد فقط لأننا على يقين من أننا سنموت اليوم. بالموت نعيش عندما نحلم؛ فالحلم هو إنكار الحياة. بالموت نموت عندما نعيش، فالحياة هي إنكار الخلود! الموت يرشدنا، الموت يسعى لنا، الموت يرافقنا. كل ما لدينا هو الموت، كل ما نريده هو الموت، والموت هو كل ما نهتم بامتلاكه.

نسيم من الاهتمام ينجرف مع الرياح. ها هو يأتي، برفقة الموت، الذي لا يراه أحد.

***

الأسطورة الإمبراطورية

مخيلتي هي مدينة في الشرق. المضمون الكامل لواقعها المكاني لديه شهوانية سطحية تجاه سجادة بلشية فخمة. السراداقات والأكشاك التي تلوّن الشوارع بألوان زاهية تقف في مقابل خلفية غريبة لا تلائمها، كالتطريز الأحمر أو أصفر على الساتان الأزرق الفاتح. التاريخ الكامل لهذه المدينة يدور حول مصباح حلمي كفراشة مسموعة بالكاد في ضوء غرفتي الخفيف. عاش وهمي ذات مرة وسط الروائع وتلقى جواهر أفقدها الوقت بريقها من أيدي الملكات. المخمل الخالص كسا شواطئ عدم وجودي، وانتشرت الأعشاب البحرية كالصديد المظلل على مرأى أنهاري.

وهكذا كنتُ رواق حضارات مفقودة، أرابيسك محموم في أفاريز الموتى، اسوداد الخلود في لفات الأعمدة المكسورة، الصواري الوحيدة لحطام السفن البعيدة، يخطو الحجر من العروش المُطاح بها، أحجبة لا تحجب شيئا ولكنها تبدو وكأنها تحجب الظلال، تنهض الأشباح من الأرض كالدخان من المباخر المحطمة. كان عهدي كئيبا، ولطخت الحروب المستمرة في المناطق الحدودية السلام الإمبراطوري لقصري. دائما صوت الأطراف الغامض من على بُعد، دائما الموكب الذي كان من المفترض أن يمر أسفل نوافذي، ولكن لا بوجد الرمادالأحمر الذهبي في بحيراتي، ولا التفاح في السكون الأخضر لبستاني؛ حتى الدخان لا يتصاعد من وراء الأشجار، يتصاعد من مداخن الأكواخ الفقيرة التي تضم أناسا سعداء، يركنون إلى النوم مع قصصهم عن البساطة،السر المضطرب لوعي ذاتي.

***

في غابة الوحشة

أعرف أنني استيقظت، ولكنني لا زلتُ نائما. جسدي القديم، المنهك من المعيشة، أخبرني أن الوقت لا يزال مبكرا للغاية... أشعر بالحمى. أتحامل على نفسي ولا أدري ما السبب، نصف مستيقظ ونصف نائم، أقبع في سبات شفاف غير مادي إلى درجة كبيرة، في حلم هو ظل الأحلام. انتباهي مشتت بين عالمين، يرى على نحو أعمى أعماق محيط ما وأعماق سماء ما؛ وهذه الأعماق تمتزج، تتداخل، ولا أعرف أين أنا أو ما الذي أحلم به.

عاصفة من الظلال يتطاير فيها رماد النوايا الباهتة خلال الجزء المستيقظ مني. يتساقط ندى الملل الدافئ من لحظة غير معروفة، قلق هائل وخامل ينخل من خلال روحي ويغيرني على نحو عفوي، كما يغيّر النسيم الخط الذي تشكلّه قمم الأشجار.

في مظللي الدافئ المتخاذل، يكون الفجر الوشيك مجرد وهجا مظللا. يغمرني ارتباك هادئ... ما حتمية فجر جديد؟... يثقلني أن أعلم أنه سيبزغ، كما لو كان يجب عليّ أن أفعل شيئا ما كي يبزغ.

وببطء، كما لو كنتُ في حالة ذهول، انتابني الهدوء، ثم الخدر. رفرفتُ في الهواء، بين اليقظة والنوم، ووجدتُ نفسي مُحاطا بنوع آخر من الواقع، والذي يظهر لا أعرف من أين ... هذا الواقع الجديد –هذا النوع من الغابة الغريبة– تظهر دون أن تعكس واقع مظللي الدافئ. يتعايش الواقعان مع بعضهما في انتباهي المأسور، كضبابين اختلطا. وهذا المشهد المرتجف الشفاف ينتمي بوضوح إليهما على حد سواء!

ومن هذه المرأة التي تشاركني في الملابس، بنظراتها، تلك الغابة من الغيرية؟ لِمَ أتوقف لأسأل نفسي؟... لا أعرف كيفية الرغبة في المعرفة... المظلل الضبابي هو زجاج داكن أرى من خلاله ذلك المشهد بوعي... ولقد

عرفت هذا المشهد منذ فترة طويلة، ولفترة طويلة مشيتُ مع هذه المرأة التي لا أعرفها، أتجول كواقع مختلف عن واقعها. أستطيع أن أشعر، في أعماقي، كل القرون التي عرفتُ من خلالها تلك الأشجار، وتلك الزهور وتلك المسارات الضالة، فضلا عن وجودي الذي يتجول هناك، القديمة والمرئي بالنسبة لنظرتي - نظرة يظللها وعيي بوجودي في هذا المظلل. أحيانا في تلك الغابة، حيث أرى وأشعر بنفسي من بعيد، وينشر النسيم الخفيف ضبابه، وهذا الضباب هو الرؤية الداكنة، ولكن الواضحة للمظلل حيث أمكث في الواقع، بين هذه القطع الضبابية للأثاث والستائر والسبات الليلي. ثم يهدأ النسيم ويعود مشهد ذلك العالم الآخر إلى كماله وخصوصيته... وفي أحيان أخرى لا تكون هذه الغرفة الصغيرة سوى اللون الأبيض الباهت للضباب الكائن في أفق تلك الأرض المختلفة ... وهناك أوقات يكون فيها هذا المظلل الملموس هو السطح الذي نخطو عليه في تلك الأرض الأخرى... أحلم وأضل، على نحو مضاعف، بداخلي وبداخل هذه المرأة.

ربما لا أكون أكثر من حلم ذلك الشخص غير الموجود ... الفجر بالخارج بعيد للغاية! والغابة قريبة جدا لعيوني الأخرى! عندما أكون بعيدا عن الغابة، أنساه تقريبا، ولكن عندما أصل أشعر بالحنين له، ويدفعني التجول خلالها إلى البكاء والشعور بالشوق له... الأشجار! الزهور! المسارات المختبأة بين الأجمة!... نتنزه أحيانا ونحن وأذرعنا مكتوفة تحت خشب الأرز وأشجار الورود الحمراء، ولا يفكر أيا في الحياة. كانت أجسادنا عبارة عن عبير خفيف وحياتنا صدى نافورة تقطر. كنا نعقد يدينا وتساءلت نظراتنا عن حالنا إذا أصبحنا شهوانيين وحاولنا العيش خارج وهم حب الجسد...

كان بحديقتنا زهور تهب كل أنواع الجمال: الورود ذات حواف السّذاب، والزنابق البيضاء المائلة للصفرة، والخشخاش الذي سيبقى مختبأ لو لم يخدعه لونه الأحمرالداكن العميق، البنفسج المائل نحو الحدود الخضراء لأحواض الزهور، زهور لا تنسني الحساسة وزهور الكاميليا عديمة الرائحة...

وبالأعلى الأعشاب الطويلة والعيون المندهشة لأزهار عباد الشمس المنزوية والتي تحدق بنا باهتمام.

إن أرواحنا، والتي كانت عبارة عن رؤية نقية، داعبت البرودة المرئية للطحالب، وعندما كُنا نمر بأشجار النخيل استشعرنا الأراض الأخرى بغموض... وتدفقت الدموع من مجرد الفكرة، فحتى هنا لا نشعر بالسعادة وهو الشعور الذي كان يجب أن نشعر به... شكّلت أشجار السنديان المليئة بالأشواك تمشي أقدامنا على مجسات جذورها الميتة... تجمدت أشجار الطائرة في مكانها... ومن خلال الأشجار القريبة أمكننا أن نرى، من على بُعد، تكتلات داكنة من العنب العالق في صمت الكروم المعروش... مضى حلمنا بالحياة أمامنا، على أجنحة، وابتسمنا له نفس الابتسامة المنفصلة، متفقين بداخلنا دون أن ننظر لبعضنا البعض، وغير واعيين لبعضنا البعض باستثناء الوجود المستشعر لذراع شخص والممسكة بذراع الآخر. حياتنا ليس لها بعد داخلي. كُنا بالخارج وكنا مختلفين. لم نعد نعرف أنفسنا. كان حالنا كما لو كُنا عدنا إلى أرواحنا بعد رحلة عبر الأحلام... نسينا الوقت، وأصبح اتساع المساحة ضئيلا في عيوننا. وبالإضافة إلى الأشجار القريبة وكروم العنب البعيدة والتلال الأخيرة في الأفق، أكان هناك شيء حقيقي، شيء يستحق الاهتمام المستغرق بالأشياء الموجودة؟... في الساعة المائية لنقصنا، قطرات ثابتة من الحلم ميّزت الساعات غير الواقعية... لا شيء يستحق وقتنا، أوه يا حبي بعيد، إلا أن أعرف كم هو حلو أن تعرف أن لا شيء يستحق وقتنا ... الحركة الثابتة للأشجار، الهدوء المضطرب للنوافير، التنفس الأكيد لنبض النُسغُ العميق، الوصول البطيءللغسق، والذي لا يبدو أنه يحلّ على الأشياء، ولكن يأتي من داخلها ويمسك بيدها الروحية وصولا لذلك الحزن البعيد،القريب جدا لأرواحنا، لصمت السماروات المهيب؛ السقوط الثابت والعقيم للأوراق، قطرات الوحشة التي يستقر عندها المشهد فقط في أسماعنا، ويصبح حزينا بداخلنا كوطن مذكور - كل هذا طوّقنا بالشك، كحزام غير محكم.

عشنا هناك في زمن ربما لا يمكنه أن يعرف، في مساحة ربما لا يحلم المرء أبدا بقياسها. معرفة حدثت خارج الزمن، مدى واسع لم يحترم معايير الواقع المكاني... كل هذه الساعات قضيناها هناك، أوه يا توأم مللي العقيم! كل هذه الساعات من القلق البهيج الذي تظاهر بأنه يخصنا!... كل هذه الساعات من الرماد الروحي وأيام الحنين المكانيوالقرون الداخلية للمشهد الخارجي... ولم نسأل لما كل هذا؛ لأننا استمتعنا بمعرفة أن كل هذا من أجل لا شيء.

هناك عرفنا بالحدس، والذي لم يكن حدسنا بالتأكيد، أن هذا العالم المحزن الذي ننقسم فيه إلى اثنين كائن – لو لم يكن موجودا – وراء أبعد صف حيث ما تكون الجبال إلا أشكالا ضبابية، وعرفنا أن وراء هذا الصف لم يكن هناك شيء. وهذا التناقض هو الذي جعل الوقت الذي قضيناه هناك مظلما ككهف في بلدة مؤمنة بالخرافات، ووعينا بالتناقض كان غريبا، كصورة ظلية لمدينة بربرية في سماء خريفية وقت الشفق...

في أفق أسماعنا، طوّقت بحار مجهولة شواطئا لن نستطيع رؤيتها أبدا، وكان من دواعي سرورنا أن نسمع –وأن نرى بداخلنا– ذلك البحر الذي أبحرت فيه المراكب الكبيرة بلا شك، والنهايات الأخرى إلى جانب تلك المفيدة التي تسود الأرض.

أدركنا فجأة، عندما يدرك الشخص أنه على قيد الحياة، أن الهواء كان مليئا بأصوات الطيور وأننا مشبعين بضجة الأوراق العالية - مثل الساتان المشبّع بعطر قديم–بدرجة أكبر من وعينا بسماعها.

وبالتالي، فتغريد الطيور، وهمس الأشجار، وأعماق البحر الأبدي الرتيبة المنسية طوّقت حياتنا المهملة بهالة عدم معرفة تلك الحياة مرة أخرى. استسلمنا هناك للنوم بعيدا عن أيام اليقظة، سعداء بأننا لا شيء، بأننا

لا تملك رغبات أو آمال، بأننا نسينا لون الحب ومذاق الكراهية. ظننا أننا مخلدين...

عشنا هناك ساعات شعرنا فيها بشعور جديد، ساعات من النقص الفارغ والذي بدا مثاليا، منحرفا تماما نحو يقين الحياة المستطيلي... ساعات إمبراطورية مقسمة، ساعات متشحة بأردية أرجوانية مهترئة، ساعات سقطت في هذا العالم من عالم آخر، عالم يتباهى بامتلاكه قلقا أكثر تفككا، والتمتع بكل ذلك لهو أمر مؤلم، مؤلم حقا ... فرغم المنفي السلمي الذي عشقنا، تمطّق المشهد انتمائنا إلى هذا العالم، غرق في أبهة ملل غامض، حزين وشاسع وفاسد كانحلال امبراطوية غير معروفة...

في ستائر مظللنا يكون الصباح هو ظل الضوء. شفتي، والتي أعلم أنها شاحبة، تتذوق بعضها البعض وكأنها لا ترغب في الحياة.

هواء غرفتنا اللالونية ثقيل كستارة عبر مدخل. اهتمامنا النعسان بسر كل هذا يعرج يبطء كبطانة رداء مجرور على الأرض خلال حفل أقيم وقت الشفق.

أي من أشكال الحنين الذي نشعر به ليس لديه سبب للوجود. نظرتنا اليقظة لهي سخافة يسمح بها خمولنا. لا أعرف أي ظل يغطي فكرتنا عن أجسادنا. التعب الذي نشعر به هو ظل التعب. يأتي من بعيد، كفكرة أن حياتنا موجودة... لا يمتلك أحدنا وجودا أو اسما معقولا. إذا استطعنا أن نكون مفعمين بالضجيج إلى حد تصوّر أنفسنا ونحن نضحك، سنسخر بلا شك من اعتقادنا أننا نعيش. البرودة الدافئة تداعب،بالتأكيد بالنسبة لك وكذلك بالنسبة لي، أقدامنا التي تلامس بعضها البعض على نحو مكشوف.

دعونا نوقِف وهمنا حول الحياة وأساليبها. دعونا نرى، يا حبيبتي، من كوننا أنفسنا... دعونا لا نخلع أبدا من إصبعنا الخاتم السحري الذي يستدعي،

عندما يلفه المرء، جنيات الصمت وجان الظلام وعفاريت النسيان...

ومثلما كُنا نفكر فيذكر الغابة، يلوح الأمر مرة أخرى أمامنا، بقوة كما كان من قبل، ولكنه الآن أكثر بؤسا بسبب تعاستنا، وأكثر حزنا بسبب حزننا. فكرتناعن العالم الحقيقي ترى في وجودها كضباب مشتت، ومرة أخرى أمتلك نفسي في حلمي المتجوّل، المقام في تلك الغابة الغامضة...

الزهور، آه، الزهور الكائنة حيث عشت! زهور عرفتها أعيننا وترجمتها إلى أسمائها... زهور جمّعت أرواحنا عطرها - تجمّع ليس من الزهور، ولكن من لحن أسمائها... زهور تشبه أسماؤها، المتكررة بتسلسل، الفرق الموسيقية للعطور المرددة للأصداء... أشجار أعطت شهوانيتها الخضراء ظلا باردا لأسمائها... فواكه كانت أسماؤها بمثابة غرق الأسنان في روح لبّها... ظلال كانت بمثابة آثار سنوات ماضية سعيدة... أراض مقطوعة الأشجار، أراض زاهية مقطوعة الأشجار، والتي كانت بمثابة ابتسامات واسعة للمشهد، وبعد كل ابتسامة كانت تتثاءب. أوه، أيتها الساعات متعددة الألوان!... لحظات كالزهور، دقائق كالأشجار، أوه أيها الوقت المتجمد في الفضاء، الوقت الميت في الفضاء والمغطى بالزهور، بعبير الزهور، وعبير أسماء الزهور!...

***

الجنون الخيالي في ذلك الصمت الموحش!

كانت حياتنا كل الحياة... حبنا كان عطر الحب... عشنا ساعات مستحيلة، مليئة بكوننا أنفسنا... وكل ذلك بسبب أننا نعلم، بكل جزء في أجسادنا، أننا حقيقة واقعة ...

كُنا مجردين، خالين من النفس، شيء آخر تماما... كُنا ذلك المشهد المتبدد في وعيه الذاتي... ومثلما كان مشهدين، في واقع الأمر كان مشهدا ووهمه، لذلك كنا اثنين على نحو غامض، لا يعرف أي منا بشكل مؤكد ما إذا كُنا

الآخرين فعليا أم أن هذا الآخر غير المؤكدة قد عاش...
عندما خرجنا فجأة إلى ركود البرك، شعرنا برغبة في البكاء... فالمشهد هناك له عينين مليئتين بالمياه.

لايوجد أحد هناك، ياله من شيء مرعب ومبهج في آن واحد، إننا لا شيء؛ فلم نكن نحن... ليس لدينا حياة للموت حتى يجب علينا قتلها. كُنا ضعفاء ومتواضعين للغاية لدرجة أن الرياح التي تهب تركتنا متمددين، وداعبنا مرور الوقت كنسيم يرعى قمم النخيل.

لا ننتمي إلى أي عصر وليس لديناهدف. بالنسبة لنا، الهدف النهائي لكل الكائنات والأشياء ظلّ عند باب جنة الغياب. أصبحت الأرواح الكائنة في كل مكان حولنا لتشعر بنا ونشعر بها ساكنة تماما: بدءً من الروح الخشبية للفروع وصولا إلى روح أوراقها، بدءً من روح الزهور البالغة حتى روح الفواكه المتدلية... وبالتالي أمتنا حياتنا، عن قصد فردي للموت لدرجة أننا لم نلاحظ أبدا أننا واحد فقط، أن كل منّا وهم للآخر، وأن كل منّا - كذات منفصلة–لم يكن شيئا بداخله سوى صدى لتلك الذات ... ذبابة تطن، صغيرة وليست على يقين.

بزغت أصوات خافتة ومشتتة، لكن محددة في وعيي، تخبر وعيي بغرفتنا بحقيقة أن الفجر قد بزغ... غرفتنا؟ غرفتي وغرفة مْن أيضا، إذا كنتُ هنا وحدي؟ لا أعرف. يمتزج كل شيء، وكل ما يتبقى هو ضباب.

طلع الصباح، كما لو كان قد سقط من قمة شاحبة للزمن. لقد مات المشاركون في أحلامنا، يا حبيبتي، في موقد حياتنا. دعونا نتخلى عن وهم الأمل الخادع، عن وهم الحب المنهك، عن وهم الحياة المتخم، ولكنه لا يشبع أبدا؛ بل دعونا نتخلى عن وهم الموت الذي يجلب أكثر مما نريد وأقل مما نأمل. دعونا نتخلى عن هذا المحجوب، نتخلى عن مللنا الذي

يُبلي ذاته ولا يجرؤ على أن يكون كل ذلك القلق الذي هو كنهه. دعونا لا نبكي، لا نكره، لا نرغب. دعونا نضع غطاء من الكتان الناعم يا توأم الروح الصامت، الموتى، لمحة قوية لنقصنا.

***

بحيرة الامتلاك (١)

أرى الامتلاك بحيرة غريبة - كبيرة للغاية ومظلمة للغاية، وضحلة للغاية. يبدو الماء عميقا فقط لأنه ملوث. الموت؟ ولكن الموت جزء من الحياة. هل متُّ تماما؟ لا أعلم شيئا عن الحياة. هل بقيتُ على قيد الحياة؟ لا أزال على قيد الحياة. أحلم؟ ولكن الحلم جزء من الحياة. هل نحيا في أحلامنا؟ نعيش. هل نحلم فقط؟ نموت. والموت جزء من الحياة. الحياة تتابعنا كظلنا. وهذا الظل يختفي فقط عندما لا يكون هناك شيء سوى الظل. تتوقف الحياة عن متابعتنا فقط عندما نستسلم لهذا الظل.

أكثر الأمور المؤلمة والمتعلقة بالحلم هو عدم وجودنا. في الواقع، لا يمكننا أن نحلم. ماذا يعني الامتلاك؟ لا نعلم؛ لذا كيف يمكن امتلاك أي شيء؟ ستقول أننا لا نعرف ما هي الحياة، ومع ذلك نعيش ... ولكن هل نعيش حقا؟ أن تعيش دون أن تعرف ما هي الحياة – أتلك حياة؟

***

الميلمترات

(إحساس الأشياء المتواضعة)

الحاضر قديم؛ لأن كل شيء من الماضي كان في الحاضر عندما كان وُجِد، وبالتالي لدي ولع التاجر العتيق تجاه أشياء معينة لأنها تنتمي إلى الحاضر، وأشعر بغضب غير مسبوق تجاه من يحاول استبدال مفاهيمي الخاطئة بأخرى معقولة ويمكن إثباتها ... حجج قائمة على أسس علمية.

النقاط المختلفة التي يشغلها المخزن تباعا في الفضاء هي أشياء مختلفة تبقى أمام عيني المذهولتين مرئية في الفضاء. ذكرياتي لا حصر لها، ولكن

أرق أحاسيس أكثرها تواضعا هي التي أعيشها بشكل مكثف. ربما يرجع ذلك إلى حبي للعبث. أو ربما يرجع ذلك إلى اهتمامي بمزيد من التفاصيل، ولكني أميل إلى الاعتقاد - لا أستطيع أن أقول أنني أعلم، فهذه أمور لا أكلف نفسي عناء تحليلها - في أن ذلك يرجع إلى أنها أشياء متواضعة ليس لها أي أهمية اجتماعية أو عملية، ولهذا السبب بالذات فهي خالية تماما من أي ارتباطات دنيئة مع الواقع. الأشياء المتواضعة تبدو لي غير واقعية. ما هو غير مجدي يكون جميلا لأنه أقل واقعية مماهو مفيد والذي يتواصل ويمتد، في حين أن ما هو غير مجدٍ وما هو صغير بشكل كبير يظل في مكانه وعلى حالته، يعيش بحرية واستقلالية. ما هو غير مجدٍ وعقيم يفتح بتواضع فواصلا جمالية في حياتنا الحقيقية. كم تمتزج الأحلام والمسّرات المثيرة في روحي بسبب وجود سقيم لدبوس في الشريط! ياللخسارة على أولئك الذين لا يدركون مدى أهمية ذلك!

من بين الأحاسيس التي تعذبنا روحيا لدرجة أنها تصبح ممتعة، القلق الذي يثيره غموض العالم هو القلق الأكثر شيوعا وتعقيدا. ولا يتبدى هذا الغموض بشكل أكثر وضوحا من حاله عندما نتأمل الأشياء الصغيرة التي لا تتحرك والتي تكون بالتالي شفافة تماما، مما يسمح لغموضها أن يعلن عن نفسه. من الأصعب أن تشعر بالغموض عندما تتأمل معركة (وبالتالي فإن تأمّل عبثية كونهم بشر ومجتمعات ووجود صراعات بينهم هو أكثر ما يمكن أن ينشرفي أذهاننا عصر الانتصار على الغموض) مقارنة بتأمّل حجر صغير على الطريق، والذي لن يعيد إلى الأذهان أي فكرة أبعد من وجوده، وهو ما سيقودنا بطبيعة الحال وبالضرورة - إذا ما واصلنا التفكير فيه – إلى البحث في سر وجوده.

لتكن اللحظات والميلمترات وظلال الأشياء المتواضعة مباركة، والتي تعد أكثر تواضعا من الأشياء ذاتها! اللحظات..... الميلمترات –كم أذهلتني جرأتها للوجود بجانب بعضها البعض على شريط القياس. في بعض الأحيان تدفعني

هذه الأشياء للمعاناة أو للفرح، ثم أشعر بنوع من الفخر الداخلي.

أنا لوحة تصوير فائقة الحساسية. جميع التفاصيل منقوشة بداخلي أمام الجميع. اللوحة لا يملأها سواي. العالم الخارجي الذي أراه هو إحساس نقي. لن أنس أبدا أنني أشعر.

***

سيدة الصمت

في بعض الأحيان، عندما أشعر بالاحباط والاكتئاب، تفقد قدرتي على الحلم أوراقها وتذبل، ويكون نوع الحلم الوحيد الذي أمتلكه هو التأمل في أحلامي، فأتصفحها، ككتاب يتصفحه المرء ولا يجد به شيئا سوى كلمات يتعذر اجتنابها. فأسأل نفسي: من أنت، أنت تلك الصورة التي تجتاز كل رؤياي الضعيفة لمناظر طبيعية غير معروفة وبواطن قديمة ومواكب رائعة للصمت. في كافة أحلامي تظهر في شكل حلم أو ترافقني كواقع كاذب. أزور معك مناطق ربما تكون أحلامك، وأراض ربما تكون أجسادك الخاصة بالغياب والوحشية. جسدك الأساسي تحلل على شكل سهل هامد، وتل قاس، على أرض في مكان سري. ربما لا أحلم إلا بك. ربما أقرأ في عينيك، عندما يدنو وجهي من وجهك، تلك المناظر البغيضة، ذلك الملل غير الواقعي، تلك المشاعر التي تُسكن ظلال تعبي وكهوف قلقي. ربما المناظر الطبيعية لأحلامي هي طريقي لعدم الحلم بك. لا أعرف من أنت، ولكن هل أعرف على وجه اليقين من أنا؟ هل أعرف حقا ما الذي يعنيه الحلم بحيث أستطيع أن أعرف ما الذي يعنيه أن أسميك حلمي؟ كيف لي أن أعرف أنك لست جزءً مني، بل وربما الجزء الحقيقي والضروري؟ وكيف لي أن أعرف أنني لستُ الحلم وأنت الواقع، وأنني حلمك بدلا من أن أكون حلمي؟

أي نوع من الحياة تحيا؟ بأي طريقة للرؤية أراك؟ صورتك الجانبية؟ لن تكون متطابقة أبدا، ومع ذلك لن تتغير أبدا. أقول ذلك لأنني على علم به،

دون أن أعرف أنني أعرفه. جسدك؟ لن يتغير سواء كان عاريا أم مكسوا، وبنفس الوضع سواء كنت جالسا، أم، واقفا، أم مستلقيا. ما معنى ذلك الذي لا يعني شيئا؟

حياتي حزينة للغاية، ولا أفكر حتى في رثائها؛ أيامي كاذبة للغاية، ولا أحلم حتى بمحاولة تغييرها. كيف يمكنني ألا أحلم بك؟ سيدة الساعات العابرة، سيدة المياه الراكدة والأعشاب البحرية المتعفنة، إلهة الوصاية على الصحاري المترامية والمناظر الطبيعية السوداء للمنحدرات الجرداء – أنقذني من شبابي.

معزي البائسين، دموع هؤلاء الذين لا يبكون أبدا، ساعة لا تدق أبدا - نجني من الفرح والسعادة.

أفيون كافة صنوف الصمت، قيثارة لم ينقر عليها، نافذة المسافة والمنفي ذات الزجاج الملطخ–كل ذلك جعلني مكروها من قِبل الرجال ومحتقرا من قِبل النساء.

صنج حماس بالغ، مداعبة لا تثير، حمامة ميتة في الظل، سيل من الساعات يمضي في الحلم - أنقذني من الدين، لأنه حلو، ومن الشك، لأنه قوي.

زنبق يتدلى في فترة ما بعد الظهر، صندوق تذكار يحتوي على ورود ذابلة. الصمت بين الصلوات – يملأني بالاشمئزاز لكوني على قيد الحياة، بالاستياء لكوني متمتعا بصحة جيدة، وبالاحتقارلشبابي. اجعلني بلا فائدة وعقيما، أوه، يا مأوى كل الأحلام الضبابية! اجعلني نقيا بلا سبب، وكاذبا بلا تحيز،أوه، أيتها المياه الجارية للتجربة الحزينة! اجعل شبابي منظرا طبيعيا متجمدا، وعيني بركتين راكدتين، وملامحي الذبول البطيء للأشجار العجوزة، أوه، يا ابتهالات القلق! أوه، قداس الإرهاق الملكي! أوه، أيها التويج! أوه، أيها

السائل المقدس! أوه، أيها الصعود! يا للخسارة! يجب أن أصلي إليك كما أصلي للمرأة، ولكن لا أستطيع أن أحبك كما يحب المرء الرجل، لا أستطيع الاحتفال بعيني الحالمتين بك كالفجر العائد للجنس غير الحقيقي لهؤلاء الملائكة الذين لم يدخلوا الجنة!

في صلاتي لك أمنحك حبي؛ لأن حبي هو في حد ذاته صلاة، ولكني لا أفكر بك كحبيبتي ولا أراك أمامي قديسة. روعة لا شيء، اسم من الهاوية، سلام من الجانب الآخر. عذراء خالدة، عاشت قبل الآلهة، قبل آباء الآلهة، وقبل أجداد الآلهة، عذراء محرومة من كل العوالم، عذراء محرومة من جميع الأرواح...

إليك نرفع كل الأيام وجميع الكائنات؛ النجوم عطايا نذرية في معبدك؛ وتعب الآلهة يعود إلى صدرك كعودة الطير إلى العش الذي بناه دون أن يعرفكيف. من ذروة المعاناة يمكننا أن نرى الغد قادما! ولو لم نر أي يوم قادم، إذن ليكن ذلك هو اليوم القادم! السطوع، وغياب الشمس! الوهج، وتلاشى القمر!... أنت فقط، أيتها الشمس الباهتة، تضيئين الكهوف، فالكهوف بناتك. فقط أنت، أيها القمر غير الواقعي، من يعطي الكهوف.

جنسك هو جنس أشكال الأحلام، الجنس العقيم للصور. الآن مظهر غامض، والآن مجرد وضع، وأحيانا مجرد إشارة ضعيفة - أنت لحظات وأوضاع والتي أصبحت ملكا لي بعد أن أصبحت روحية. حلمي بك لا يعني انبهارا بجنسك، مع ما يكمن أسفل ردائك السماوي، أوه، يا سيدة الصمت الداخلي! صدرك ليس من النوع الذي يتصور المرء تقبيله. جسدك بدن روحاني، ومع ذلك فهو جسد، وليس روحا. جوهره ليس روحيا، بل هو الروحانية. أنت المرأة قبل السقوط، لا تزالين نحتا مصنوعا من طين الجنة. خوفي من المرأة الحقيقية فيما يتعلق بالجنس هو الطريق الذي أحضرني إليك. كيف يمكن للمرء أن يحب نساء الأرض، من يجب أن يتحمل تحوّل

نفوذ الرجل الموجود؟ كيف يمكن لحب المرء ألا يذبل في الرؤية المستقبلية للسرور الذي يخدم الجنس؟ من يمكنه تبجيل الزوجة دون أن يتعرض لهجوم فكرة أن من تتم مجامعتها هي المرأة؟ من لا يسعه سوى أن يحتقر أن يكون له أما ولدته من فرجها بشكل كريه؟ كيف لنا ألا نحتقر أنفسنا عندما نفكر في الأصل الشهواني لروحنا؛ لذلك الجسد القَلِق الذي يجلب أبداننا إلى العالم، ولكن مهما كان ذلك البدن جميلا، فهو قبيح بحكم أصله، مكروه لأنه مولود. كذب، مثالو الحياة الواقعية يكرّسون قصائد للزوجة ويركعون لفكرة الأم ... مثاليتهم هي الرداء الذي لا يخفي حلما مُبدِعا. أنت وحدك نقية يا سيدة الأحلام، من يمكنني تصورها كعاشقة دون أن أتصور أي وصمة، فأنت غير حقيقية. يمكنني تصورك كأم وأعشقك؛ لأنك لم تدنسي أبدا بهول الجماع أو الولادة.

كيف لا أعشقك عندما تكونين وحدك فاتنة؟ كيف لا أحبك عندما تكونين بمفردك مستحقة للحب؟

ربما بحلمي بك أتصورك، حقيقية في واقع آخر؛ ربما تكونين هناك ملكا لي، في عالم مختلف ونقي حيث نحب بعضنا البعض دون أجساد ملموسة، دون نوع آخر من العناق وغيره، أعني الأشكال المثالية للامتلاك. ربما لم أتخيلك؛ ربما كنت موجودة بالفعل، ورأيتك فقط برؤية مختلفة - نقية وروحية - في عالم مثالي آخر. ربما يكون حلمي بك هو ببساطة عثوري عليك، وحبي لك هو فقط تفكيري بك. ربما كان ازدرائي للجسد وكرهي للحب هما الرغبة الغامضة التي جعلتني أنتظرك وأنا غير واعٍ بوجودك؛ ربما كان أملي غير الأكيد الذي جعلني أحبك دون أن أعرفك.

قد تكون المسألة أنني أحببتك بالفعل في مكان غامض، وأن حنيني لذلك الحب هو ما يجعل كل شيء في حياتي الحالية مصدرا للضجر. ربما تكونين مجرد حنيني لشيء ما، تجسيدا لغياب ما، وجود مسافة ما، إناث لأسباب

لا تتعلق بكونك أنثى.

أستطيع أن أفكر بك كعذراء وكأم على حد سواء، لأنك لا تنتمين إلى هذا العالم. الطفل الذي تحملينه بين ذراعيك لم يكن أبدا أصغر سنا. لم تكوني أبدا خلاف ما أنت عليه، فكيف يمكن ألا تكوني عذراء؟ يمكنني أن أحبك وأعشقك، فحبي لا يمتلكك وعشقي لا يضعك على مسافة بعيدة.

لتكوني اليوم الخالد ولتسمحي لغروب شمسي أن يكون من أشعة شمسك، جزء لا يتجزأ منك.

لتكوني شفقا غير مرئٍي، وليكن قلقي وحنيني ظلال ترددك، ألوان شكك. لتكوني الليلة المطلقة، الليلة الوحيدة، التي أفقد وأنسى فيها نفسي تماما، والتي تتوهج فيها أحلامي كنجوم على جسدك البعيد والمنفي ... اسمحي لي أن أكون طيات ردائك وجواهر تاجك والذهب الغريب في خواتم أصابعك.

سيدة اللامعقوليات، نصيرة العبارات التافهة، يا ليت صمتك يحتضنني وياليت صدرك يهدهدني. يا ليت نقاؤك يداعبني ويريحني ويخفف آلامي، أوه يا سيدة الباكورة من الجانب الآخر، يا امبراطورة الغياب، يا والدة الصمت العذراء! يا موقد الأرواح الباردة، يا ملاك البائسين الحارس،أوه، أيها يا المشهد غير الواقعي والإنساني للحزن، أيها الكمال الأبدي!

إنك لست امرأة. إنك حتى لا تثيرين بداخلي أي شيء. فقط عندما أتحدث عنك تناديك الكلمات بالأنثى وترسم العبارات ملامح امرأة. لا يسعني إلا أن أتحدث عنك برقة ورد حالم، وتجد الكلمات صوتا لها فقط من خلال مخاطبتك كامرأة، لكنك، في جوهرك الغامض، لا شيء. ليس لديك واقع، ولا حتى واقع ينتمي إليك فقط. بالمعنى الدقيق للكلمة، لا أراك أو حتى أشعر بك. أنت كالشعور الذي يعد هدفه هو ذاته، والمدرج بالكامل في قلب وجوده. أنت دائما المشهد الذي كانت عيني على وشك النظر إليه، ضائعا في الأبدية، والآن وراء منعطف الطريق. ملامحك هي عدميتك، وكفاف

جسدك غير الواقعي يتمزق، إلى للآلئ منفصلة، قلادة فكرة. لقد مررت بالفعل، لقد ذهبت بالفعل، ولقد أحببتك بالفعل - هذا هو ما أشعر به عندما أشعر بوجودك.

أنت تشغلين فراغات أفكاري وفجوات مشاعري، وهذا هو السبب عدم تفكيري بك أو إحساسي بك، ولكن أفكاري معقودة بشعوري بك، ومشاعري باردة باستحضارك الجليل.

قمر الذكريات المفقودة على المشهد الأسود والفارغ بشكل واضح لوعيي الذاتي بالنقص. وجودي يشعر بك بغموض، كما لو كان أحد نطاقاتك هو الذي يشعر بك. أميل على وجهك الأبيض الذي ينطق في المياه الليلية لقلقي، مع العلم أنك قمر سمائي الذي يتسبب في ذلك، أو قمر غريب تحت الماء الغريب والذي يختلق ذلك بطريقة أو بأخرى.

آه، لويتمكّن شخص من خلق عيون جديدة أستطيع من خلالها أن أراك، أو خواطر ومشاعر جديدة يمكنني من خلالها أن أفكر بك وأن أشعر بك!

عندما أذهب لأتلمس رداءك، ترهق تعبيراتي من مجهود مد يديها ويتجمد التعب المؤلم، و بالتالي يطوّق مرأى طير ما تمنيت أن أقوله عنك، ذلك الطير الذي يبدو قريبا، ولكنه لا يصل أبدا، جوهر عباراتي لا يمكنه تقليد جوهر صوت خطاك الرقيقة، أو امتداد نظرتك البطيئة، أو اللون الحزين الفارغ الذي تتبعه لفتات لم تقومي بها أبدا.

وإذا وجب عليّ أن أتحدث مع شخص ما بعيدا، وإذا وجب عليك، يا من أنت اليوم سحابة الاحتمال،أن تسقط غدا كسقوط مطر الحقيقة على الأرض، لا تنس أبدا أن أصلك السماوي هو حلمي. دعي ماهيتك في الحياة الحقيقية، أيا كانت، بمثابة حلم شخص وحيد، وليس بمثابة ملجأ لعاشق.

قومي بواجبك كوعاء. أشبعي مهمتك كقارورة ضيقة عديمة الفائدة. لا تدعي أحدا أبدا يقول عنك ما يمكن أن تقوله روح النهر عن ضفافه: أنها موجودة لحجزه. كان من الأفضل ألا يتدفق في الحياة، كان من الأفضل أن يترك الحلم يجف.

يا ليت جوهرك يكمن في كونه خرافيا، يا ليت حياتك تكون فن التحديق في حياتك، التحديق فيها، وألا تكون أبدا متطابقة. لا تكوني أبدا أكثر من ذلك.

أنت اليوم لست سوى ملامح مبتدعة من هذا الكتاب، لحظة مجسدة ومفصولة عن اللحظات الأخرى. إذا كنت على يقين أن هذه ماهيتك، سأجد دينا في حلم حبك.

أنت كل ما هو ناقص. أنت كل ما هو مفقود في كل شيء يسمح لنا بحبه إلى الأبد. المفتاح المفقود لأبواب المعبد، الممر السري للقصر، جزيرة بعيدة يخفيها الضباب إلى الأبد عن الأنظار.

***

رسالة بيدرو الرعوية

لا أعرف أين أو متى رأيتك. لا أعرف ما إذا كان ذلك في صورة أو في الريف الفعلي ذي العشب الحقيقي والأشجار التي تنمو حول جسدك، ولكن ربما كان ذلك في صورة، رعوية للغاية ومقروءة في ذاكرتي عنك. ورغم أنني لا أعرف متى حدث ذلك أو ما إذا كان حدث حقا أم لا (فربما لم أرك حتى في صورة)، أعلم وباقتناع كامل أنها كانت أكثر لحظة سلمية في حياتي.

نزلت بهدوء أسفل امتداد الطريق الواسع، راعية ومعها ثور ضخم وديع. أعتقد أنني أتذكر رؤيتك من بعيد، وسرت باتجاهي ومررت بي. لم يبد أنك لاحظت وجودي. سرتِ ببطء وغافلة عن الثور الكبير. نظرتك محت كل ذكرى، وكشفت عن وجود صفاءً واسعا في حياتك الداخلية: وعيك بالذات

تخلى عنك.

وعندما رأيتك، تذكرتُ أن المدن تتغير، ولكن الحقول أبدية. إذا أسمينا الصخور والجبال "توراتية"؛ فذلك لأنها متأكدة تماما مثل جبال وصخور الأوقات "التوراتية". وضعت في الصورة المرحّبة لهيئتك المجهولة كل ما أثارته البلدة بداخلي وكل السلام الذي لم تعرفه روحي إلا عندما تفكر بك. سرت بإيقاع خفيف، تمايل غامض، وحط طيرعلى كل لفتة من لفتاتك؛ كرم غير مرئي يجرح ما حول صدرك. صمتك -واليوم يشرف على الانتهاء والقطعان المجلجلة تثغو بتعبها على المنحدرات التي اتخذت اللون الرمادي- صمتك كان أغنية الراعي الأخير، من استبعد من نشيد الرعاة التي لم يكتبها فرجيل أبدا، وبالتالي تُغّنى أبدا، وظلت إلى الأبد صورة ظلية تتجول في الحقول. من الممكن أنك كنت مبتسمة لنفسك، لروحك، وأنت ترين نفسك مبتسمة في ذهنك، ولكن شفتيك كانت ثابتة كحدود الجبال، وإشارة يديك الخشنة،التي لا أتذكرها، كانت مكللة بزهور من الحقول. نعم، لقد رأيتك في صورة، ولكن من أين أتيت بفكرة أنني رأيتك تقتربين وتمرين بي بينما واصلتُ سيري ولم ألتفت حولي حتى لمرة واحدة، حيث كنتُ لا أزال أستطيع رؤيتك، آنذاك ودائما؟ يتوقف الوقت فجأة ليسمح لكِ بالمرور، وأسيء فهمك تماما عندما أحاول وضعك في الحياة، أو فيما يشبهها.

***

بهو معمد

كان ذلك في صمت قلقي، في ساعة النهار التي يكون فيها المشهد عبارة عن هالة من الحياة ويكون الحلم فيها مجرد حلم، حبي، الذي أنتج هذا الكتاب الغريب كأبواب مفتوحة لمنزل المهجور.

جمعت كل أرواح الزهور لأكتب عنها، وأنسج منذ لحظات تحية كل أغنية لكل طير الخلود والركود. وكناسج ثابت، جلستُ عند نافذة حياتي ونسيتُ أن عشتُ هناك ووجدت، مكفنا مللي في الكتان العفيف الذي نسجته

لمذابح صمتي.....

أهديك هذا الكتاب؛ لأنني أعرف أنه جميلة وغير مجدٍ. لا يعلم شيئا ولا يلهم إيمانا ولا يثير شعورا. مجرد تيار يتدفق نحو هاوية من رماد نثرته الرياح، لا ينفع ولا يضر بالتربة.....

أكرّس روحي كلها لصنع ذلك، ولكن دون التفكير فيه وأنا أصنعه؛ فأنا أفكر في نفسي فقط، الحزينة، وأفكر بك، يا من لست أحدا.

ولأن هذا الكتاب غريب، أحبه؛ لأنه لا طائل منه، أريد أن أتخلص منه؛ لأنه لا يخدم أي غرض حتى أريد أن أعطيك إياه، أعطيه لك ... ادع لي وأنت تقرأه، باركني بحبه، وانسه كما تنسى شمس اليوم شمس الأمس، كما أخرجت النساء من أحلامي؛، فلم أكن بارعا أبدا في الحلم، يا ليت هذا الكتاب يكون بمثابة ضوء القمر الذي حولّك في ليلة السر القديم! نهر النقص المؤلم، يا ليت هذا الكتاب يكون بمثابة القارب الذي ينجرف مع مياهك حتى ينتهي به المطاف في البحر المُتخيل! مشهد الوحشة والمنفي، يا ليت هذا الكتاب يكون ملكا لك ككل ساعة، وألا يكون محدودا بك أو بساعة الملكية الكاذبة!

تتدفق الأنهار الأبدية أسفل نافذة صمتي. لم أتوقف أبدا لأرى الشاطئ البعيد، ولا أعرف لماذا لا أحلم بأن أكون هناك، مختلفا وسعيدا؛ ربما لأنك وحدك من تواسي، أنت وحدك من تهدهد، وأنت وحدك من تسكّن الآلام وتقوم بمهمتك. أي قداس أبيض تعترضه لتعطيني نعمة تعريفي بأنك موجود؟ في أي لحظة دوّارة أثناء الرقص تتوقف، والوقت معك، فتجعل توقفك المفاجئ جسرا لروحي وابتسامتك السلطة الملكية لروعتي؟ شاعر القلق الإيقاعي، قيثارة الساعات الخالدة، القيثارة الخافت للأحزان الأسطورية – أنت المنتظر والراحل، من تخفف الآلام ومن تجرح، من تطلي الأفراح بالحزن وتتوج الأحزان بالورود. أي رب خلقك، أي رب والذي يجب

أن يكرهه الله الذي خلق العالم؟

أنت لا تعرف! لا تعرف! لا تعرف! لا تريد أن تعرف أو لا تعرف. أنت مجرد من جميع أغراض حياتك، أحطت ظهورك بهالة عدم الواقعية، كسيت نفسك بالكمال والغموض فلا تقبّلك الساعات، ولا تبتسم الساعات في وجهك، ولا يأتي الليل ويضع القمر، كالزنبق، بين يديك.

اغمرني، يا حبيبي، ببتلات ورود أفضل، بزنابق أروع، بأقحوان معطر بلحن اسمه. سأخمد حياتي فيك، أوه، أيتها العذراء! يا من لا تنتظرها أي أذرع! يا من لا تسعى إليها أي قبلات! يا من لا تستطيع أي فكرة أن تسلب بكارتها. بهو جميع الآمال، عتبة جميع الرغبات، نافذة كل الأحلام

أعلم جيدا أنك غير موجودة، ولكن هل أنا متأكد من وجودي؟ هل أمتلك، يا من خلقتك بداخلي، حياة أكثر واقعية منك، من تلك الحياة الميتة التي تعيشيها؟

لهب متحول إلى هالة، وجود غائب، صمت إيقاعي تعتريه الأنوثة، شفق جسد ناعم، كأس تم استبعاده من المأدبة، نافذة زجاجية ملطخة الملون لرسّام ما - حلم من العصور الوسطى لأرض أخرى. كأس زهرة أنيق بعفة الكأس ويستضيف، مذبحا مهجورالقديس لا زال على قيد الحياة، تويجا لزنبقة متصورة في حديقة لم يدخلها أحد من قبل.

أنت الشكل الوحيد الذي لا يجلب الملل أبد؛ لأنك دائما تتغيرين وفقا لمشاعرنا، تقبلين فرحنا وتهدهدين ألمنا وتعبنا. أنت الأفيون الذي يهدئ، النوم الذي ينعش، والموت الذي يعبر وينضم إلى أيدينا.

ملاك، مما يتكون جناحك؟ ما الحياة التي تحملك وإلى أي أرض – أنت أيها الضوء الذي لا يسطع أبدا، الصعود الفاتر، لفتة النشوة والراحة؟

سيكون حلمي بك هو قوتي، وعندما تتحدث جملي عن جمالك، سيكون لها ألحان ومنحنيات من المقاطع الشعرية موشحات والروائع المفاجئة للأبيات الخالدة.

دعينا نبدع، أوه، يا ذاتي الوحيدة، فن لا مثيل له! أساسه إعجاز وجودك ورؤيتي لهذا الوجود.

يا ليتني أستطيع استخراج روح أبيات جديدة من قارورة ضيقة عديمة الفائدة وهي جسدك! وفي إيقاعك البطيء الهادئ الذي يشبه الموجة، يا ليت أصابعي المرتجفة تجد الخطوط الغادرة لنثر لا يزال عفيفا للآذان الإنسانية!

يا ليت ابتسامتك اللحنية المتلاشية تكون بالنسبة لي رمزا - الشعارالواضح لتنهيدة اختنق العالم المختنق عندما يدرك أنه عبارة عن خطأ ونقص.

يا ليت يدك العازفة على القيثارة تغلق أجفاني عندما أموت من جراء تقديم حياتي لأوجدِك. وأنت، يا من لست أحدا، ستظلين إلى الأبد، أيتها السامية، الفن العزيز للآلهة التي لم يكن لها وجود أبدا، والعاقر، الوالدة العذراء للآلهة الذين لن يكون لهم وجود أبدا.

***

يوميات عشوائية

كل يوم تسيء المادة معاملتي. حساسيتي شعلة تجلدها الرياح. وبينما أسير في الشارع لا أرى في أولئك الذين يمرون بيتعبيرات الوجه التي يحملونها حقا، ولكن التعابير التي كانوا سيحملونها لو علموا ما أنا عليه ونوع الحياة

الذي أعيشه إذا استطاع وجهي وإيماءاتي خداع الشذوذ الخجول والسخيف لروحي. في العيون التي لا تنظر إليّ أظن أن هناك ابتسامات متكلفة،والتي اعتبرها طبيعية فقط، موجّهة إلى جسدي الاستثنائي غير الملائم في عالم من أشخاص يعرفون كيف يتصرفون ويستمتعون بالحياة؛ والفراسة العابرة، المبلّغة من قِبل وعي تخللته ذاتي وفرضته، تبدو وكأنها تصهل بصوت عالٍ في إيماءات حياتي الخجولة. ومع انعكاس كل ذلك، أحاول أن أقنع نفسي أن ما أشعر به من ابتسامات متكلفة وعتاب بسيط يأتيان من داخلي، وحدي، ولكن بمجرد أن يعترض آخرين على صورتي التي تبدو سخيفة، لا يعد بإمكاني قول أنها ملكا لي. أشعر فجأة بالاختناق والتردد في مستنبت زجاجي للسخرية والعداء. يصب الجميع غضبهم عليّ، من أعماق نفوسهم. كل من يمر بي يقذفني بتهكمهم المرِح المزدر. أسير بين الأشباح اللامنتهية التي ابتدعها خيالي المريض ووضعها في أناس حقيقيين. كل شيء يصفعني على وجهي ويسخر مني. وأحيانا في وسط الشارع - حيث لا يلاحظني أحد في الحقيقة – أقف فجأة وأنظر حولي، كما لو كنت أبحث عن بُعد جديد، الباب المؤدي إلى داخل الفضاء، إلى الجانب الآخر من الفضاء، حيث يمكنني أن أهرب من وعيي بالآخرين، من حدسي فائق الموضوعية بالواقع الذي ينتمي إلى الأرواح الحية الأخرى.

هل عادة وضع نفسي في نفوس الآخرين تؤدي بي حقا إلى أن أرى نفسي كما يراني الآخرين أو كما سيرونني إذا لاحظوا وجودي؟ نعم. وبمجرد أن أدرك شعورهم تجاهي لو علموا بوجودي، سيكون الأمر كما لو كانوا قد شعروا حقا بهذا الشعور، كما لو كانوا شعرون تماما بهذا الشعور في تلك اللحظة بالضبط، بل وعبّروا أيضا عما يشعرون به. الارتباط بالآخرين يعد تعذيبا هائلا بالنسبة لي وبالنسبة للآخرين بداخلي. إنني مضطر للارتباط بهم حتى عندما لا يكونون في مكان قريب. كل ذلك بمفردي، وأنا محاطبالحشود. ليس هناك مفر، إلا إذا فررت من نفسي.

أوه أيها التلال الرائعة في الشفق، أوه أيتها الشوارع المختنقة في ضوء القمر، آه لو كنت أمتلك لاوعيك، روحانيتك التي لا تعد إلا مادة بلا أي بُعد داخلي أو حساسية، وليس بها مكان للمشاعر أو الأفكار أو قلق الروح! الأشجار المكتملة والأشجار فقط، باخضرارك الذي يسر الناظرين، الغريب جدا بالنسبة لمشاكلي ومخاوفي، المهدئ الفعّال لقلقي والموجود على وجه التحديد لأنك لا تمتلكين عيونا حتى أراها أو روحا قد تسيء فهمها وتسخر منها لو رأت من خلال تلك العيون! الحجارة على الطريق، الألواح الخشبية هنا وهناك، قذارة الأرض الذي يجهل مصدرها والموجودة في كل مكان، يا شقيقتي، عدم وعيك بروحي يمثل استرخاء مريحا وسلميا بالنسبة لي... الأشياء المضاءة بنور الشمس أو القمر على الأرض.يا والدتي، والدتي الحنون، التي لا يمكنها انتقادي كوالدتي الإنسانية، فأنت تفتقرين إلى الروح التي من شأنها أن تقوم بتحليلي، كما تفتقرين إلى النظرات السريعة التي من شأنها أن تخدع الاعتقادات الشائعة عنيوالتي لن تعترفي بها أبدا لنفسك... محيط واسع، يا رفيقة طفولتي الهادرة التي تهدهديني وتخففي من آلامي، فلأن صوتك ليس إنسانيا، فلا يمكنك بالتالي أن تهمسي أبدا بنقاط ضعفي وأوجه قصوري في آذان بشرية... السماء الزرقاء الواسعة القريبة للغاية من غموض الملائكة...، إنك لا تنظرين في وجهي بعيون خضراء خادعة، وإذا حملت الشمس على صدرك، فلن تفعلي ذلك لإغواءي، وعندما تغطين نفسك بالنجوم، فأنت لا تحاولين أن تبيني لي أنك أسمى... السلام العالمي للطبيعة، الأمومي لأنك لا تعرفيني؛ الهدوء المتحفظ للذرات والنظم، الأخوي في جهلك الكامل عني ... أود أن أصلي لضخامتك وهدوئك كدليل على امتناني لامتلاكك والتمكّن من حبك دون أي شكوك أو ارتياب؛ أود أن أستمع إلى عدم قدرتك على السماع على الرغم من أنك تستمعين إلينا دائما، وأن أكون هدف انتباهك عبر تلك الآذان والعيونالوهمية. أود أ أشعر براحة ملاحظة عدميتك لوجودي، كما لو كان موتا نهائيا، بعيدا، بعيدا جدا، بلا أي أمل في حياة أخرى، بعيدا عن أي إله وإمكانيات الكائنات الأخرى، بلا شيء شهواني، مع اللون الروحي للمادة...

نهر الامتلاك

كوننا أننا جميعا مختلفون هي حقيقة مسلم بها بالنسبة لطبيعتنا الحقيقية. إننا نشبه بعضنا البعض ولكن ذلك الشبه لا يعد شبها كبيرا، وبالتالي، لا نكون أنفسنا. والحياة لهذا السبب مخصصة لما هو غير محدد، ومن يستطيعون التأقلم فيها هم فقط أولئك الذين لا يقيدون أنفسهم؛ ومن هم لا أحد أيضا.

كلٌ منا عبارة عن شخصين، وعندما يتلاقى شخصان، بالاتصال أو الانضمام إلى بعضهما البعض، من النادر أن يتوافق أربعتهم. إذا كان الرجل الذي يحلم في الرجل الذي يتصرف في كثير من الاحيان على خلاف معه، كيف لا يسعه إلا أن يكون على خلاف مع الرجل الذي يتصرف والرجل الذي يحلم في الرجل الآخر؟

كل حياة، لأنها حياة، قوة متميزة، وكلٌ منا يميل بشكل طبيعي نحو نفسه، ويتوقف عند أشخاص آخرين على طول الطريق. إذا كان لدينا ما يكفي من احترام الذات حتى نجد أنفسنا مثيرين للاهتمام، يشكل كل القادمون معا صراعا. الآخر دائما عقبة بالنسبة لأولئك الذين يسعون في طريقهم. ومن لا يسعون هم فقط السعداء، فحيث أنهم لا يسعون لشيء، فهم يمتلكونه بالفعل، وأن تمتلك بالفعل - مهما كانت ماهية ذلك الشيء - هو أن تكون سعيدا، بالضبط كاعتبار عدم التفكير أفضل جزء من الثراء.

أنظر إليك بداخلي، عروس متخيلة، ونبدأ في الاصطدام حتى قبل أن يكون لكِ وجود. عادتي تخيلي للأشياء يعطيني بوضوح مفهوما دقيقا عن الواقع. من يحلم بلا حساب يجب أن يعطي واقعا لأحلامه. ومن يعطي واقعا لأحلامه يجب أن يمنحها توازن الواقع، ومن يعطي توازن الواقع لأحلامه، سيعاني من واقع الحلم بقدر معاناته من واقع الحياة، وعدم واقعية أحلامه بقدر شعوره بأن الحياة غير واقعية.

إنني في انتظارك، في حالة خيالية، في غرفة نومنا ذات البابين، أحلم أنني أسمع صوت خطاك وأنت تقترب، وفي حلمي قمت تدخل من الباب الأيمن، وإذا دخلت بالفعل من الباب الأيسر، سيكون هناك اختلافا بينك وبين حلمي. تتلخص المأساة الإنسانية بأكملها في هذا المثال البسيط لكيفية أن من نفكر بهم لا يشبهون أبدا من هم في الحقيقة.

يتطلب الحب التطابق مع شيء مختلف، وهو ما ليس ممكنا منطقيا، وكذلك في الحياة الحقيقية. الحب يريد التملُّك، يريد أن يضع بداخله ما يجب أن يظل خارجه؛ وإلا فإن التمييز بين ما هو عليه وما يضعه بدخله لن يصبح ممكنا. الحب هو الاستسلام، وكلما زادت درجة الاستسلام كلما زاد الحب، ولكن الاستسلام الكامل يعني أيضا تسليم وعيه بالآخر؛ ولذلك فإن أعظم حب هو الموت، أو النسيان، أو النكران – أي كافة الأمور التي تجعل الحب سخيفا.

في الشرفة القديمة للقصر الواقع على شاطئ البحر، سنفكر مليّا في صمت في الفرق بيننا. كنتُ الأمير وكنتِ الأميرة، على الشرفة المطلة على البحر، وُلد حبنا أثناء لقاءنا، بنفس الطريقة التي ولد بها الجمال عندما التقى القمر بالأمواج.

يريد الحب الامتلاك، لكنه لا يعرف ما هو الامتلاك. لو لم أكن نفسي، كيف يمكنني أن أكون ملكا لك، أو تكونين أنتِ ملكي؟ لو لم أملك ذاتي، كيف يمكنني امتلاك كائن غريب؟ لو كنت مختلفا عن ذاتي المتطابقة، كيف يمكن أن أتطابق مع ذات مختلفة تماما؟

الحب هو التأمّل الذي يريد التجسد، من المستحيل أن تصر أحلامنا على أن تكون واقعا ملموسا.

أأتحدث عن الميتافيزيقا؟ ولكن الحياة بأكملها ميتافيزيقا في الظلام، ذات تمتمة غامضة للآلهة وطريق واحد فقط ليتم المضي فيه، وهو جهلنا بالطريق الصحيح.

إن الجانب الأكثر غدرا من انحطاطي هو حبي للصحة والوضوح. لقد شعرتُ دائما أن الجسدالجميل والإيقاع المبتهج للخطوات الشبابية أكثر فائدة في العالم من كل الأحلام التي توجد بداخلي. ألاحظ أحيانا فرحة العجوز النشيط، دون حسد أو رغبة، والأزواج غير الرسميين الذين يأتون في فترة ما بعد الظهر ويسيرون متأبطي الأذرع بلا وعي. إنني عكس مستخدمي الرموز الأفلاطونيين، والذي يعتبر كل كائن وكل حدث بالنسبة لهم ظل وظل فقط للواقع. كل شيء بالنسبة لي يعد نقطة للرحيل، وليس نقطة للوصول. بالنسبة للمشعوذين، كل شيء ينتهي إلى كل شيء؛ بالنسبة لي، كل شيء يبدأ في كل شيء.

أشرع، كما يفعلون، باستخدام القياس والاقتراح، ولكن الحديقة الصغيرة التي تعني بالنسبة لهم نظام الروح وجمالها، لا تعني لي سوى الحديقة الأكبر حيث البعد عن البشر، يمكن لهذه الحياة التعيسة أن تكون سعيدة. كل شيء بالنسبة لي لا يوحي بالواقع والذي هو عبارة عن ظل، ولكن الواقع الذي هو عبارة عن مسار.

إن حديقة النجوم، في وقت متأخر بعد الظهر، توحي لي بحديقة من الأزمنة القديمة، في القرون قبل تحرّر الروح من السحر.

***

فحص الذات

من يعيش الحياة على نحو زائف، في الأحلام، لا يزال على قيد الحياة. النكران فعل. والحلم اعتراف بحاجة المرء للعيش، واستبدال الحياة الحقيقية ببساطة بحياة غير واقعية للتعويض عن الدافع الجامح للعيش.

ما الذي يوازي كل ذلك سوى البحث عن السعادة؟ وهل يبحث أحد عن أي شيء آخر؟ هل أعطتني أحلام اليقظة المستمرة والتحليل اللامنتهي شيئا مختلفا عما منحته لي الحياة؟ الانعزال عن الناس لم يساعدني لأجد نفسي. هذا الكتاب هو حالة واحدة للروح، تم تحليلها من جميع الجوانب وفحصها من جميع الاتجاهات. هل جلب لي هذا الموقف على الأقل شيئا جديدا؟ حتى تلك المواساة ليست ملكا لي. كل شيء قاله هرقليطس وسِفر الجامعة منذ فترة طويلة: "الحياة هي لهو طفل في الرمال ... غرور وإزعاج."، وفي تلك العبارة: روحي أرهقتها حياتي. أستمع إلى نفسي وأنا أحلم. أهدهد نفسي بصوت صوري. ألحان غريبة بداخلي تتضح. عبارة يتردد صداها مع صور تستحق الكثير من اللفتات! يمكن لاستعارة أن تعوّض عن أشياء كثيرة! أستمع إلى نفسي... هناك احتفالات بداخلي، مواكب... أشياء تتلألأ في مللي... كرات مقنّعة... ألاحظ روحي بذهول... مشاكل متواليات مجزأة..... روعة مشاعر ذات خبرة مكثّفة... فُرش ملكية في قلاع مهجورة، مجوهرات الأميرات المتوفيات، خلجان البحر مرئية من خلال فتحات القلاع... الشرف والقوة سيأتيان بلا شك، وأسعد الأرواح ستسير في مواكب في منفاها... فرق موسيقية نائمة، خيوط تطرز حريرا... في لغة باسكال، في لغة فيني، ف،في فيرلاين وعند مستخدمي الرموز، أشعر بتعب بالغ بداخلي، أفعل ما فعله آخرون قبلي لا حصر لهم... أعاني مما هو قديم ومبتذل... لم أفكر في هذه الأشياء في الوقت الذي فكر فيها العديدون بالفعل بل وعانوا منها؟... ومع ذلك، قدمت شيئا جديدا في نهاية المطاف، على الرغم من أنني لست مسؤولا عنه. لقد أتى من الليل وسطع بداخلي كنجمة... لا يمكن لكامل مجهودي أن ينتجه أو أن يضع حدا له... أنا جسر بين لغزين، بلا أي فكرة عن نشأتي.

***

المشاعر

في شفق الفروع الروحانية، مع زوال المعتقدات واعتلاء الغبار لعبادات قديمة، تكون مشاعرنا هي الحقيقة الوحيدة التي حافظنا عليها. الوساوس

الوحيدة التي تساورنا هنا والعلم الوحيد المرضي، هما وساوس وعلم مشاعرنا. أؤمن أكثر من أي وقت مضى بأن الجمال الدوني هو المصير الأعلى والأكثر استنارة الذي يمكننا أن نمنحه لأرواحنا.

***

بحيرة الامتلاك

لا شيء يمكنه اختراق السبب في استحالة الامتلاك، سواء أكانت ذرات أو أرواح، فلا يوجد شيء قابل للامتلاك، بداية من الحقيقة وحتى المنديل. إن الملكية ليست سرقة، لكنها لا تعني شيء.

***

الرسالة الأولى

كنتِ قد رأيتني أنظر إليكِ لعدة أشهر لا اعلم عددها، كنت أنظر إليكِ دائماً بنفس النظرة المترددة القلقة. إنني أعرف أنكِ قد لاحظتٍ ذلك. ربما قد فكرتٍ وقتها، أن هذه النظرة الغريبة، التي لا يمكن أن توصف بالخجل، لا تلمّح بمعنى ما. لقد كانت دائماً نظرة يقظة، وغامضة، ولا تتغير، كما لو كانت راضية بأن تكون حزينة بكل ما يحمله هذا كل ما في الأمر... وعندما فكرتٍ في ذلك – بغض النظر عما تشعرين به تجاهي – ربما قد خمنتٍ نواياي المحتملة، ربما قد استنتجتٍ – دون أن تكوني متأكدة من ذلك – إما أنني إصدار غريب من نوع خجول، أو شيء ما آخر على غرار المجنون.

سيدتي، يمكنني أن أضمن لكِ مع الاحترام في عادتي على النظر إليكِ، أنني لست مجرد إنسان خجول ولا مجنون. إنني في المقام الأول شيء ما آخر، كما سأوضح لكِ، وأنتِ ستصدقينني القول دون أن أرجوك كثيراً. كم من مرة همست مخاطباً حلمي بكِ:

- قم بمهمتك مثل الإناء القديم عديم الفائدة؛ أدِ وظيفتك كالوعاء البسيط.

يا له من حنين شعرت به لفكرة أنني أريد امتلاكك، عندما علمت ذات يوم أنكِ متزوجة! يا له من يوم مأساوي في حياتي! لم أشعر بالغيرة من زوجك. لم يخطر حتى ببالي أن أتعجب حينما علمت أنك متزوجة. ببساطة،

شعرت يومها بالحنين إلى فكرتي الخاصة بكِ. كان عليّ أن أعلم الحقيقة السخيفة، وهي أن المرأة المرسومة في لوحتي - نعم، في لوحتي - كانت متزوجة، لكني شعرت فقط بالأسف.

إمتلاكك؟ لا أعرف كيف يمكن أن يحدث ذلك، وحتى إن كنت أملك الوصمة الإنسانية وأعرف كيف أفعل ذلك، فأي خزي سأجلبه لنفسي، وأي إهانة أثيمة سأسببها لعظمتي، عندما أفكر حتى في وضع نفسي مكان زوجك!.

إمتلاكك؟ في إحدى الليالي عندما تجدين نفسكِ بمفرك في أحد الشوارع المظلمة، يمكن لأي شخص عدواني إخضاعك، وإمتلاكك، يمكنه كذلك أن يغتصبك تاركاً أثره في رحمك. لو أن إمتلاكك يعني إمتلاك جسدك، فما الشيء الممتع في ذلك؟

هل يملك هذا الشخص العدواني روحك؟ لكن كيف يمكن امتلاك الروح الروح؟ وهل هناك حبيب ذكي ليكون قادرا على امتلاك "روحك"؟ دعي هذه المهمة لزوجك. أو هل تتوقعي أن أنحدر إلى مستواه؟!

كم ساعة قضيتها في صحبة سرية مع فكرة امتلاكك! كم من وقتٍ أحببنا فيه بعضنا البعض في أحلامي! لكني أقسم لكِ أنني لم أحلم أبدا بامتلاكك، حتى في أحلامي؛ فأنا رجل مهذب عفيف، حتى في الأحلام. وأحترم الفكرة البسيطة عن المرأة الجميلة.

إنني لا أدري كيف أجعل روحي ترغب في امتلاك جسدي لكِ. هذه الفكرة تجعلني أتعثر في عقبات خفية، كلها عقبات معقدة في نسيج داخلي غامض. تخيلي ماذا يمكن أن يحدث لي إذا أردت فعلا امتلاكك!

أود أن أكرر كلامي، كف عن محاولة القيام بذلك. حتى أنا، لا أستطيع أن أجعل نفسي تحلم بذلك.

كانت هذه سيدتي هي الكلمات التي توجّب عليّ كتابتها للرد على نظراتك الاستفهامية اللاإرادية . في هذا الكتاب الذي ستقرأينه لأول مرة، أوجه هذه الرسالة إليكِ. إذا لم تفهمي أنها لكِ، فلا يهم؛ فأنا أكتب للترفيه عن نفسي أكثر من إخبارك بشيء. رسائل الأعمال فقط موجهه لأناس آخرين. أما بقية أجزاء الرسائل، والموجهه لروحي الفضلى، فعلى أقل تقدير يجب أن تكون حصرياً من وإلى نفسها.

ليس لدي شيئا آخر أقوله لكِ. كوني متأكدة أنني أحترمك كثيراً بقدر ما أستطيع. وسيكون من دواعي سروري إذا فكرتِ في من حين لآخر.

الرسالة الثانية

إذا فهمتٍ فقط مهمتك حتى تكوني حلم الحالم فحسب، وحتى لا تكوني غير مبخرة عطور في كاتدرائية أحلامك، وحتى ترسمي الإيماءات الخاصة بكِ مثل الأحلام، والنوافذ المطلة على المناظر الطبيعية الجديدة في روحك، وحتى تشكلي جسدك بشكل مثالي بعد الأحلام كي لا يستطيع أحد النظر إليكِ دون التفكير في شيء غير ذلك، فقديما كنتِ قد تذكرتٍ كل شيء في العالم ونسيتٍ نفسك، وحتى تري أنه سيكون عليك سماع الموسيقى والمشي نائمةً عبر المناظر الطبيعية الشاسعة المليئة بالبرك الراكدة، وعبر الغابات الهادئة الغامضة المفقودة في أعماق العصور القديمة، حيث تعاني الأزواج الأخرى الخفية من المشاعر التي لاتملكها.

الشيء الوحيد الذي أريده هو ألا أعاني منكِ، ولو أنك ظهرتِ في حلمي، لربما تمنيت أن يمكنني استكمال الحلم، لكن دون أن أراكِ، حتى مع ملاحظة أن ضوء القمر قد ملء البرك الراكدة، وأن أصداء الأغاني كانت تتموج فجأة

عبر الغابات الكبيرة الغامضة والمفقودة منذ العصور القديمة.

رؤيتي لكِ ستكون كالمضجع، حيث ستستلقي روحي وتنام كالطفل المريض، كي تحلم مرة ثانية بالسماوات الآخرى. ليتكِ تستطيعين التحدث؟ نعم، لكن فقط لو أنني حين أسمعك، لن أسمع حديثك، بل أرى فيه الجسور الكبيرة على الضفتين المظلمتين للنهر المضاء بنور القمر الذي يقود إلى البحر القديم، حيث المراكب الكبيرة ستكون لنا إلى الأبد.

هل تبتسمين؟ إنني لم أدرك الحقيقة، لكن النجوم كانت تجوب سماواتي الداخلية. إنكِ تنادينني في نومي. لم ألاحظ ذلك، لكنني أستطيع رؤية السواحل البعيدة من هذا القارب البعيد الهائم بالإبحار، والذي كان يشق ضوء القمر.

مذكرات واضحة

حياتي: عبارة عن تراجيديا في عزلة عن الحياة بجانب الألهة.

الأصدقاء: لم يكن لدي أصدقاء غير القليل من المعارف، اللذين يتخيلون أنهم يشعرون بشيء تجاهي، واللذين قد يعتذرون إذا دهسني القطار وكانت جنازتي في يوم ممطر.

إن المكافأة المنطقية من عدم اكتراثي بالحياة هي عدم قدرة الأخرين التي خلقتها فيهم على الشعور بأي شيء تجاهي؛ فهناك إكليل من الفتور، وهالة من المشاعر الباردة تطوقني وترفض الآخرين. مازلت لم أنجح في عدم المعاناة من عزلتي. من الصعب تحقيق سمو الروح، في حين أن العزلة تصبح راحة دون معاناة.

لم أضع ثقتي في هذه الصداقة، وما كنت سأضعها في الحب كذلك، والذي لم يكن حتى ممكناً. رغم أنني لم أخفي أبدا توهماتي عن هؤلاء الذين طلبوا

صداقتي؛ فقد نجحت في الشعور بخيبة الأمل معهم... تلك هي عقدتي النفسية وقسمتي من المعاناة.

لم أشكّ مطلقاً أن الجميع سيخذلونني، وكنت أصعق دائماً عندما يفعلون ذلك؛ فكلما يقع الشيء الذي كنت قد توقعته، كان يصدمني كأنه شيء غير متوقع.

لم أكتشف أي مميزات في شخصيتي قد تجذب إليّ شخصا ما آخر، إنني لا أصدق أبداً أن أحداً قد شعر بالانجذاب إليّ سابقاً. هذا الرأي عن نفسي سيكون متواضعاً لدرجة تصل الى الحماقة، لو أن الحقائق – هذه الحقائق الغير متوقعة، كنت قد توقعتها- لم تثبت ذلك.

إنني لا أستطيع تصور أن يودني أحد بدافع الشفقة، رغم أنني لست حسن المظهر جسدياً ولست جذاباً، إلا أنني لست مشوهاً عضوياً كي أدخل ميدان هؤلاء اللذين يستحقون عطف العالم، ولا أملك من السحر ما يجذب الشفقة حتى عندما لا تكون مستحقة بوضوح، وماذا ينقصني كي أستحق الشفقة، في الواقع ليست هناك شفقة لمن هو معاق روحياً؛ لذلك لقد سقطت في مركز ثقل ازدراء العالم، العالم الذي أميل فيه إلى الشخص الذي لايشعر بأحد.

كانت حياتي كلها صراع من أجل التكيف مع هذا الوضع، دون أن أكون مقهوراً بقسوته وإذلاله.

يتطلب الأمر فقط شجاعة فكرية معينة للرجل كي يعترف بصراحة أنه ليس أكثر من إنسان أخرق، جهيض نجى من الموت، معتوه لكن ليس بصورة كافية كي يكون ملتزماً، وبعد أن يعترف بذلك، سيتطلب الأمر شجاعة أخلاقية أكثر كي يستنبط طريقةً للتكيف مع مصيره، وكي يقبل مصيره هذا

دون اعتراض أو انسحاب من مواجهته، ودون أي بادرة أو تلميح بها؛ فالبلاء الطبيعي يفرض نفسه عليه بفعل الطبيعة، إذا أردت ألا تعاني مما تريده كثيراً، عليك تجاوز القدرات البشرية في قبول ماهو سيء بالفعل كما لو كان شيئاً جيداً، لكن لو قبلناه على أنه شيء سيئ، فلن نستطيع فعل شيء، بل سنزيد من معاناتنا.

عندما أتصور نفسي من الخارج، أواجه حطامي – حطام سعادتي. لقد رأيت نفسي كما يراني الأخرون، فاحتقرت نفسي- ليس لأني أمتلك من السمات الشخصية ما يجعلني جدير بالإحتقار، بل لأني رأيت نفسي من خلال عيون الأخرين، وشعرت بالبغض الذي يشعرون به تجاهي. لقد واجهت المهانة في معرفة نفسي. منذ أن أصبح لايوجد شيء سام في هذه التجربة، ولا يوجد بعث بعد الموت بثلاثة أيام، ولا أستطيع مساعدة نفسي، بل أعاني فقط من الخزي.

لقد أدركت أنه لا أحد يمكن أن يحبني إلا إذا كان يفتقر تماماً للحس الجمالي، وفي هذه الحاله سأكره هذا الشخص، وحتى شعور الحب تجاهي لايمكن أن يكون أكثر من نزوة من بلادة الشعور لشخص ما.

علينا معرفة أنفسنا بوضوح ومعرفة كيف يرانا الآخرون! علينا التحديق في وجه هذه الحقيقة! وفي النهاية علينا أن ننظر إلى صرخة المسيح وهو مصلوب عندما بدأ يواجه حقيقته قائلا:

- يا إلهي، يا إلهي، لماذا تخليت عني؟

***

الرائد

ليس هناك ما يُظهر بشكل وثيق وينقل بإتقان خلاصة مصيبتي الفطرية كنوع من أحلام اليقظة التي أعتز بها كثيرا، غالبا ما أختارها كبعض المهدئات الشخصية كي أسكن من ألم القلق الذي أشعر به. ببساطة، كل ما أتمناه هو

النوم طول الحياة. إنني أحب الحياة كثيراً لدرجة أنني أريد أن تطول أكثر، لكني أحب أن أفتقدها قليلا كي أملك رغبة حقيقية في الحياة.

ما أنا على وشك أن أكتبه هو حلمي المفضل على بقية أحلامي. أحياناً في الليل، عندما يكون المنزل هادئاً، بعد أن يخرج السكان ويعم الصمت، أغلق نافذتي، ومصاريعها الثقيلة، وأجلس غارقاً على الكرسي المريح مرتدياً بدلة قديمة، ثم أنزلق في هذا الحلم الذي أظهر فيه رائداً متقاعد في فندق في بلدة صغيرة، متشبث بعد العشاء بصحبة من النزلاء الآخرين الأكثر مني اتزاناً - كان هذا الرائد المتسكع يجلس هناك دون سبب.

إنني أتخيل نفسي مولودا بهذة الطريقة. لست مهتماً بصبا الرائد المتقاعد، ولا بالرتبة العسكرية التي من خلالها صعد كي يصل إلى هذا المكان الذي اشتاق إليه. بصرف النظر عن الوقت والحياة، الرائد الذي أتخيل نفسي فيه ليس لديه أي نوع من الحياة في الماضي، ولا يملك ولم يملك أبدا أقاربا؛ فهو يعيش منعزلا عن الحياة في فندق البلدة الصغيرة، ويمل بالفعل من مزاح وحديث النزلاء الآخرين الذين يتسكعون معه هناك.

***

أقوال مأثورة

اليقين وامتلاك الأراء المحددة، والمواهب، والعواطف، والشخصية الواضحة الجديرة بالثقة ـــ كل هذا يؤدي إلى الرعب من تحول أرواحنا إلى الحقيقة، إلى شيء سطحي ومادي. كي تعيش سعيداً، فحالة سلسة من الجهل بالأشياء والجهل بالذات هي نمط الحياة الوحيد الذي يلائم الرجل الحكيم ويجعله ودوداً.

المهارة في الوقوف دائماً بين أنفسنا وبين الأشياء الخارجية هي أعلى درجات الحكمة والتعقل.

يجب أن تكون شخصياتنا غامضة، وحتى لأنفسنا؛ ولهذا السبب يجب أن نحلم دائماً، ونتأكد من أننا مدرجين في أحلامنا بحيث لن نكون قادرين على تشكيل أحكامنا حول أنفسنا.

الحب يعني المعاناة من الوحدة، ومن ثم الجبن، وخيانة أنفسنا؛ لذلك فمن الضروري جدا ألا نحب.

إعطاء النصيحة الجيدة يعني ازدراء قوة المخطئين التى منحها الله للآخرين. ليس ذلك فحسب، يجب أن نكون سعداء بأن الأخرين لا يتصرفون مثلنا؛ فهذا يصنع رغبة في طلب نصيحة الأخرين لكي نكون متأكدين – عن طريق القيام بالعكس تماما – من أننا أنفسنا تماما، وأننا على خلاف تام مع كل ما يخص الأخرين.

ميزة التأمل الوحيدة هي أن تأخذ المتعة من كل شيء لم يتحدث عنه الأخرون.

الفن هو العزلة؛ لذا يجب على كل فنان السعي إلى عزل الأخرين، كي يملأ نفوسهم بالرغبة في الوحدة. إن أسمى انتصار للكاتب عندما يفضل قراؤه امتلاك أعماله فقط لا قرائتها. لا يحدث هذا بالضرورة مع الكتاب المشهورين، لكن ذلك هو أعظم إجلال له.

الموقف الفكري الفاضل للكائن الأسمى هو ذلك الهدوء والشفقة الفاترة لكل شيء غير نفسه. إنه ليس ذلك الموقف الذي يحتوي على قليل من الصحة أو الحقيقة، بل هو موقف يحسد عليه كثيرا؛ لذا يجب أن يتبناه.

الطرق اللبنيّة

مع العبارات الملتوية التي تحتوي على روحانية مؤذية، والشعائر المكسوة بالطقوس الرسمية الغامضة الارجوانية التي لاترجع إلى زمن أحد...

والأحاسيس المعزولة في جسد لكن ليس جسدنا المادي، وحتى إن كان ماديا بطريقته الخاصة، بالدهاء الذي يقع بين البساطة والتعقيد... والبحيرات، حيث يرفرف الأثر الواضح للذهب ذو اللون المخفف، وبغموض يتجرد دائما من كونه شيء مادي، وبدون شك من خلال صفاءه المتعرج، كزهرة سوسن في أيدي بيضاء شفافة... التحالف بين الفتور والكرب - السواد الفاتح الطفيف، ويبدون متعبين بشدة فيما بين حراسة الملل(الضجر)... صدف النتائج عديمة الفائدة، ومرمر الكثير من الإنحلال – الذهول المحبوب بغروب الشمس الذهبي البنفسجي المزين بشراشيب القماش(بالشرائط)، لكن لايوجد قوارب تقود إلى شواطئ أفضل، ولا جسور تقود إلى شفق أحسن... ولا حتى إلى حافة فكرة الأحواض، مجموعة من الأحواض في المسافة بين أشجار الحور أو ربما أشجار السرو، اعتمادا على المقاطع المستخدمة في لحظة حزينة كي تنطق اسمهم... النوافذ مفتوحة على أرصفة الموانى بعيدا، سحق الأمواج المستمر لأحواض السفن، حاشية الملك المفتونة والمبتهجة أشبه بتشوش حجر الأوبال الذي تكتب عليه الزهور التى لا تذبل وأشجار "البطم" تكتب بالأرق(السهاد) الشفاف على الجدران الحجرية المظلمة من القدرة على السماع... خيوط من الفضة الرائعة، وأربطة عنق مصنوعة من خيط الثوب المفكوك، ومشاعر عقيمة تحت أشجار الزيزفون، وأزواج قديمة على طرقات هادئة محاطة بسياج الأشجار، والأغصان المروحية المفاجئة، والإيماءات الغامضة، ودون شك الحدائق الجميلة التي لاتنتظر سوى ملل الطرق والمتنزهات... المنازل الريفية، والأشجار في التخمسية، والكهوف الإصطناعية، وأحواض الزهور المنحوتة، ونوافير المياة، كل الفن يحيا بعد موت الفنانين، اللذين أبدعوا كل سلاسل الأشياء المصنوعه للأحلام على طول الشوارع الضيقة لقرى الإحساس القديمة.... الألحان المدوية على رخام القصور القديمة، وذكريات هذا المكان وأيديهم في أيدينا، غروب

الشمس في السماء المصيرية(المشئومة/ القاتلة) كنظرات وليدة الصدفة من الشك (الريبة)، يخلى المكان لليالي المضاءة بنور النجوم فوق الأمبراطوريات الهادئة المتحللة.

القليل من العاطفة للوصول إلى درجة العلم، وتحويل التحليل النفسي إلى طريقة جديدة مجهرياً... ذلك هو الهدف المسيطر مثل الظمأ المستمر، والذي يعد محور أمنية حياتي.بين أحاسيسي وإدراكي بها تظهر كل تراجيديا حياتي هذه. وتسقط شخصيتي الحقيقية٢- التي أحاول عبثاً أن أراها بوضوح- هناك في هذه المنطقة المعتمة المجهولة التي لايوجد بها غير الأخشاب وكل ضروب أصوات الماء، حيث لا نشعر حتى باضطرابات حروبنا.

إنني أتخلى عن حياتي. فقد كانت مشاعري قصيدة رثاء طويلة جدا على حياتي المفقودة.إنني أعيش في الضياع والظلام، أكثر شيء أتقنه هو نحت ضريح الجمال الداخلي الخاص بي. بوابات عزلتي مفتوحة على حدائق لا نهاية لها، لكن ليس هناك من يمر خلالها خلالها، ولا حتى في أحلامي، وهي مفتوحة حتى الآن، وستظل مفتوحة إلى الأبد دون فائدة، إنها بوابات من الحديد مفتوحة على عالم من الوهم.

يدرك رجل العلم أن الحقيقة الوحيدة بالنسبة له هي ذاته، وأن العالم الحقيقي الوحيد هو ذلك العالم الذي منحته إياه أحاسيسه؛ ولذلك فهو يستخدم العلم الموضوعي لمحاولة تحقيق المعرفة الكاملة لعالمه وشخصيته، بدلا من اتباع الطرق الوهمية لتأقلم مشاعره مع مشاعر الآخرين؛ فلا يوجد شيء أكثر موضوعية من أحلامه، ولا شيء أكثر صوابا من إدراكه الذاتي. إنه يبني علمه حول هاتين الحقيقتين، علم مختلف تماما عن هذا العلم الذي زاوله العلماء القدامى، اللذين سعوا إلى معرفة قوانين "العالم الخارجي" ونظام ما أطلقوا عليه اسم "الطبيعة" بدلا من دراسة قوانين شخصياتهم وأحلامهم.

الشيء الفطري في هو عادتي على الحلم وموهبتي فيه. كنت منعزلا وهادئا منذ طفولتي، وربما يذهب القهر أبعد من ذلك؛ فصياغتي في مواصفاته المشئومة من خلال فعل الوراثة الغامض، جعلت عقلي عبارة عن سيل لانهاية له من أحلام اليقظة. كل ما أنا عليه يتوقف على أحلام اليقظة، وحتى ما يبدو أبعد في شخصيتي من الحالم ينتمي بشكل لا لبس فيه الى روح شخص ما يحلم فقط، مع روحه المرتفعة .

بسبب سروري الخاص في تحليل الذات، أود أن أعبر في كلمات بقدر ما أستطيع عن العمليات العقلية، التي تعد عندي عملية واحده فقط – إنها عن الحياة المكرسة للأحلام، عن الروح التي تعرف فقط كيف تحلم.

أرى نفسي من الخارج أنني غير مؤهل للعمل، مرتبك في الوقت الذي يجب أن أتخذ فيه خطوة أو أتحرك، اصبح ثقيل اللسان عندما يجب أن أتحدث إلى شخص ما، مفتقر إلى الوضوح الداخلي اللازم للاستمتاع بالأشياء التي تتطلب جهد عقلي، ومفتقد للقوة الجسدية التي أحتاجها للترفية عن نفسي من خلال بعض الأعمال الحياتية.

من الطبيعي أن أكون بهذا الشكل، فمن المتوقع أن يكون السابح في الخيال بهذه الطريقة. كل الحقيقة تقلقني. خطابات الأسخاص الآخرين تلقي بي في حالة من الألم الشديد. دائما ما تدهشني حقيقة الأرواح الأخرى. فشبكة السلوكيات الغير واعية المسئولة عن كل الأعمال التي تؤلمني كوهم سخيف لا تعني شيء.

لكن يجب أن يتخيل شخص ما أنني عاجز عن حل مسألة سيكولوجيا الآخرين، وأنني لست مدركاً لدوافعهم وأفكارهم الخاصة، بعد ذلك سيكون هذا الشخص مخطئاً تماماً فيما أنا عليه.

إنني لست مجرد حالم عادي، لكني حالم بشكل خاص. عادتي الوحيدة – الحلم- منحتني بصورة استثنائية بصيرة داخلية حادة. إنني لا أرى فقط رموز ومراحل أحلامي بوضوح مذهل، لكني أرى أيضا أفكاري المجردة بوضوح، ومشاعري الإنسانية – ماتبقى منها- ودوافعي السرية، ومواقفي النفسية تجاه نفسي. أرى حتى ما بداخل نفسي، كأفكاري الخاصة المجردة التي أراها في الفضاء الداخلي ببصري الداخلي الحقيقي. وبالتالي يصبح الإعوجاج مرئيا لي بكل تفاصيله.

إنني أعرف نفسي بالكامل، ومن خلال ذلك يمكنني معرفة الإنسانية بالكامل. لم يكن هناك دافع أساسي أو نية نبيلة لم تكن وميضا في روحي، وأنا أعرف إيماءات كل شخص. تحت أقنعة الطيبة أو اللامبالاة التي تدمر الأفكار الشريرة، حتى بداخلنا، إنني أعترف بما هم عليه بواسطة إيماءاتهم. إنني أعرف ماذا الذي يصارع بداخلنا كي يخدعنا؛ بالتالي فأنا أعرف الكثير من الناس أفضل مما يعرفون هم أنفسهم. إنني أتفحصهم لبعض الوقت، وأجعلهم ملكي بفضل هذه الطريقة. إنني أتمكن من كل نفس أفهما؛ لأن الحلم بالنسبة لي هو الامتلاك؛ ولذلك فمن الطبيعي أن يلعب الحالم دور المحلل، وأنا أفتخر أن أكون كذلك.

لهذا السبب تعد المسرحيات من الأشياء القليلة التي غالبا ما أستمتع بقراءتها. تعد المسرحيات جزءً من حياتي اليومية، وأنا أعرف بالضبط كيف وضعت النفوس في مسطح في إسقاط مركاتور، لكن هذه المسرحيات لا تسليني كثيراً بالفعل؛ لأن كتّاب المسرحيات دائماً مايقعون في نفس الأخطاء المبتذلة الصارخة، لم تعجبني أي مسرحية. معرفة علم النفس البشرية بالدقة الكاملة هو ما يستقصي كل شق بنظرة واحدة؛ لذلك فقد وجدت التحليل البسيط وبناء الهجوم على كتاب المسرحيات، والقليل الذي قرأته في هذا النوع يزعجني كثيرا كلطخة حبر سقطت على صفحة مكتوبة بخط اليد.

تعد الأشياء هي المادة الخام لأحلامي؛ ولذلك فأنا أعطي اهتماما كبيراً وبشكل محير لبعض التفاصيل من الخارج.

لكي أعطي إطارا ونقوشا لأحلامي؛ علي أن أفهم كيف تبدو لنا رموز الحياة وصور الواقع الطبيعية بمحيطها الخارجي ونقوشهاP لأن بصر الحالم لا يشبه بصرنا الذي نستخدمه لنرى الأشياء الفعلية. لا نكون في الأحلام مثل كوننا في الواقع، ركز على حد سواء على الجوانب المهمة والغير مهمة لهدف ما. يرى الحالم الجوانب المهمة فقط. إن الواقع الحقيقي للهدف هو جزء فقط لما هو علية؛ أما الباقي فهو الضريبة الكبيرة التي يدفعها للمسألة المادية للحصول على حق الوجود في الفضاء. بطريقة مشابهة، بعض الظواهر التي تبدو واقعية في الأحلام، تتجرد من هذه الواقعية في الفضاء ؛ فغروب الشمس الحقيقي مستحيل تقديرة وزائل، أما غروب الشمس في الأحلام فهو راسخ وأبدي. هؤلاء الذين يستطيعون الكتابة هم هؤلاء اللذين يعرفون كيف يروا أحلامهم بوضوح شديد ويفعلون ذلك بالفعل ويروا الحياة كما يروا الأحلام، ولايرون الحياة بشكل مادي، ملتقطين صورا لها بكاميرة أحلام اليقظة الغير حساسة لأشعة ما هو كئيب ومفيد ومحدد، مثل الأشياء التي لاتنتج شيئا غير اللطخة السوداء على لوحة التصوير الفوتوغرافي للروح.

هذا السلوك المغروس في بفعل الأحلام الكثيرة، يجعلني دائماً أرى الحلم بجانب الواقع، فيقوم إبصاري بقمع جوانب الأشياءالأهداف التي لاتستطيع أحلامي استخدامها؛ ولذلك فأنا أعيش دائماً في الأحلام، وحتى عندما أكون في الحياة الواقعية. مشاهدة غروب الشمس بداخلى أو مشاهدته في الخارج كله واحد بالنسبة إليّ؛ لأني أراهم بنفس الطريقة، ويسجل بصري نفس الشيء في كلتا الحالتين؛ ولذلك سيبدو للكثيرين أن لدي نظرة مشوهة عن نفسي، إنها نظرة مشوهة بطريقة معينة، لكني أحلم بنفسي وأختار تلك الأجزاء التي أحلم بها من نفسي، بناء وإعادة بناء نفسي بكل وسيلة ممكنة حتى يتوافق ما أنا عليه وما لست عليه مع هدفي. أحيانا أفضل طريقة

لرؤية الهدف هي حذفه؛ لأنه يوجد بطريقة لا يمكن أن أشرحها تماما، ويتشكل من جوهر رفضه وحذفه؛ هذا ما أفعله مع مساحات شاسعة من حياتي الحقيقية، والتي بعد أن يتم حذفها من صورة حياتي، يتغير الشكل الخارجي لوجودي الحقيقي، الذي يعد الحقيقة الوحيدة بالنسبة لي.

كيف أمتنع عن خداع نفسي بعمليات الوهم هذه التي أطبقها على نفسي؟ حسناً، إن العملية التي تدحض جانبا معينا من العالم أو رمزا من رموز الحلم في واقع أكثر واقعية تدحض أيضا العاطفة والأفكار في مجال أكثر واقعية بتعريتهم من زخرفة ـ نادرا ما تكون كاذبة ـ النبل والنقاء الزائف. يجدر الإشارة إلى أن موضوعيتي لا يمكن أن تكون مطلقة أكثر من ذلك؛ لأني أخلق كل هدف مجرد، مع خواصه المطلقة في شكله الملموس. إنني لم أهرب من الحياة، بمعني أنني لم أبحث عن مضجع أفضل لروحي؛ لقد غيرت الحياة فحسب واجداً في أحلامي نفس الموضوعية التي وجدتها في الحياة. إن أحلامي ـ سأناقش هذا في فقرة أخرى ـ تتبلور من إرادتي وفي كثير من الأحيان تصدمني وتسيء إلي؛ فالأشياء التي اكتشفتها في نفسي كثيرا ما تجعلني أشعر بالفزع والخجل ـ ربما بسبب بعض بقايا الإنسانية بداخلي ـ والقلق.

لقد حلت أحلام اليقظة المستمرة محل اهتمامي؛ فكل شيء أراه، بما في ذلك ما أراه في أحلامي، أتخذه لتشكيل أحلام أخرى أملكها بداخلي. إنني غافل بما يكفي كي أكون بارعا في ما أسميته "حلم رؤية الأشياء". ورغم ذلك، منذ هذه الغفلة التي تحركت بواسطة أحلام اليقظة الدائمة وبواسطة انشغال البال ـ وبالمثل بسبب عدم الإكتراث ـ مع مسار أحلامي، أضع ما أحلم به على الأحلام التي أراها في العالم الحقيقي من حولي، إنه تقاطع الحقيقة العارية من مسألتها المادية مع الحقيقة اللامادية المطلقة.

هذا يوضح القدرة التي اكتسبتها للتركيز على أفكار مختلفة في نفس الوقت، ومراقبة بعض الأمور وأنا أحلم بأمور أخرى في الوقت ذاته، أمور مختلفة تماماً، كالقدرة على أن أحلم في وقت واحد بغروب الشمس على نهر "تاجة" والصباح الباكر على المحيط الهادئ،وهذه الأشياء التي أحلم بها تتقاطع دون أن تختلط، دون أن يمتزج أي شيء، بالإضافة إلي الحالات العاطفية المختلفة المُثارة بواسطة كل منها. كما لو كنت أرى عددا من الناس يسيرون في أحد الشوارع وشعرت بأرواحهم بداخلي، والتي يمكن أن تحدث فقط في حالة انسجام المشاعر، في نفس الوقت الذي رأيت فيه أجسادهم المختلفة، يمكنني رؤية هذا على حدة، تعبر طرقات الشارع المليء بالأرجل المتحركة.

***

صانع الإحساس

في شفق هذا الانضباط الروحي مع المعتقدات الزائلة والعبادات القديمة التي علاها الغبار، تعد أحاسيسنا هي الحقيقة الوحيدة التي هجرناها. الحيرة الوحيدة التي نملكها في هذه النقطة، والمعرفة التي ترضينا، هي أحاسيسنا هذه.

إنني أكثر قناعة من أي وقت مضى أن الزخرفة الرخيصة هي القدرالأسمى والأكثر استنارةً التي يمكننا منحها لنفوسنا. لو أن حياتي كان بإمكانها العيش في نسيج الروح، لما كنت أملك الكثير من اليأس كي أتحسر.

إنني أنتمي إلى الجيل ـ أو بالأحرى، إلى جزء من الجيل ـ الذي فقد كل احترامه للماضي وكل إيمان أو أمل في المستقبل؛ ولذلك فنحن نعيش في الحاضر مع تَوْق ولهفة من لا يملكون وطنا آخرا. منذ أن ظهر هذا في أحاسيسنا، وخاصة في أحاسيس أحلامنا عديمة الفائدة، إلى حد أننا اكتشفنا الحاضر الذي لا يذكر الماضي ولا المستقبل، منذ ذلك الحين ونحن نبتسم ببساطة على حياتنا الداخلية، بينما نتثاءب بازدراء على حقيقة الأشياء التي

يمكن أن يكون لها قدر.

ربما لسنا مختلفين كل هذا الإختلاف عن هؤلاء الذين يفكرون فقط في تسلية أنفسهم في الحياة الفعلية، لكن شمس همنا الأنانية ستنضبط، وستنضبط في ألوان من الشفق والتناقض الذي يهدئ مذهبا متعتنا ببطء.

إننا متماثلين للشفاء. كثير منا من لم يتعلم فناً أو تجارةً، ولا حتى فن الاستمتاع بالحياة، وبما أننا كارهين أساساً للاتصال الاجتماعي المطوّل، وحتى أفضل الأصدقاء يجعلوننا نشعر بالملل بعد نصف ساعة فقط، فنحن نشتاق إلى رؤيتهم فقط، عندما نفكر في رؤيتهم، وأفضل لحظات نقضيها معهم تكون في أحلامنا. إنني لا أعرف إن كان هذا دليل على الصداقة السطحية أم لا. ربما لا. ما أعرفه أن الأشياء التي نحبها، أو نعتقد أننا نحبها، نشعر بوزنها وقيمتها الكاملة عندما نحلم بها.

إننا لا نهتم بالعروض التمثيلية؛ فنحن نحتقر الممثلين والممثلات، فكل عرض هو تقليد رديء لما كان يجب أن يُحلم به.

إننا لا نبالي بأراء الآخرين ـ ليس بالفطرة، لكن بسبب تعليمات مشاعرنا التي تشكلت فينا بالإكراه بواسطة تجاربنا المؤلمة المختلفة، لكننا نعامل الأخرين بفطنةونودهم أيضاً، مع نوع ما من الاهتمام الغير مبال؛ لأن كل شخص مثير للاهتمام وقابل للتغيير إلى أحلام وإلى أشخاص آخرين.

إذا لم نكن قادرين على الحب، سنصبح منهكين بأفكار الكلمات البسيطة التي يجب أن نقولها كي نصبح محبوبين. إضافة إلى ذلك، من بيننا من يود أن يصبح محبوبا؟ ليس هو الشعار الصحيح تماماً. فكرة أن تكون محبوباً في حد ذاتها ترهقنا إلى حد الذعر.

حياتي عبارة عن حمى لا تلين، وعطش لا يرتوي. الحياة الفعلية تزعجني كيوم حار.

***

التربية الوجدانية

بالنسبة لأولئك الذين يختارون أن تشكل الأحلام حياتهم وأن يزرع الدين والسياسة أحاسيسهم كما تُزرع النباتات في الدفيئة، فالدليل على أنهم قد اتخذوا الخطوة الأولى بنجاح هو شعورهم بالأشياء الدقيقة بطريقة استثنائية شاذة. هذا كل ما يوجد في الخطوة الأولى. معرفة كيفية رشف كوب من الشاي بنشوة كبيرة مثل التي يشعر بها الرجل العادي فقط عندما يفرح لرؤية طموحه يتحقق فجأة، أو تُشفي نفسه بشكل مفاجئ من شوق شديد، أو عندما يصل إلى الفصل النهائي الحسي من مسرحية الحب، والقدرة على تحقيق بصيرة غروب الشمس أو بصيرة التأمل في التفاصيل الديكورية(الزخرفية) للشعور الحاد، والتي لا يمكن أن تحدث بشكل عام من خلال الرؤية أو السمع، بل من خلال الحواس الحسية فقط ـ اللمس، التذوق، والشم ـ عندما تنحت هذه الحواس غاية الإحساس في إدراكنا، والقدرة على تحويل رؤيتنا الداخلية، والسمع في أحلامنا، وكل الحواس المُتخيلة، وحواس الخيال إلى مستقبلات مادية محسوسة مثل الحواس الخمسة التي تستقبل العالم الخارجي: هذه هي بعض الأحاسيس ـ يمكن أن نتخيل أيضا أمثلة أخرى مماثلةـ والتي يمكن للمُزارع المتمرس لمشاعره أن يلاقيها بحماسة شديدة، إنني أشير إلى هذه الأحاسيس كي أعطي فكرة فظة، لكنها فكرة محددة لما أحاول إبلاغه.

ومع ذلك، فالوصول لهذه الدرجة من الإحساس يسبب لعاشق الإحساس الشعور بالكآبة ـ سواء من نفسه الداخلية أو الخارجيةـ بنفس الحدة الشعورية. يحدث هذا عندما يدرك أن الإحساس بدرجة عالية لا يعني فقط الشعور بالسعادة القصوى، لكنه أيضا قد يعني المعاناة الشديدة؛ ولذلك سيضطر الحالم لاتخاذ الخطوة الثانية في الارتقاء بنفسه.

سأضع هذه الخطوة جانباً، والتي يمكن أن يتخذها أو لا يتخذها، والتي ـ إذا كان يستطيع اتخاذهاـ ستحدد جوانب معينة فيسلوكياته، وتؤثر على الطريقة العامة التي يتبعها ـ إنني أقصد خطوة العزل التام لنفسه عن العالم الحقيقي، والتي يمكنه بالفعل اتخاذها إذا كان غنياً. بالنسبة لي، أظن أن هذا واضحاً من خلال قراءة ما بين السطور التي يجب على الحالم التركيز عليها بشدة في عمله الذي يحفز حساسيته للأشياء والأحلام بشكل باثولوجي، معتمداً على الإمكانية النسبية للعزلة والتفاني الذاتي. إن الرجل الذي يتوجب عليه العيش بنشاط ومعاشرة الناس ـ وحتى في هذه الحالة يمكن تقليل الألفة مع الآخرين إلى الحد الأدنى، لكن الألفة فقط وليس الإتصال البسيط، حتى لا يكون ضاراًـ سيضطر إلى تجميد المظهر الخارجي بالكامل لنفسه الاجتماعية، وهكذا فإن كل لفتة أخوية حميمة يستقبلها ستنزلق بعيداً ولن تدخل أو تصنع انطباعا دائما. يبدو هذا صعباً لتفعله، لكنه ليس كذلك؛ فمن السهل إبعاد الناس، فكل ما علينا فعله هو عدم الاقتراب منهم. على أية حال سأتغاضى عن هذه النقطة وأعود إلى ما كنت أشرحه.

إن خلق وعي دقيق وعميق بأبسط الأحاسيس وأكثرها شيوعاً، لا يؤدي فقط إلى زيادة كبيرة في المتعة التي نحصل عليها من المشاعر، لكنه أيضاً ـ كما قلت سابقاًـ يؤدي إلى زيادة هائلة في كمية الألم الذي سنقاسيه؛ لذلك فالخطوة الثانية للحالم يجب أن تكون لتجنب الألم، لكن لا يجب عليه أن يتجنبه مثل الرواقيون أو الأبيقوريون القدماء من خلال التنازل عن العش؛ لأن ذلك كما سيقويه ضد الألم، سيجعله أيضا لا يشعر بالمتعة. وبدلاً من ذلك يجب عليه التماس المتعة في الألم، ثم تعلم كيفية الشعور بالألم بشكل زائف ـ كي يشعر ببعض أنواع المتعة في أي وقت يشعر فيه بالألم. هناك عدة طرق لتحقيق هذا الهدف. أحدها هو كثرة تحليل آلامنا (لكن بعد تدريب أنفسنا على الاستجابة للمتعة من خلال الشعور الحصري بها دون تحليل).

هذه التقنية تبدو أسهل مما تبدو عليه، على الأقل بالنسبة للنفوس الأسمى. إن تحليل الآلام، واكتساب عادة تقديم كل الآلام للتحليل، حتى نصل لدرجة القيام بذلك تلقائياً وبالفطرة، كل هذا سيدعم أي ألم يمكن تخيله بمتعة تحليله، وما إن تنمو قدرتنا وغريزتنا على التحليل أكثر، ستستوعب ممارستنا له كل شيء، ولن يُترك شيء من الألم دون أن يُصبح مادة للتحليل.

طريقة أخرى أكثر دهاءً وصعوبة، وهي تطوير عادة تجسيد الألم في شكل مثالي. في البداية يتوجب علينا أن نخلق "أنا" آخرا مشحونا بالمعاناة، "أنا" يعاني من كل ما نعاني منه، وفي الخطوة الثانية سنحتاج أن نفتعلسادية داخلية ماسوشية تماماً، والتي تستمتع بمعاناتها وآلامها، كما لو كانت معاناة وآلام شخص آخر. تبدو هذه الطريقة من القراءة الأولى لها أنها مستحيلة، إنها صعبة قليلاً، لكنها سهلة المنال، ومُقدَّمة دون أي صعوبات، خاصةً لهؤلاء اللذين هم على دراية جيدة بكيفية الكذب على أنفسهم. وما إن يتحقق ذلك، حتى يكتسب الألم والمعاناة نكهة الدم والمرض المحيرة تماماً، ودرجة غريبة لا تُصدَّق من المتعة المنحطة. إن الشعور بالألم يماثل أوج الاختلاجات المكروبة والبائسة، والمعاناة ـ النوع الطويل والبطيءـ تمتلك الصفار الحميم الذي يلون السعادة الغامضة عند الشعور بالتشافي التام. إن الإنهاك الرائع الملوَّن بالقلق والحزن يبعث الاحساس المعقد بالمعاناة التي يوقظها سرورنا، في فكرة أنه سوف يتلاشى، إضافة إلى الملل الكئيب الذي نشعر به في متعتنا الحسية عندما نفكر في التعب الذي ستجلبه.

هناك طريقة ثالثة لتحويل الألم إلى متعة، وتحويل الشكوك والقلق إلى فراش هادئ. هذه الطريقة تتلخص في التركيز بشكل مكثف في همومنا ومعاناتنا والعمل على زيادتها والإسراف فيها، وبذلك تجلب لنا متعة الإسراف. يمكن أن يحدث هذا بالفعل لكن فقط في الأرواح المخصصة للمتعة من خلال عادة التعلم. وكما هو الحال معي، عندما ـ أنا المنقَّى

من خلال أعمال التهذيب الزائفة، إنني مهندس معماري مكرس لبناء نفسي بعيداً عن الأحاسيس المختلفة من خلال الفكر، ومن خلال التنازل عن الحياة، ومن خلال التحليل والألم نفسه ـ يتم توظيف الطرق الثلاثة في آن واحد، وعندما يتم تحليل كل ألم أشعر به ـ الألم الذي أشعر به بسرعة بحيث لا يوجد وقت للروح للتخطيط لأي دفاع ـ تلقائياً إلى جوهره، بعدها أشعر حقا كأني منتصر وبطل. بعدها تتوقف الحياة من أجلي، ويتذلل الفن تحت أقدامي.

كل ما وصفته هو الخطوه الثانية فقط، التي يجب أن يتخذها الحلم لتحقيق حلمه. من بالإضافة إليّ كان قادراً على اتخاذ الخطوة الثالثة التي تؤدي إلى عتبة المعبد الفخمة؟ تلك هي الخطوة التي من الصعب اتخاذها بالفعل؛ لأنها تتطلب جهد داخلي أكبر بكثير من أي جهد نبذله في الحياة، لكنها مقابل ذلك تكافئنا بالوصول إلى أعماق أرواحنا بطريقة لا تستطيعها الحياة. هذه الطريقة عبارة عن الاجتياز الفوري للأحاسيس من خلال الذكاء البحت، وترشيح تلك الأحاسيس من خلال تحليل دقيق يصوغها في شكل أدبي بجوهرها وسماتها الخاصة. وقتها أكون قد عالجت الإحساس، وصغت الواقع الزائف، وأعطيت الواقع البعيد المنال قاعدة أبدية. وبعد ذلك أصبح امبراطور متوّج بداخلي.

لا تتخيل أنني أكتب لأنشر أعمالي، أو أكتب لمجرد الكتابة، أو أنتاج فناً، إنني أكتب لأن هذا هو الهدف النهائي، والتهذيب الأسمى الغير منطقي لحالات الروح. عندما آخذ واحدة من أحاسيسي أنسّرها كي أستخدمها لنسج الواقع الداخلي الذي أسميه "غابة الجفاء" أو "رحلة لم أقم بها". يجب أن تكون متأكدا من أنني لا أفعل ذلك من أجل صياغة نثرً لامع وواضح، ولا من أجل السعادة التي أشعر بها عند صياغة هذا النثر ـ رغم سعادتي لامتلاكه كلمسة إضافية مثل الستارة المتدلية بشكل رائع على خلفية مسرح أحلامي ـ لكنني أفعل ذلك كي أعطي شكلاً خارجياً تماماً لما هو داخلي، من

خلال تمكيني من إدراك ماهو غير مُدَرك، وكي ألحم كل ماهو متناقض، وكي أجسد حلمي وأعطيه تعبيره الأقوى كحلم نقي طاهر. هذا هو دوري كأني عامل في منجم الحياة، أو منقاش للأخطاء، أو خادم لروحي وملكتي، أقرأ لها عند الشفق، لا قصائد من كتاب حياتي المفتوح على ركبتيّ، بل قصائد أرتجلها وأتظاهر بقراءتها من هذا الكتاب، وهي تتظاهر بالسماع، بينما في مكان ما وبطريقة ما يُذهِب المساء الضوء الخافت لليوم الروحي الغامض.

***

سيمفونية الليالي المضطربة

الشفق في المدن القديمة، مع التقاليد المفقودة المكتوبة على الأحجار السوداء لمبانيها الضخمة، الفجر المرتجف فوق الحقول المفيضة الرطبه مثل الهواء قبل شروق الشمس، الممرات الضيقة حيث يمكن أن يحدث أي شيء، الصناديق الثقيلة في غرفة المعيشة القديمة، ينبوع المياة خلف المزرعة في ليلةٍ مقمرة، والرسالة التي يرجع تاريخها لزمن جدتنا ــ التي لم نقابلها أبداًــ التي كانت تحب لأول مرة، العفن الفطري في الغرفة التي يُخزَّن فيها الماضي، البندقية التي لا يعرف أحد كيفية استخدامها، حرارة يوم مشمس بجوار النافذة، لا أرواح على الطريق، النوم المتقطع، الآفة المتفشية في كروم العنب، أجراس الكنيسة، حزن المعيشة النُسُكيّ... ساعة البركات: يديك الناعمة النحيلة... العناق الذي لا يأتي، الفص في خاتمك ينزف في الظلام المتزايد... الاحتفالات الدينية دون أي إيمان في أرواحنا، الجمال المادي للقبح، المشاعر الرومانسية التي عاشت في العقل، رائحة البحر الساقطة على أرصفة المدينة مثل الليل، وتكون الندى بواسطة الهواء القارس...

ترفرف يداك المرهفة كالأجنحة فوق الشخص الذي تعزله الحياة. الأروقة الطويلة والشقوق حول النافذة المفتوحة وحتى إن كانت مغلقة. الأرضية الباردة كبلاط الضريح، الحنين إلى الحب مثل الحنين الى نزهة للقيام بها في حدائق غير مكتملة... أسماء الملكات القدامى... ضوء الصباح المتناثر بشكل غامض مثل البخور الفاتر الذي يعبئ هواء الكنيسة ويتكثف في ظلام

الأرضية المنيعة...الأيدي الجافة تضغط واحدة ضد الأخرى. حيرة الراهب عندما يكتشف تعاليم الأولياء الغامضين في أصفار غريبة من كتاب قديم، وخطوات الاستهلال في مطبوعات الكتاب الزخرفية. شاطئ في الشمس ـ حرارة في... البحر الذي يلمع في أشجاني التي تخنقني... الأشرعة البعيدة وهي تبحر في حرارتي... الدفء في النسيم البارد القادم من البحرـ الظلام، ليل المغامرين البعيد، وجبهتي المحترقة من سفنهم البدائية... كل شيء ينتمي لآخرين ماعدا حزني لأني لا أملك شيئاً منها. عطني الإبرة... فاليوم يفتقد المنزل صوت خطى أقدامها الناعمة، وأنا لا أشتاق لمعرفة أين كانت وماذا ربما كانت تفعل بالطيات والألوان والدبابيس...خياطتها اليوم المقفلة إلى الأبد في أدراج الصدر غير ضرورية، ولا يوجد هناك دفء الأزرع الحاملة التي تلتف حول عنق أمي.

***

محب الرؤية

أنتيروس

لدي مفهوم سطحي ديكوري عن الحب العميق وفائدته. إنني أفضل العواطف المرئية، وحفظ قلبي سليماً، من أجل مصائر أكثر وهماً.

لا أذكر أنني أحببت أبداً شيئاً أكثر من "لوحة" لشخص ما، لوحة المظهر الخارجي النقي. إن وظيفة الروح الوحيدة هي أن تنفخ الحياة في هذه اللوحة وتحييها، مما يجعلها مختلفة عن اللوحة المرسومة على القماش.

هذه هي الطريقة التي أحب بها: إنني أثبت انتباهي على شخصية جميلة وجذابة، أو بطريقة أخرى، شخصية محبوبة، سواء كانت امرأة أو رجل ـ ليس هناك رغبة أو أفضلية جنسيةـ هذه الشخصية تأسرني، وتهوسني، وتمتلكني، لكنب أريد فقط أن أراها، ولن يرعبني شيء أكثر من احتمالية مقابلة الشخص الحقيقي والحديث معه، هذا الذي ستظهره الشخصية بوضوح.

إنني أحب بنظراتي، وليس حتى بخيالي؛ لأنه ليس هناك شيء أتخيله عن الشخصية التي تفتنني؛ فأنا لا أتخيل نفسي في حالة اتصال معها بأي طريقة أخرى غير هذه النظرات؛ لأن حبي للجمال ليس له عمق نفسي. إنني لا أهتم بمعرفة هويّة وأنشطة وآراء المخلوق البشري الذي أرى مظهره الخارجي.

إن التعاقب الكثير للأشخاص والأشياء التي تشكّل العالم يعد بالنسبة إليّ معرض لوحات لا نهاية له، بُعدها الداخلي لا يثير اهتمامي. إنها لا تثير اهتمامي؛ لأن الروح مملة ودائما واحدة في الجميع، فقط تتغير مظاهرها الشخصية، وأفضل جزء في الروح يتدفق في الأحلام، والسلوكيات والإيماءات؛ بذلك تتشكل اللوحة التي تفتنني والتي أرى فيها هؤلاء المخلصين لعاطفتي.
يتضح في الرؤية الواضحة التي جربتها أن المظهر الخارجي المتحرك للأشياء والكائنات ـــ كإله من عالم آخرـ لا يبالي بمحتوى أرواحهم. إنني أخوض في وجوههم من خلال استكشاف ظاهرها، وعندما أريد العمق، أبحث عنه في نفسي وفي مفهومي عن الأشياء.

ماذا يمكنني أن أجني من المعرفة الشخصية للناس اللذين أحبهم كمجرد ديكور؟ ليس التحرر من الوهم، بما أنني لا أخفي أي تصور عنهم وأحب فقط مظهرهم الخارجي، الذي لن يتأثر بغبائهم أو اعتدالهم، إننى لم أرغب في شيء منهم غير مظهرهم. لكن المعرفة الشخصية مضرة؛ لأنها عديمة الجدوى، ومن الناحية المادية؛ فالأشياء عديمة الجدوى دائما مضرة. وماذا عن نقطة معرفة اسم الشخص؟ إنها حتما الشيء الأول الذي أعرفه عند تقديم أنفسنا.

إن المعرفة الشخصية يجب أن تعني أيضاً الحرية في التأمل الذي هو وسيلتي للحب، لكننا لا نستطيع أن نلاحظ أو نتأمل بحرية الشخص الذي نعرفه بشكل شخصي.

من وجهة نظر الفنان، أي شيء إضافي يعد نقصاً؛ لأنه يتدخل ويقلل بالتالي من التأثير المطلوب.

قدري الطبيعي أن أكون ملاحظا محبا لمظاهر وأشكال الطبيعة، وأن أكون مجسداً للأحلام، وأن أكون متأملا في مظاهر الأشياء...

إنها ليست حالةً لما يسميه الأطباء النفسيين "الجماع النفسي الناقص" ولا لما يصفوه "بالهوس الشبقي". إنني لا أتخيل نفسي كما هو الحال في "الجماع النفسي الناقص" أن أكون عاشق جسدي أو حتى صديق عادي للشخص الذي أنظر إليه وأستحضره، ولا أتخيل نفسي كما هو الحال في "الهوس الشبقي" أن أجعل الشخص مثالياً وأزيله من النطاق الجمالي بشكل ملموس. إنني لا أفكر ولا أرغب في شيء من الشخص أكثر مما أستقبله من عيني ومن الذاكرة المباشرة لما رأته عيني من قبل.

***

الحبيب محب الرؤية

إنني أتجنب نسج شبكات من الخيال حول الشخصيات التي أتأملها لتسلية نفسي، إنني أراهم فقط، وقيمتهم فقط بالنسبة إلي تتمثل في كونهم مرئيين؛ ولذا فأي شيء قد أضيفه إليهم سيحط من قدرهم؛ لأنه قد يقلل من إمكانية "رؤيتهم".

إن أي شيء كنت سأتخيله عنهم، كان سيصيبني في الحال بزيفه الواضح؛ ففي الوقت الذي تُسعدني فيه الأشياء التي أحلم بها؛ فالأشياء الزائفة تثير اشمئزازي. إنني مسحور بالأحلام النزيهة التي لا علاقة لها بالواقع، ولا تملك حتى أي نقطة اتصال به، لكن الأحلام الناقصة التي تبني أساسها على الحياة تملئني بالبغض، أو كانت ستملئني بالبغض الذي كنت سأنغمس فيه.

إنني أرى الإنسانية كعنصر كبير مزين يعيش من خلال عيوننا وآذاننا، وكذلك من خلال العاطفة النفسية. كل ما أريده من الحياة هو مراقبة الإنسانية، وكل ما أريده من نفسي هو مراقبة الحياة.

إنني أشبه كائنا من وجودا آخرا، أمضي من خلال هذا الكائن مع قدر معين من الاهتمام، إنني غريب بالنسبة له بشتى الطرق. هناك نوع من الورق الزجاجي بيني وبينه. وأريد أن يكون هذا الزجاج شفافاً تماماً بحيث لا يكون عائقاً يحجب عني رؤية ما خلفه.

بالنسبة لكل روح متدبرة علمياً، كي ترى في شيء أكثر مما هو عليه، معناه عدم رؤيته جيداً، وإضافة أي شيء مادي إليه يعني الحط من قدره روحياً.

هذا السلوك ليس هو الشك المسئول عن نفوري من المعارض، إن الحياة تمثل المعرض الوحيد بالنسبة إليّ، المعرض الذي تكون فيه الصورة دقيقة دائماً، بدون أي خطأ ناتج عن عيب(تقص) مشاهد. إنني أفعل كل ما في استطاعتي لأقلل من هذا العيب، ولو أنني لا أستطيع فعل أي شيء، فإنني أدع المحتوى بالطريقة التي عليها، لأنه ـ مثل كل شيءـ لا يمكن أن يكون بأي طريقة أخرى.

***

رحلة لم أقم بها

في ساعة من الشفق الخريفي الغامض، إنطلقت في رحلتي التي لم أقم بها. كانت السماء التي يستحيل تذكرها ملوّنة ببقايا أرجوانية من اللون الذهبي الحزين، وصف التلال الكئيب الناصع مغطى بالوهج الملون الذي يخترق هذه التلال ويليّن إحكام محيطها. على الجانب الآخر من السفينة ـ كان الليل أكثر برودة، وكان يزداد في نقطة أبعد تحت هذه الجهة من المظلة الموجودة على ظهر السفينةـ يمتد المحيط المفتوح، الذي يرتعد طول الطريق إلى أماكن الأفق الشرقي الحزين وأماكن الهواء القاتم، الذي

يضع ظل الليل المبكر عند حدّ البحر المرئي، الحائم مثل الضباب في يوم حار.

كان البحر الذي أتذكره مزينا بمسحات من الظل ممزوجة برُقع مموجة من الضوء الخافت ــ كل شيء كان غامضاً، كفكرة حزينة في ساعة فرح، لا أعرف بماذا تنذر.

لم أنطلق في رحلتي من أي ميناء أعرفه. وحتى اليوم لا أعرف أي ميناء كان هذا؛ لأني لم أكن هناك أصلاً. إضافة إلى أن هدف رحلتي هذه كان الذهاب بحثاً عن موانئ غير موجودة، وخلجان الأنهار المنسيه، والمضيقات التي تتدفق عبر مدن غير حقيقية لا غبار عليها. إنك ستعتقد بلا شك من خلال قراءة هذا، أن كلماتي هذه سخيفة. هذا فقط لأنك لم تقم بالرحلة مثلي.

هل انطلقت في رحلتي؟ لن أقسم لك أنني قد انطلقت في رحلتي. لقد وجدت نفسي في أراضٍ وموانئ أخرى، ومررت على مدنٍ غير التي بدأت منها رحلتي، تلك المدينة التي تشبه كل المدن، لا أستطيع أن أقسم لك أنني أنا من قام بالرحلة، ومن زار الأراضي الأخرى، وليست هي من زارتني. دون معرفة ماهي الحياة، وما إذا كنت أنا أعيشها أم هي التي تعيشني ــ أياً كان معنى الفعل الفارغ "يعيش"ــ فإنني لست على وشك أن أقسم بأي شيء.

لقد قمت بالرحلة. أظن أنه ليس ضرورياً أن أشرح أن رحلتي لم تستمر لشهور أو لأيام أو لأي قدر من الوقت يمكن قياسه. إنني قمت بالرحلة لوقت ما، لكن ليس في هذا الجانب من الوقت الذي يمكننا حسابه بالساعات والأيام والشهور. لقد أخذت رحلتي مكاناً في الجانب الآخر من الوقت الذي لا يمكن حسابه أو قياسه، ومع ذلك فهو يمر أيضاً، وسيبدو أنه أسرع من الوقت الذي نعهده. إنك بلا شك تسألني من داخلك، ما المعنى الذي تحمله هذه الجمل. لاترتكب هذا الخطأ. وقل وداعاً للخطأ الطفولي

المتمثل في السؤال "ماذا يعني هذا"؛ فلا شيء يعني أي شيء.

على أي سفينة قمت برحلتي؟ لقد قمت برحلتي على السفينه البخارية "أي شيء". أنت تضحك. وأنا كذلك، لكن ربما أنا أضحك عليك. كيف تعرف ـ وحتى أناـ أنني لا أكتب رموزاً للألهة وحدها كي تفهم؟! لا شيء. أبدأ رحلتي عند الشفق. مازلت أسمع في آذاني رنين المرساة الحديدية وهي تُرفع. وفي زاوية من ذاكرتي البصرية يمكنني رؤية أزرع الرافعة ـ التي عذبت بصري لعدة ساعات قبل الابحار وهي ترفع عدد لا يحصى من الصناديق والبراميل ـ تتحرك ببطء حتى تدخل في النهاية موقع سكونها. هذه الصناديق والبراميل المؤمنة بالسلسلة كانت تظهر فجأة أعلى حافة السفينة، وبعد أول ضربة لها، صادرةً صوت الحك، تتمايل وتُدفع عبر الباب المؤدي لأسفل السفينة، حيث تنزل فجأة... حتى تصل وهي تصدر صوت احتكاك الخشب الممل إلى مكان غير مرئي في مخزن السفينة. ثم يُسمع صوتها بالأسفل بعد فك السلسلة، ثم ترتفع السلسلة لأعلى من تلقاء نفسها مجلجلةً، وهكذا يبدأ كل شيء من جديد في ظهوره بلا جدوى.

لماذا أخبرك بهذا؟ لأنه من السخافة أن أخبرك بهذا بعد قولي أنني سأتحدث عن رحلاتي.

لقد زرت أوروبا الجديدة، وتم الترحيب بي في أماكن القسطنطينية المختلفة وأنا أبحر إلى موانئ مضيق بوسفور . هل يحيّرك فيما أبحرت؟ السفينة البخارية التي انطلقت فيها دخلت الميناء كمركب شراعية... أنت تقول أن هذا مستحيل؛ ولهذا السبب حدث لي هذا.

السفن البخارية الأخرى كانت تجلب لنا أخبار الحروب الخيالية في بلاد الهند المستحيلة. وعندما سمعنا عن هذه الأراضي شعرنا بحنين مزعج لأراضينا، لكننا شعرنا فقط؛ لأننا لم نكن نملك أي وطن على الإطلاق.

رحلة لم أقم بها (١)

إنني أختبئ خلف الباب؛ لذلك لن يراني الواقع عندما يدخل. أختبئ تحت المنضدة، حيث يمكنني أن أفاجئ " الاحتمال" وأخيفه. هكذا أتحرر مثل ذراعي العناق. هناك نوعين من الملل الشديد هم من يسحقونني ــ ملل القدرة على عيش الواقع فقط، وملل القدرة على (تخيلماهو ممكن فقط.

بهذه الطريقة أنتصر على كل الواقع. إنك تقول أن انتصاراتي عبارة عن قلاع من الرمال؟... وأي مادة سماوية تشكل القلاع غير الرمال؟ كيف تعرف أن أنواع رحلاتي لا تجدد شبابي بطريقة غامضة؟

طفل السخافة، إنني أسترجع سنواتي الأولى، وألعب بأفكار الأشياء، مثل لعبة الجنود، التي كانت في يدي الصغيرة تفعل أشياء تتعارض مع المفهوم الكامل للجندي. تمل على الأخطاء، بينما أضل لبعض الوقت وأترك شعور نفسي حي.

***

رحلة لم أقم بها (٢)

حطام السفن؟ لم أعاني من أي شيء، لكن لدي انطباع أنني أغرقت كل رحلاتي، وأن نجاتي كانت ترقد في فضاء اللاشعور.

الأحلام الخافتة، والأضواء الضبابية، والمناظر الطبيعية المشوشة ــ هذا كل ما يتبقى في روحي من كل الرحلات التي قمت بها.

لدي انطباع أنني قد أدركت أوقات كل لون، وحب كل نكهة، وحنين كل حجم. لقد عشت طوال حياتي بغير حساب، ولم أكن كافياً لنفسي، ولا حتى في أحلامي.

عليّ أن أشرح لك أنني قمت بالرحلة فعلاً، لكن يبدو أن كل شيء يشير أنني سافرت دون حياة. من نهاية لأخرى، ومن الشمال للجنوب، ومن

الشرق إلى الغرب، كنت أتحمل تعب الماضي وقلق عيش الحاضر، وملل التفكير في المستقبل، لكنني كنت أسعى جاهداً كي أبقى بشكل كامل في الحاضر وأقتل بداخلي كل من الماضي والمستقبل.

كنت أتمشى على طول ضفاف الأنهار، التي أدركت فجأة أنني لم أعرف أسمائها. وعلى طاولات المقاهي في المدن الأجنبية، كان يتبادر إلى ذهني أن كل شيء كان يملك هواء رائع ضبابي من حوله. أحيانا كنت أتسائل لو أنني مازلت جالساً على منضدة منزلنا القديم، محدقاً في الفضاء ومنبهراً بالأحلام! لا يمكنني التأكد أن هذا ليس هو الوضع الحالي في الواقع، وأنني مازلت هناك، وأن كل هذا ـ بما في ذلك هذا الحوار معك ـ ليس مجرد تمثيل كوميدي خالص. من أنت على أية حال؟ الحقيقة السخيفة على حد سواء هي أنك لا تستطيع الجواب...

رحلة لم أقم بها (٣)

الإبحار دون حتى أن يكون للسفينة مكانا ترسوا فيه. عدم الوصول يوحي بعدم الوصول أبداً.

ملحقات العمل

الملحق ١: نصوص نقلا عن Vicente Guedes

كما هو موضح في المقدمة، كان "Vicente Guedes" لسنوات عديدة هو المؤلف الخيالي "لكتاب القلق" حتى تم استبداله بـ "برناردو سواريس". لتجنب اللبس، ربما اقصى "بسوا" الثلاث فقرات الآتية من المظروف الكبير الذي ترك فيه مادة "كتاب القلق".

الفقرة الأولى

كان من قبيل الصدفة تماماً أن تعرفت على "Vicente Guedes"، فكثيراً ما كنا نأكل في نفس المطعم الهادئ الرخيص. ومنذ أن عرفنا بعضنا البعض بالنظر، بدأنا نتبادل التحيات الصامتة بشكل طبيعي. في يوم ما تصادفنا وأن جلسنا على نفس الطاولة، تداولنا بعض التعقيبات، ونشأة بيننا محادثة. بدأنا نلتقي هناك كل يوم لتناول الغداء والعشاء. وفي بعض الأحيان كنا نغادر سوياً بعد العشاء ونتجول لبعض الوقت ونتناقش.

كان "Vicente Guedes" يعاني من حياته الكئيبة للغاية مع عدم اكتراث الشخص الماهر. كانت رزانة الضعيف قد شكلت الأساس لوجهة نظره العقلية الكاملة.

قد حكم عليه مزاجه الطبيعي بامتلاك كل شوق يمكن تصوره، قاده قدره للتنازل عن كل هذا الشوق. لم أعرف أبداً روحاً أخرى قد أدهشتني أكثر من روحه. تخلى هذا الرجل عن كل الأهداف التي كانت طبيعته تجعله ميالاً لها، دون أي نوع من الزهد يحفزه لذلك. وُلد ليكون طموحاً، أخذ سرورا ضعيفاً في عدم امتلاك طموح على الإطلاق.

الفقرة الثانية

هذا الكتاب اللطيف.

هذا كل ما يتبقي وما سيتبقى من واحده من أكثر الأرواح سلبية، وواحداً من أكثر الحالمين إسرافاً ونقاءً، ممن لم يعرفهم العالم. إنني أشك أن أي مخلوق بشري قد عاش وعيه الذاتي بطريقه أكثر تعقيداً. أنيق في الروح، كان يجول في فن الحلم من خلال عشوائية الوجود.

هذا الكتاب هو السيرة الذاتية للرجل الذي لم يكن موجودا أبداً.

لا أحد يعرف من كان "Vicente Guede" وماذا فعل هذا الكتاب لم يُكتب بواسطته، إنه هو نفسه. لكن دعونا نتذكر دائما أنه، خلف أيٍ من هذه الصفحات التي تخبرنا، ينزلق لغز في الظل.

بالنسبة "Vicente Guede" إدراك نفسه كان فنا وفضيلة، والحلم كان ديناً. كان هو الخالق البات للأرستقراطية الداخلية ـ كانت حالة الروح هذه تشبه الحالة الجسدية للأرستقراطي الكامل.

الفقرة الثالثة

إن كرب رجل مبتلَى بملل الحياة في شرفة قصره الفخم هو شيء واحد؛ شيء آخر هو كرب شخص ما مثلي يجب عليه أن يتأمل المشهد من غرفتي المستأجرة في الطابق الرابع في وسط مدينة " لشبونه"، وغير قادر على نسيان أنني مساعد لمسؤول حسابات.

كل مرة أكون مرغماً فيها على التصريح بمهنتي من خلال بعض الأعمال الرسمية، أبتسم لنفسي على تهكم السخرية الغير مستحقة عندما أقول أنني "كاتب" ولا أحد يجد هذا غريباً. لا أعرف كيف وصل ذلك هناك، لكن هذا هو الشكل الذي يظهر فيه اسمي في السجل المهني:

الملحق الثاني: رسالتين

اعتزم بسوا إدراج العبارت والأفكار في "كتاب القلق" من الرسائل الآتية.

رسالة إلى أمّه

٥يونيو/ حزيران ١٩١٤

كانت صحتي جيدة وحالتي المزاجية قد تحسنت بشكل غريب. ومع ذلك فأنا معذَّب بالقلق الغامض الذي لا أستطيع تسميته بغير التلهف الفكري، وكأن روحي مصابه بمرض الحُماق . هذا فقط في هذه اللغة السخيفة التي أستطيع من خلالها وصف ما أشعر به. لكن ما أشعر به ليس كهذا المزاج الحزين الذي أخبرك به في بعض الأحيان، والذي فيه يأتي الحزن دون اي أسباب. حالتي المزاجية الحالية لها سبب واضح؛ فكل شيء من حولي إما أنه راحل أو متهدّم. إنني لا أستخدم هذين الفعلين ـ راحل ومتهدم ـ بمعناهما الكئيب. أعني ببساطة أن من أعاشرهم يتغيرون أو سيتغيرون، واضعين غاية لأطوار حياتهم المختلفة، وكل هذا يوحي إليّ ـ كرجل عجوز يشعر بأن وقته قد أقترب، لأنه يرى صحبة طفولته تموت من حوله ـ بأن حياتي بطريقة غامضة وعلى نفس النمط، يجب أن تتغير وسوف تتغير. لا أعتقد أن هذا التغيير سيكون للأسوأ، بالعكس تماما، لكن هذا تغيير، والتغيير بالنسبة لي ـ الانتقال من مرحلة لأخرى ـ يعني الموت الجزئي؛ شيء ما يموت فينا، والحزن على موت هذا الشيء ورحيله لا يمكنه تقديم العون، لكنه يحرك أرواحنا.

غدا سيغادر أفضل وأقرب صديق لي إلى باريس ـ لا لزيارة، بل للعيش هناك. والعمة أنيكا ربما ستسافر قريباً الى سويسرا مع ابنتها، التي ستكون

متزوجة في ذلك الوقت. صديق جيد آخر سيذهب إلى غاليسيا لفترة طويلة. لا يزال هناك رفيق آخر، صديقي المفضل التالي بعد صديقي الأول الذي أشرت إليه، وهو كذلك سيسافر إلى مدينة بورتو البرتغالية للعيش هناك. كل شيء في دائرة حياتي يتوحد ـ أو يتفكك ـ ليرغمني إما إلى العزلة أو إلى شيء آخر، على غرار طريق جديد مجهول. وحتى مع مناسبة نشر كتابي الأول ستتغير حياتي، سأخسر شيء ما: مكانتي التي لم تُنشر. إن فقدان شيء ما سلبي ـ سواء كان عيب أو نقص شخصي أو حقيقة أنك مرفوض ـ لازال يعد خسارة. تخيلي يا أمي، كيف يمكن للشخص الذي يشعر بهذه الطريقة أن يعيش، وهو مغمور بالأحاسيس اليومية المؤلمة.

ماذا سأكون بعد عشرة سنوات من الآن، أو حتى خمسة سنوات؟ يقول أصدقائي أنني سأكون واحداً من أعظم الشعراء المعاصريين ـ هم يقولون ذلك على أساس ما كتبته بالفعل، وليس ما أكتبه الآن، لكن حتى لو كان هذا صحيحاً؛ فلا فكرة لدي عما سيعنيه هذا. لا فكرة لدي كيف سيكون طعم هذا. ربما يشبه طعم المجد صعم الموت والعبث، كالانتصار الذي يشبه رائحة العفن.

رسالة إلى "ماريو دي ساكارنيرو"

١٤ مارس/آذار ١٩١٦

أكتب إليك اليوم خارج الضرورة العاطفية ـ اشتياق حزين للحديث إليك. بعبارة أخرى، ليس لدي شيء خاص أقوله غير ذلك: أنا اليوم في أعماق كآبة لا نهاية لها. عبثية الجمل تتحدث نيابة عني.

إنه يوم من هذه الأيام التي لم أملك فيها مستقبل. هناك فقط الحاضر الراقد المطوّق بجدار من القلق. الجانب الآخر للنهر طالما أنه الجانب الآخر، وليس هذا الجانب؛ هو السبب الجذري لكل معاناتي. هناك الكثير

من القوارب المتجهة إلى الكثير من الموانئ، لكن لا قارب يتجه إلى الحياة ليوقف الآلام، ولا إلى المرفأ حيث نستطيع أن ننسى كل شيء. كل هذا حدث منذ وقت طويل، لكن حزني أقدم من ذلك.

في أيام الروح الشبيهة بهذا اليوم أشعر بكل مسام جسدي وكأنني مثل الطفل الحزين الذي أوسعته الحياة ضرباً. لقد وُضعت في زاوية، حيث يمكنني سماع كل طفل آخر وهو يلعب. أشعر في يدي باللعبة المكسورة رديئة الصنع التي مُنحت إياها من بعض السخرية الزائفة. اليوم، الرابع عشر من مارس، الساعة التاسعة وعشرة دقائق مساءً، يبدو أن كل حياتي جديرة بما بها.

في الحديقة المرئية من نوافذ الصمت في سجني، كانت كل الأرجوحات ملتفة عالياً حول الفروع التي تُعلق بها، وهكذا، حتى تصوري لنفسي الهاربة لا يمكنه نسيان هذه اللحظة من خلال التأرجح في الخيال.

هذا هو مزاجي الحالي إلى حد ما، بدون أي اسلوب أدبي. يشبه المرأة المُراقبة بواسطة البحار، عيناي تؤلمني من التفكير في البكاء.

لو لم أكن أكتب لك آلان، سيكون عليّ القسم أن هذه الرسالة صادقة، وأن مجموعات أفكارها الهستيرية تدفقت بطريقة عفوية مما أشعر به،لكنك تعرف جيدا أن هذه التراجيديا الصعبة واقعية كفنجان الشاي أو شماعات المعطف ـ مليئة بالحياة الحاضرة والوقت الحاضر، وتمر عبر روحي مثل الخضار في أوراق الشجر.

لهذا السبب لا يصدر الأمير حكماً. هذه الجملة سخيفة للغاية، لكن في هذا الوقت أشعر أن الجمل السخيفة تجعلني أريد أن أبكي.

إذا لم أرسل هذه الرسالة اليوم، ربما إذا أرسلها غدا، وفي إعادة قراءتها، سآخذ بعض الوقت لعمل نسخة مطبوعة منها، لتضمين بعض من جملها وتجهماتها في "كتاب القلق". لكن هذا لن يقلل المصداقية التي اتبعتها في كتابته، ولا من حتمية الشعور المؤلمة خلفه.

لديك هناك أحدث الأخبار. وهناك أيضا حالة الحرب مع ألمانيا، لكن الألم قد سبب المعاناة قبل ذلك بوقت طويل. على الجانب الآخر للحياة، يجب أن يكون هذا عنوانا لبعض الرسوم المتحركة السياسية.

ما أشعر به ليس جنونا حقيقياً، لكنه بلا شك جنون يتسبب في حالة أشبه بالاستسلام استجابة لأسباب المعاناة، ما أشعر به هو لذة فطنة في ترنح الروح وسقوطها. إنني أتساءل، ماهو لون الشعور؟

ألاف من أحضانك الخاصة

فرناندو بسوا

لقد كتبت هذه الرسالة في محاولة واحدة. وبإعادة قراءتها أرى أنني بالتأكيد سأقوم بعمل نسخة منها قبل إرسالها إليك غداً. نادراً ما كنت أعبر بشكل تام عن سيكولوجيا نفسي بكل مواقفها العاطفية والفكرية، وبنزعتها الكئيبة، وكل جوانبها المميزة، ومفترقات وعيها الذاتي...

ألا تقر بذلك؟

الملحق الثالث

تأملات في "كتاب القلق" من كتابات فرناندو بسوا

مقتطفات من الرسائل

من رسالة لـ "جوا دي ليبرا ليما" ٣ مايو/مايسِ ١٩١٤

إن موضوع الملل يذكرني بشيء أردت أن أسألك عنه ... هل تصادفت برؤية عمل لي بعنوان "في غابة النفور" في عدد " Águia" الذي صدر العام الماضي؟ قل لي إذا لم ترى ذلك، وأنا سأرسله إليك. إنني أحب كثيراً أن تقرأه. إنه نصي الوحيد المنشور، الذي جعلت فيه الملل ـ والحلم العقيم الذي يسأم من نفسه قبل حتى أن يبدأ ـ هو فكرة الموضوع الرئيسي. لا أدري إن كنت ستحب الأسلوب المكتوب به أم لا. إنه أسلوبي الخاص جدا الذي يسميه أصدقائي مازحين " الاسلوب المتباعد" منذ أن ظهر أول مرة في هذا النص. ويتحدثون كذلك عن "الكتابة المتباعدة" و "الخطاب المتباعد" إلى آخره.

هذا العمل ينتمي لكتابي الذي كتبت له أيضاً مقاطع أخرى لا زالت غير منشورة، لكن لدي طريق طويل أقطعه قبل الانتهاء من ذلك. هذا الكتاب يسمى" كتاب القلق"؛ لأن القلق وعدم اليقين هما السمة الغالبة عليه. هذه السمة واضحة في أحد المقاطع المنشورة. يبدو هذا الكتاب سرد لحلم بسيط هو في الحقيقة ـ ويشعر القارئ بذلك من البداية ويجب أن يشعر بذلك طوال قرائته له، إذا كنت ناجحاًـ اعتراف الحالم بالغضب المؤلم العقيم وبعبث الأحلام المطلق.

من رسالة لـ "أرماندو كورتس" ٢ سبتمبر ١٩١٤

لم أكتب شيئا يستحق إرساله. كانا "ريكاردو ريس" و" ألفارو" صامتين. ارتكب(اقترف) "كاييرو" القليل من السطور التي ربما ستجد ملجأً في كتاب مستقبلي ما... ما كتبته أساسا هو في علم الإجتماع والقلق. كلمة "القلق" ـ كما كنت ستخمن ـ تشير إلى "الكتاب" الذي يحمل نفس الإسم. في الواقع، لقد كتبت عددا من الصفحات لهذا العمل الباثولوجي(المُرضي)، والذي بالتالي يواصل التقدم بشكل معقد وملتوي.

من رسالة لـ "أرماندو كورتس" ٤ اكتوبر ١٩١٤

لن أرسل لك أياً من الأعمال الصغيرة الأخرى التي كتبتها في الأيام الأخيرة، لأن بعضها غير جدير بالارسال، والأخرى غير مكتملة، والباقي أجزاءاً منفصلة من "كتاب القلق"....

حالتي المزاجية الحالية عبارة عن حالة من الكآبة العميقة الهادئة. لبضعة أيام في الوقت الحالي، كنت في مستوى "كتاب القلق"، فقد كتبت اليوم فقط مايقرب من فصل كامل.

من رسالة لـ "أرماندو كورتس" ١٩ نوفمبر ١٩١٤

حالتي المزاجية تدفعني للعمل بجد ـ ضد رغبتي(ارادتي)ـ في "كتاب القلق"، لكنه فتات، فتات، فتات: كانت نيتي أن أبدأ في نشر أعمالي في ثلاث كتب، بالترتيب التالي:

(١) البرتغال: كتاب شعر صغير (٤١ قصيدة)، الجزء الثاني له هو "البحر البرتغالي"، تم نشره في "كونتومبرانيا٤".
(٢) كتاب القلق: لكاتبه "برناردو سواريس" لكن بشكل ثانوي، انه ليس كاتبا لكنه شخصية أدبية.
(٣) القصائد الكاملة لألبرتو كاييرو: مع مقدمة كتبها "ريكاردو ريس" بعد عام من نشر هذه الكتب، كنت أخطط لإصدار "كتاب أغاني" (أو عنوان

آخر سطحي) إما وحده أو مع كتاب آخر، والذي سيتضمن عددا من قصائدي المختلفة، قصائدي المتنوعة للغاية بحيث لا يمكن تصنيفها، إلا من خلال هذه الطريقة السطحية.

لكن هناك الكثير في "كتاب القلق" يحتاج إلى تنقيحه وإعادة هيكلته، ولا أعتقد أن هذا سيستغرق أقل من عام للقيام بهذه المهمة. وكما يراني كاييرو، أنا متردد...

من رسالة لـ "أدولفو كاسايس مونتيرو" ١٣ يناير ١٩٣٥

كيف أكتب بأسم هؤلاء الثلاثة؟ كاييرو، من خلال الإلهام المطلق والمفاجئ، وبدون أي معرفة أو ظن أنني سأكتب بأسمه. ريكاردو رييس، أكتب بأسمه بعد التأمل المجرد الذي يأخذ فجأة شكلاً محدداً في قصيدة. كامبوس، أكتب باسمه عندما أشعر بباعث مفاجئ للكتابة ولا أعرف ماذا أكتب.(برناردو سواريس، الذي يشبه ألفارو دي كامبوس في نواح كثيرة، دائماً ما كان يظهر عندما أكون نعسان وخامل، ولذلك تكون خاصية الكبت والتفكير العقلاني لدي معطله، نثره خيال لا نهاية له. إنه مغاير لي لأن شخصيته لا تختلف عن شخصيتي لكنها مجرد تشويه لها. إنه أنا، لكن مذهبي العقلي وعواطفي. نثره مثل نثري، باستثناء بعض التحفظات الأساسية التي يفرضها المنطق على كتاباتي الخاصة، ولغته البرتغالية مثل لغتي تماماً ــ في حين أن كاييرو يكتب البرتغالية بشكل سيء، وكامبوس يكتبها باعتدال جيدا لكن مع بعض الأخطاء من قبيل "أنا نفسي" بدلا من "أنا بنفسي"، إلى آخره، ورايس يكتب أفضل مني).

رؤية الكاتب حول العمل

إنني أضع بعض من شخصياتي الأدبية في القصص، أو في عناوين الكتب الفرعية، وأوقّع بأسمي على مايقولون، وآخرون أخطط كليةً أن يسلموا أنني أنا من أوجدتهم من خلال توقيعي فقط. نوعي الشخصيات هذه

يمكن تمييزهما كالتالي: هذه الشخصية التي تقف بعيدا تماماً، يختلف أسلوبهم الخاص الذي يكتبون به عن أسلوبي الشخصي. أما الشخصيات التي أوقع بأسمي على أعمالها، يختلف أسلوبهم عن أسلوبي فقط في هذه التفاصيل المحتومة التي تخدم في تمييزها عن بعضهم البعض.

سأقارن بعض من هذه الشخصيات من خلال مثال، لأوضح ماذا تشمل هذه الاختلافات. المحاسب المساعد "برناردو سواريس" و"بارون" يكتبان بنفس الأسلوب الأساسي ونفس القواعد ونفس الأسلوب الحذر. بعبارة أخرى، كلا منهما يكتب بأسلوب ـ سواء جيد أم سيءـ هو نفس أسلوبي. إنني أقارنهم لأنهم حالتين لنفس الظاهرة ـ عدم القدرة على التكيف مع الواقع ـ المحفَّزَة لنفس الأسباب، لكن رغم أن اللغة البرتغالية واحدة عند "بارون" و"برناردو سواريس"، إلا أن أساليبهم فيها مختلفة. ذلك أن الأرستقراطي عقلاني، ولا يستخدام الصور، جاف قليلاً ومقيَّد، بينما نظيره من الطبقة الوسطى يتميز بالسلاسة، والمشاركة في الموسيقى والرسم، لكنه ليس معمارياً. النبيل يفكر ويكتب بوضوح، ويسيطر على عواطفه رغم إنها ليست عواطفه، لكن المحاسب لا يسيطر على أياً من عواطفه أو مشاعره، وما يفكر فيه يعتمد على مايشعر به.

هناك أيضا أوجه تشابه بارزة بين "برناردو سواريس" و "ألفارو ديه كامبوس"، لكننا نصطدم في "أفارو ديه كامبوس" بالتهاون في لغته البرتغالية، واستخدام الصور المبالغ فيها، صوراً أكثر غرائزية وأقل مخزى من صور "سواريس".

في جهودي لتمييز كلٍ منهما عن الآخر، هناك هفوات ترهق إحساس البصيرةالنفسية لدي. على سبيل المثال، عندما أحاول التمييز بين مقطع موسيقي لبرناردو سواريس ومقطع مماثل لي...

في بعض الأحيان يمكن أن أفعل ذلك تلقائيا بإتقان يدهشني، دون أي

غرور في دهشتي هذه، منذ ـ ليس حتى عدم إيمان بجزء صغير من حرية الإنسان ـ أن أصبحت لا أندهش لما يحدث لي أكثر مما سأندهش لما يحث لشخص ما آخر. البدهية الهائلة فقط يمكن أن تكون هي البوصلة في مساحات الروح الفسيحة. فقط مع الإحساس الذي يستخدم العقل بحرية دون أن يُفسد به، رغم أن الإثنين يعملان سويا كواحد، إلا أنه يمكن تمييز الحقائق المنفصلة للشخصيات الوهمية.

هذه الشخصيات الثانوية، أو بالأحرى هذه الشخصيات المبتكرة تنقسم إلى فئتين، والتي يمكن للقارئ اليقظ تمييزها بسهولة من خلال خصائصها المميزة. تتميز الشخصية في الفئة الأولى بالمشاعر والأفكار التي لا أشاركها. في المستوى الأدنى في هذه الفئة تتميز الشخصية بالأفكار فقط التي تُوضع في عرض أو نقاش عقلاني. "المصرفي الفوضوي" هو أقرب مثال لهذا المستوى الأدنى، و"كتاب القلق" وشخصية برناردو سواريس يمثلان المستوى الأعلى داخل هذه الفئة.

سيلاحظ القارئ أنني لم أضمن "لمحاسب المساعد في مدينة لشبونة" في قصص الفواصل هذه، رغم انني سأنشر "كتاب القلق" تحت إسم برناردو سواريس. هذا لأن برناردو سواريس رغم أنه يختلف عني في أفكاره ومشاعره وطريقة الرؤية والفهم، فهو يعبر عن نفسه بنفس طريقتي. شخصيته مختلفة، لكنه يعبر عنها من خلال أسلوبي الطبيعي، مع السمة الوحيدة المميزة وهي النغمة الخاصة التي تنتج من خصوصية مشاعره.

بالنسبة لكتّاب قصص الفواصل، ليست فقط أفكارهم ومشاعرهم هي التي تختلف عني، بل تقنيتهم في التأليف، وأسلوبهم الخاص. كل من هؤلاء الكتّاب ليس مجرد شخصية مُتخيلة بشكل مختلف، لكنه وُجد ككيان مختلف تماماً.